الإكسير الأحمر

مصطفى حمادي

اسم الكتاب : الإكسير الأحمر
اسم الكاتب : مصطفى حماوي
رقم الإيداع : 2017 / 16824
الترقيم الدولي : 9789778350074
الطبعة الأولى : 2017
مراجعة لغوية ، وإخراج داخلي : هيام فهيم
صادر عن : مؤسسة زحمة كُتّاب للثقافة والنشر
15 ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com
دار زحمة كتاب للنشر
za7ma-kotab@hotmail.com
01205100596

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة زحمَة كُتّاب للثقافة والنشر
المشهرة قانونا بسجل تجاريّ رقم /84486

الإكسير الأحمر

حين تصبح الطيبة والنقاء عارًا في مجتمعنا ...

(1)

جنوب القاهرة فبراير1996

انسحب الغَسق الأحمر من وراء الأُفق مُعلنًا عن ميلاد ليل جديد .. ليل أَسود حالك لا يُضيئه قمر ولا يسكُنه أمل ... ليل تبعثرت فيه الشوارع والأزقة في مطاردة حقيقية، بلا شرطة ولا مُجرمين ولا أعيرة نارية ... مطاردة وُكلَ بها ميكائيل منذ بدء الخليقة وتقمصت فيها الأمطار دور الشرطة لتجعل من المارة مُجرمين يفرون منها وكأنها ترميهم بحجارة من سجيل ... ابتلت الأرض وارتوت الأشجار والتصقت الملابس بأجساد عابرة متخبطة في قطيع من البشر كان من بينهم فتحي أنور عبد الرحيم الذي وُلد بالمدينة الباسلة في عام حرب الأيام الست (نكسة1967) ... بعد وفاة والدته بقذيفة أودت بحياتها أتى مع والده وشقيقته إلى جنوب القاهرة مع من جاءوا من الأحياء السكنية التي أُصيبت وانهدمت بشكل مباشر ... نشأ وترعرع فيها حتى حَصل على دبلوم فني أول من المدرسة الفنية وتم تعيينه في واحدة من إحدى قلاع الصناعة المصرية آنذاك عام1990 ... تزوج بعدها بعامين وقضى مثلهما حتى أَنجب ولي العهد .... كان نحيفًا متوسط الطول، تُضيف بشرته الخمرية وشاربه المهذب إلى وجهه جمالًا لا يُحسد عليه ... يهتم بمظهره الخارجي

من ملابس أنيقة ومهندمة وشعر مُصفف بعناية وعطر Deep Night بالإضافة إلى حذاء موريتاني الجنسية رغم فقره وأحواله المعيشية الصعبة التي يمر بها.

كانت الساعة السابعة والنصف مساءً حين وصل أمام باب منزله، بعد عدة طرقات استمرت لدقيقة ونصف لم تأتِ بثمارها، أخرج من جيب بنطاله نسخة لمفتاح متآكل صدأ يستخدم للطوارئ، دفع باب المنزل فاستجاب وفُتح بعد مُعاناة وصراع كاد فيهما المفتاح أن ينكسر.

في الداخل اتجه إلى غرفة نومه التي ترقد بداخلها زوجته عزة الكاشف نجلة عائلة الكاشف التي تم تصفية جميع رجال عائلتها في إحدى المعارك الملتهبة مع إحدى أكبر العائلات والقبائل.

كانت تجلس زوجته فوق كرسي خشبي أمام مرآة التسريحة شاردة تدندن وهي تُمشط شعرها الناعم الفاحم .... لم تشعر به حين فتح باب الغرفة ودلف .... وضع يده أسفل ذقنه متوعدًا لها قبل أن يخطو بخطوات متأنية على أطراف أصابعه حتى اقترب من طفله المُسجى فوق سرير خشبي صغير أشبه بأرجوحة، لثمه قُبلة واطمأن على تناوله الأرز باللبن مع الملائكة قبل أن تسحبه قدماه على بُعد خطوة واحدة من زوجته التي شهقت وصفعت صدرها لا إراديا حين رأت انعكاسه في المرآة وهو ينهض ببطء موسيقى تصويرية من خلف كرسيها ليفزعها.

أدارت رأسها وجسدها اتجاهه فابتسم مرسلًا لها قُبلة في الهواء قبل أن يشتعل غضبها، مطت شفتيها ورفعت حاجبها تزجره فبدت أكثر إغراءً ...

انحنى ليعيد قُبلته بدون هوائي يُغير مسارها فأشاحت بوجهها مُعاتبه: إوعى كده متلمسنيش ... أنا مخصماك.

- بحبك.

- بردو مخصماك هه.

- بعشقك.

- متحاولش.

ارتسمت ملامحه بآيات الحزن والأسى المصطنعة قبل أن يوليها ظهره استعدادًا للرحيل، فأوقفته بعد خطوة عَدلت فيها عن قرارها: بحبك ياللي هتقطع خلفي ... دي المرة الخمسة وتلاتين اللي تخضني فيها من ساعة ما اتجوزنا.

ابتسم بخبث وأدار جسده دفعة واحدة مستطردا : ودي المرة الميه وسبعين اللي هدوق طعمك فيها زوزتي.

أنهى جملته وحملها بعنف فاستسلمت مبتسمة بأسنان انكشفت وأنف تكرمشت. اتجه إلى سريره المقاوم للصدمات وغير الكاتم للأصوات ... أراحها برفق وهو يستحلب نعومة شفتيها .. فرد ظهره قبل أن يحرر حواجز بللتها الأمطار ستكون سببًا في عرقلة رحلة كفاحه ... ربت على كتفه اليسرى بإشارة فأدركت فحواها.

وضعت قدمها اليمنى حيث أشار بعدما تخلصت من حرف T يقف حارسًا لمقدساتها ... احتضن ساقها قبل أن يحرز هدفه بحرفية كابتن ماجد في الماتشات!

بداية كتلك لن تَسعد بها القُراء ... ولن يغفل عنها النُقاد ... ولن تُبهر إخواننا البُعدا ... مدين وثمود!!

في غرفة النوم لم تكن تجلس فوق كرسي التسريحة ولم تكُن تُمشط شعرها ولم تكن تدندن، فقط كانت ملقاة فوق سريرها كخرقة مبللة، أنفاسها مضطربة يكسوها العرق رغم برودة الجو. ينام إلى جوارها طفلهما الصغير ذو العام والنصف رافعًا قدميه لأعلى مبتسمًا وكأن أحدًا يداعبه.

فزع فتحي حين رآها على تلك الحالة فأمسك يدها وربت عليها محاولًا إيقاظها: عزة ... عزة فوقي يا حبيبتي أنا جيبتلك الدوا معايا قومي عشان تاخديه وتبقي كويسة.

فتحت عينيها المُثقلتين باحثة بهما عن صغيرها: الواد فين يا فتحي؟

أجابها مُطمئنًا: متقلقيش الواد قاعد جنبي بيلعب أهو ... قالها وأمسك بعلبة الدواء وأخرج قرصًا واحدًا وضعه في فمها ثم التقط كوب ماء يرقد بجوارها فوق الكومودينو منذ الصباح، أدناه من فمها فتجرعت نصفه على دفعتين .. وضعه مكانه متمنيًا لها الشفاء: بالشفا إن شاء الله .... أنا هسيبك ترتاحي شوية على ما أغير هدومي وأحضر الأكل عشان نتعشى سوا مع بعض.

أومأت برأسها إيجابًا فهمَّ واقفًا بعدما طبع قَبلة فوق جبينها المتناثر بحبيبات عرق باردة ... أولاها ظهره واتجه إلى المطبخ لتحضير وجبة عشاء لم يستغرق في إعدادها سوى عشر دقائق، وضع الأواني فوق ترابيزة السفرة ثم اتجه إلى الغرفة مناديًا زوجته: يلا يا زوزتي العشا جهز.

- حاضر يا حبيبي هنيم الواد وهاجي.

تركها وعاد إلى المائدة بعدما ضغط على زر تشغيل إذاعة الراديو فآتاه صوت الست (اللي شوفته قبل ما تشوفك عينيا عمر

ضايع يحسبوه إزاي عليا، أنت عمري اللي ابتدا بنورك صباحه أنت أنت أنت عمري) يعشقها تلك الأغنية التي تُذكره بلقائه الأول مع زوجته عندما رآها في إحدى الحفلات النيلية.

حين يسمعها يسترجع ماضٍ ليس ببعيد ويسترجع معه انتفاضة قلب أصدر فرمانه .. (هي دي) حين رآها تجلس شاردة العينين تتمايل برأسها استمتاعًا بصوت أم كلثوم .. كانت تبدو في براءتها كالملائكة وليس كالأطفال فحسب ... ملامحها الدقيقة ورقتها وعيناها الساحرة وابتسامتها التي كشفت عن أسنان تراصت بدقة ... حينها لم يتمالك نفسه فأخرج من حقيبته كاميرا صغيرة ورثها عن والده المتوفى منذ أعوام .. التقط اثنتي عشرة صورة لها وحدها لم يتبقَ منها سوى واحدة فقط ... يضعها بين يده الآن ...

- أفشتك يا خاين صورة مين اللي في إيدك دي؟ قالتها مازحة قبل أن تجلس بجواره.

- أبدًا دي صورة واحدة كده.

- وتطلع مين بقى الواحدة دي؟

- الواحدة دي يا ستي أنا حفيت وكحيت تراب عشان أتجوزها.

شهقت بعزوبة: وكمان اتجوزت عليا، ليلتك مش فايتة النهارده .. قالتها ورفعت حاجبها الأيمن بغضب مصطنع .. فأطال النظر إلى وجهها لحظات: تعرفى إنك بتبقي أحلى وأنتي عاملة نفسك متعصبة.

- وأنا متعصبة بس؟

- لأ وأنتي بتعيطي بردو خدودك بتحمر وبتبقى أحلى من القمر.

- خلاص ابقى زعقلي واضربني كل يوم عشان أحلو في نظرك.

أزاح بسبابته من على عينيها خصلة متمردة من شعرها الناعم:
أضربك ده إيه تتقطع إيدي قبل ما أعمل كده.
وضعت يدها على فمه: بعد الشر عليك متدعيش على نفسك يا حبيبي.
- حاضر ..... عُلم وينفذ يا مولاتي.
نظرت إليه بحزن مختلط بحنان قبل أن ترميه بسؤال قرأه في عينيها: هو أنا لو مُت هتتجوز واحدة غيري يا فتحي؟
- بعد الشر عليكي يا حبيبتي ليه الفال الوحش ده وبعدين أنا لو لفيت الدنيا كلها مش هلاقي أطيب ولا أجمل ولا أحن منك، ربنا يخليكي لينا وميحرمناش من وجودك أبدًا.
- يا رب ويخليك لينا يا حبيبي.
- كفاية رغي بقى مش هناكل ولا إيه؟
قالها قبل أن يُشمر عن ساعديه ويلتقط رغيفًا من الخبز .. قَطعه نصفين ببطء نمو صبار الساجورا وهو يتساءَل في شرود ماذا لو؟ .. ماذا لو قَضت نحبها وفارقت دُنيانا؟ .. لن يصبح صغيرنا يتيمًا بمفرده فأنا أيضًا سيُدركني اليُتم .. وكيف لا؟ .. فحضنها هو المأوى في الشدائد، وعقلها هو المُدبر في صد المكائد، وغنجها هو المُخدر لتهكمي السائد وغضبي الزائد. يا ليتها تحيا أبد الدهر بلا ضرر ولا ضرار وتَسلم من عبث الأقدار.

...

صباح اليوم التالي ...
صعد الحافلة الخاصة بنقل العمال إلى المصنع وبرفقته صديقه (علاء رشيد) الشهير بعلاء الحراء، يكبره بسبع سنوات، حاصل على مركز أول للألفاظ غير الأدبية والإباحية والفسيولوجية في موسوعة جينيس للأرقام القياسية، متوسط الطول، قمحاوي البشرة، شعره أسود قاتم يميل على الأفقي بزاوية 75 درجة، عيناه واسعتان، إحداهما عسلية اللون والأخرى خضراء ممزوجة بحمرة من أثر إجراء عملية فاشلة لإزالة مياه زرقاء على العين اليسرى أدت إلى انعدام الرؤية مدى الحياة ...
يتوسط حواره بعبارة (واخد بالك معايا) لقياس مدى إدراكك ولجذب انتباهك ... الأهلي يستحق الدوري السنادي واخد بالك معايا أصل الزمالك بعيد عنك جاله تسلخات ... يعمل فني أول لصيانة المعدات الثقيلة بالمصنع بعدما تم تعيينه على طريقة الأولوية لأبناء العاملين. من أصدقاء السوء الأوفياء! الذين قلما تجدهم في حياتك، متزوج ويعول ثلاثة أولاد وابنتين ...
انطلقت الحافلة بعد ما يقرب من الخمس دقائق وانطلق معها صديقه محدثًا إياه: بقولك إيه يا توحا هو دعاء الركوب بنقول فيه إيه؟
انتبه من شروده قبل أن يجيبه: بنقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون.
لكزه علاء بمرفقه: لأ يا عم مش قصدي دعاء الركوب .. ده أنا قصدي دعاء الركوب التاني.
- بقولك إيه .. أنا مش فايق لهزارك ده يا علاء، سيبني في حالي الله لا يسيئك.

- مالك يا توحا مين اللي مزعلك؟ قولي بس وأنا أخصيهولك.
- محدش مزعلني، واسكت بقى العملية مش ناقصاك.
- لأ .. منا مش هسكت إلا أما أعرف فيك إيه متغير ليه النهارده؟
- مفيش بس المدام عندي في البيت التعب زاد عليها من ساعة ما خلفت الواد والدكتور قال لازم تعمل العملية بسرعة وكل ما هتتأخر هيبقى في خطورة على حياتها.
- طب ومستني إيه ما تعملها العملية أوام زي ما قالك الدكتور.
- منين بس يا علاء، دي العملية هتكلف 5 آلاف جنيه ولو على نفقة الدولة هتتكلف ٥٠٠ .. بس حلني بقى على ما نلاقي سرير فاضي.
- 5 آلاف جنيه بحالهم بس متقلقش ياض يا فتحي أنت ابن حلال وربنا مش هيسيبك .. صمت هنيهة ثم أكمل: احنا قبل ما نستلم الوردية النهارده نروح للبشهمندس عادل التلاوي رئيس قطاع النقل ونطلب منه يسلفنا أي حاجة حتى لو نص المبلغ.
- واشمعنا المهندس عادل يعني؟
- الراجل طيب وبيعزني أوي من ساعة ما أنقذته من تحت الصندوق اللي فلت من خطاف وير بومة الونش.
هز رأسه إيجابًا: الله المستعان.
ساد الصمت لحظات قبل أن يقطعه فتحي بسؤاله: صحيح عيالك عاملين إيه؟ ورديتهم ولا لسه غضبانين؟
- رديتهم يا سيدي هعمل إيه، الواد الصغير طالع شيطان ومطلع عين أمي، مش عارف نسيت أَسمي قبل ما أرمي بذرته ولا إيه؟! ... روحت صالحتها ورجعتها البيت معايا.

- تستاهل عشان تعرف قيمتهم ... صحيح الواد الصغير سميتوه إيه؟
- منا قولتلك قبل كده، سَميته حسام على اسم أخويا الله يرحمه.
- الله يرحمه .... هما وصلوا كام عيل لحد دلوقتي؟
- خمسة يا سيدي في عين العدو والآخراني اتولد قيصري فتح بطن بقى وعمليات ... الله يرحمك يامه ... زمان كات الحُرمة لامؤاخذة دايمًا فاشخة رجليها ومكفية على تشت الغسيل عشان كده كان العيل بيسلت من بين فيخادها من غير ما تحس بحاجة واخد بالك معايا .... إنما دلوقتي خدوا راحتهم ع الآخر غسالات بقى وبوتوجازات وأبصر إيه .... اسكت يا راجل دول بقوا قارفني في عيشتي آخر قرف هما وأمهم.
- ليه بس عملولك إيه لده كله؟
- قول معملوش إيه، الولية بقت خمسة آكس عاملة زي قدرة الفول من كتر الخلفة، زمان كانت عود فرنساوي زي شماعة الهدوم أشيلها من هنا أحطها هنا وساعات تستلم وردية ... إنما دلوقتي أنا اللي بستلم الموقع كله من أول رمي الأساسات لحد التشطيب لوكس ع المفتاح ... ولا الواد البكري ده لوحده حكايته حكاية قال إيه عايز يتجوز.
- طب وفيها إيه متجوزه هي مش الشقة بتاعته جهزت خلاص؟
- آه جهزت فاضلها وش نقاشة وخلاص ... بس أجوزه إيه يا عم فتحي؟ الواد لسه عنده 14 سنة يعني بيدور عليه بكشاف عشان يلاقيه، الواحد خلاص جاب آخره ونفسه يهج ولا يموت ويرتاح.
- وحد الله كده يا عم وربنا يخليك لعيالك.

أخذهما الحديث وبالطبع لم ينسَ علاء أن يحكي له عن مغامراته مع (سماح مراكب) إلهة الأُنس والفرفشة عند الأمم الغابرة التي يقضي معها ليلة أو ليلتين أسبوعيًا ليقدم فيهما العطايا والقرابين تقربًا لها ....

دقائق وعبرت الحافلة البوابة الشرقية أو ما تعرف باسم بوابة مجلس الإدارة التي تبعد عن مكان عملهما بأربعمائة متر تقريباً.

(2)

على بُعد بضعة أمتار من مبنى رئيس قطاع النقل مر فتحي وصديقه بجوار مجموعة من العمال يتبادلون أحاديث وهمسات بشأن الجريمة التي وقعت ليلة أمس في منزل رئيس مجلس الإدارة الذي تم العثور عليه قتيلًا مجردًا من ملابسه وسط بركة من الدماء تعوم فوقها زجاجات خمر ومشروبات كحولية، وورقة صغيرة كُتب عليها (لكل جواد كبوة ولكل خائن طعنة) .....

داخل المبنى ...

جلس هو وصديقه بغرفة الاستراحة في انتظار عادل التلاوي نجل عائلة التلاوى .. الفرع المُسلم المُنكسر من شجرة عائلة موصيري اليهودية السفاردية إيطالية الجنسية التي استقرت بمصر في منتصف القرن الثامن عشر.

بعد فترة من زحفها إلى القاهرة تولى الابن الأكبر للعائلة نسيم بك موصيري نائبًا لرئيس الطائفة اليهودية بعد تزوجه نجلة يعقوب قطاوي رئيس الطائفة آنذاك.

لم تلبث العائلة إلا وانطلقت سهامها في مجال المال والأعمال وذلك في أوائل القرن العشرين على يد إيلي موصيري الابن الأكبر لنسيم بك فور إنشائه لبنك موصيري وأولاده نظرًا لعلاقاته

المتوطدة مع بيوت المال الأوروبية واليهودية كـ(روتشيلد ولازار وسليجمان) ... تولى يوسف إيلي موصيري الدَفة بعد والده حيث سلك طريق استثمار الفنادق فساهم في تأسيس عدة فنادق ضَمت (كونتيننتال ومينا هاوس وسافوي وسان ستيفانو) ... كان ذلك قبل أن تندلع ثورة يوليو عام 1952 ليزداد معها الموقف اضطراباً، فانقلبت موازين القوى رأسًا على عقب بين العائلات اليهودية والسلطة الحاكمة.. تعطلت المصالح وضُيق الخناق على أحفاد الموصيري فلاذوا بالفرار ولم يتبقَ سوى چاك يوسف موصيري الابن الثالث والفرع المُنشق عن العائلة بعد اعتناقه للإسلام ... غيَّر اسمه إلى التلاوي بعدما أشهر إسلامه على يد الشيخ أحمد حسن الباقوري في حلقة برنامجه التي أثارت جدلًا واسعًا.

لم يبدأ التلاوي من الصفر لكنه بدأ من السالب ما لا نهاية ... عمل تمرجي بقصر العيني لأعوام ثم بائعًا للميديكال في كُشك صغير قبل أن يتزوج وداد بائعة الورد في تقاطع إشارات المرور ليُنجب منها عادل ... نجله الوحيد الذي وُلد بمصر القديمة في منطقة مجرى العيون، استوى عوده فألحقه والده بمدرسة الفسطاط ثم المدرسة التجريبية التابعة للمصنع والتي أنشأها عبدالناصر، التحق بعدها بمعهد الهندسة والتكنولوجيا.. تخرج منها فُزج به مهندسًا للشركة .. اعتلى المنصب تلو الآخر بسرعة الصاروخ نظرًا لمكائده وحيله السرية من أسفل الترابيزة.

يتميز بالمكر والدهاء الذي ورثه عن الخواجة زافود صديق والده وشريكه في إحدى محال المستلزمات والأجهزة الطبية (أنا والخواجة) القابع بمحيط منطقة قصر العيني والذي لم يَعُد حيث

تم غلقه بالضبة والمفتاح بعد وفاة والده ولحقه بعدها شريك والده الخواجة المقطوع نسله ... تولى رئاسة قطاع النقل منذ أعوام وفي طريقه لرئاسة مجلس إدارة الشركة.

...

بعد مرور عشر دقائق جاءهما عم حسن الساعي .. رفيع كشاليموه، تبرز عروق يديه الأشبه بأرض بور وتفاحته الآدمية التي ورثها عن أبو البشر .... أخبرهما بأن م. عادل التلاوي عاد للتو من اجتماعه الطارئ مع أعضاء مجلس الإدارة ....

داخل المكتب ..... كانت الغرفة واسعة، تفترش الأرض سجادة حمراء ينتهي طرفها الآخر عند مكتبه الرابض فوقه عدد لا بأس به من المستندات المُتخمة بالأوراق، يجاورهم ترسان ومطفأة سجائر على شكل قطار نقل بضائع وعلى يمينها صورة لطفلتين تحمل إحداهما امرأة مُتفجرة الأنوثة والأخرى يحملها رجل أربعيني يرتدي بدلة رمادية اللون ... كانت بشرته بيضاء، يُشير هرمون التستوستيرون لديه إلى بدايات صلع غير مبكر.

لم يكن ذلك الرجل سوى عادل التلاوي الجالس خلف مكتبه مرتديًا زي العمل وعلى رأسه خوذة صفراء اللون على سبيل تحفيز العمال اتباعًا لمنهاج إرشادات السلامة والأمن الصناعي.

خلع خوذته فور سماعه جرس الهاتف ذي الأسلاك الحلزونية المموجة، التقط السماعة وهو يشير لهما بالجلوس: ألو مين؟ أهلًا أهلًا يا خواجة كوتنوار أخبارك؟ ... الله يبارك فيك يا خواجة مش عارفين نودي جمايلك فين. لأ مفيش عضو منتدب ولا حاجة بس هما لسه مأعلنوهاش صريحة، بس كانوا بيلمحوا في الاجتماع، يعني صبرنا الكتير ما باقي إلا القليل .... لالا متقلقش

يا خواجة، العملية هتتم في ميعادها منا لازم أطلع راجل معاك زي ما طلعت راجل معايا .... أوامرك يا خواجة ولا يكون عندك فكرة بالموضوع .... سلام يا خواجة .... سلام.

وضع سماعة الهاتف بعدما أنهى المكالمة التي فطن منها فتحي الكثير .... رمقه عادل بعينيه الضيقة التي تُنم على المكر والخبث قبل أن ينظر إلى علاء مبتسمًا: إزيك يا علاء عامل إيه وفينك يا راجل؟ قولولي تشربوا إيه الأول؟

- لأ ملوش لزوم يا بشمهندز بس احنا جايين لحضرتك في موضوع شخصي وماشيين على طول.

- خير يا علاء؟

- خير بعون الله، بس لو مفيهاش رخامة يعني كنا عايزين نطلب من حضرتك تتوسطلنا عند حبايبك في الشئون المالية أنهم يصرفوا لفتحي صاحبي سلفة عشان خاطر يعمل عملية لمراته.

- وماله مفيش مشكلة، بس السلفة دي في حدود كام؟

- 5 آلاف جنيه.

- 5 آلاف جنيه مرة واحدة .. أكيد الشئون المالية هترفض تسلفه المبلغ ده.

...

كان يجلس فتحي في صمت متابعًا للحوار الدائر أمامه حتى جاءت الجملة الأخيرة ... كانت بمثابة صاعقة شجت رأسه التي دارت بداخلها الهواجس .. هل هذه النهاية؟ هل ستموت زوجتي بعدما يشتد عليها المرض؟! ستظل تتألم وأنا أقف أمامها مكتوف الأيدي لا حول لي ولا قوة؟!

حاول علاء معه متوسلًا: يا بشمهندز احنا غلابة وملناش حد هنا نتسند عليه غير حضرتك، الراجل مراته محتاجة تعمل العملية في أسرع وقت وإلا لا قدر الله هتموت.

لم يكن عادل منتبهًا لما يقوله علاء ... كان شاردًا ببصره إلى صورة تجمعه مع زوجته وطفلتيه يتيمتي الأم وكأنه يشاهد فيديو بالتصوير البطيء أمامه.

- ها يا بشمهندز .. قلت إيه؟! وحياة بناتك توافق يا باشا.

- أنا موافق بس بشرط.

عاجله فتحي: شرط إيه يا بشمهندس؟

- عايزكم تساعدوني في تنفيذ عملية لازم تتم بعد يومين وإلا...

قاطعه فتحي: عملية إيه؟

نظر إلى الباب قبل أن يجيبه: لأ مينفعش نتكلم في الموضوع ده هنا ... فتح درج مكتبه ثم التقط ورقة صغيرة وناولها لفتحي: ده الكارت بتاعي وفيه عنوان شقتي في المعادي هستناكم النهارده بالليل الساعة 9 عشان نتكلم في موضوع العملية ده.

أخذ علاء الورقة بعدما ظل فتحي ساهمًا وكأن أحدًا يُكبل يديه ويُجبره على عدم التقاطها.

هَم علاء بالوقوف: نستأذن احنا بقى عشان زمان الوردية بتاعتنا بدأت وحضرتك عارف الريس أبو رجب بيحبكها مع العمال أوي .. قالها وخرج ثم تبعه فتحي بوجه شاحب غير مطمئن لما حدث منذ قليل، شعور يؤكد له أن هناك شيئًا ما خارج عن القانون وإلا ما الذي منعه من إخبارهما عن تلك العملية داخل مكتبه.

كان الصمت سائداً طيلة الطريق وكأن أحبالهما الصوتية ذهبت وسبقتهما إلى الورشة التي أوقف فتحي صديقه أمامها قبل أن يدلفا: تفتكر إيه موضوع العملية اللي عايزنا فيها البشمهندس؟

- علمي علمك، بس اللي أعرفه أنه بيحتاج ناس عشان يجرب عليها اختراعاته ويمكن يكون ده اللي عايزنا فيه.

- ممكن بردو كل شيء جايز.

- يلا ادخل بقى الورشة مش ناقصين كلام من أبو لهب أفندي.

(3)

في المساء ...
كانت الساعة قد قاربت الثامنة والنصف حين قفز فتحي وصديقه علاء داخل حافلة نقل الركاب التابعة للهيئة العامة والمعروفة برقم409.
على غير عادتها لم تكن الحافلة مزدحمة في تلك الليلة من كل أسبوع .... ليلة الخميس .... حيث تقام في تلك الليلة العديد من المباريات التي تكون فيها الأجواء صيفًا كاريبيًا على أضواء الشموع.
جلس في المقعد الفردي الذي يلي السائق وجلس صديقه خلف مقعده .. كان شاردًا ببصره إلى الخارج من خلف زجاج النافذة المرتجف بشدة متأثرًا بعطل ما في محرك الحافلة التي لو كانت لكارل بنز لكانت بخير حال.
ضغط السائق على زر الراديو وبحث بين محطات الإذاعة ثم رفع يده وأمسك بعجلة القيادة بعدما وجد ضالته .. كانت محطة الشرق الأوسط: أيها السادة المستمعون نحييكم .. ونقدم لحضراتكم عرضًا موجزًا لأهم عناوين وأخبار اليوم .... مصرع شخص وإصابة ثلاثة على الأقل في مشاجرة بالعصي والأسلحة البيضاء بمركز جرجا بمحافظة سوهاج ... قوات الحماية المدنية

تسيطر على حريق هائل في إحدى العقارات بشارع الهرم بالجيزة .. القبض على سفاحة حلوان والمعصرة أثناء محاولتها قتل الضحية الرابعة لها في أقل من أربع وعشرين ساعة وتدعى تششش .... كالعادة حدث تشويش لموجات الإرسال عقبها ذلك الصوت: وده وقته يا ولاد الكلب كنا عايزين نعرف مين ال... اللي عملت كده ..... كان ذلك صوت السائق الذي أخذ يسب ويلعن الإذاعة ومقدمة الأخبار ومهندس الصوت بضع وستين لعنة.

بعد لحظات عاد الصوت بإشارة جيدة كأنه يقصد استفزاز سائق الحافلة البدين الذي يتدلى كرشه فوق فخذيه: وبهذا العرض نكون قد وفيناكم أيها الأخوة المستمعون بأهم وآخر الأخبار.

هاج السائق كثور في حلبة قتال: يا ولاد الكاااالب فالحين بس يقولوا رممنا مبنى الإذاعة وصرفنا عليه يجي مليون جنيه وفي الآخر منعرفش نسمع أم النشرة.

هرول مساعد السائق ناحيته محاولًا تهدأته: صلِّ على النبي بس يا عم إبراهيم دي مكانتش نشرة أخبار اللي هتعمل فيك كده، معلش استحمل أنا عارف إنك خرمان ومأريف عشان معملتش الإستمورننج النهارده، بس ليك عليا أول ما نوصل أحمد حلمي هخلي سعيد الصعيدي يعمل معاك أحلى واجب.

سكت من كان هامسًا وانتبه من كان ناعسًا .... اشرأبت الأعناق وصاح بعض الركاب قبل أن يرغموا السائق على أن يوقف الحافلة ليتدلوا منها، في حين ظل بعض الركاب في مقاعدهم مؤمنين بأن العمر واحد والرب واحد.

بعد دقائق توقفت الحافلة على بعد أمتار من مشفى النيل البدراوي، ترجل منها فتحي وصديقه الذي كان معه بمثابة 140

دليل، تمشيا قليلًا قبل أن يوقفه علاء أمام أحد العقارات شاهقة الارتفاع والمطلة على النيل.

- هي دي العمارة يا توحا.

قالها علاء بعدما ألقى بمعشوقته أرضًا (سيجار سوبر كامل الدسم وقاطع للنفس. استقلا مصعد كهربائي أشبه بحمام ساونا بعد أن ألقيا بالتحية على حارس العقار الذي أخبرهما بأن عادل يقيم في الطابق السابع ... خرجا من المصعد ثم اتجها نحو باب منزله. ضغط علاء زر الجرس ولم تمر ثوانٍ إلا وفتحت لهما الباب سيدة بدينة في بداية العقد الخامس من عمرها.

- لو سمحتي البشمهندز عادل التلاوي موجود ... سألها علاء.

- آه موجود .. نقول له مين؟

- قولي له فتحي وعلاء اللي بيشتغلوا معاك في المصنع.

أشارت لهما بالدخول: آه آه اتفضلوا .. عادل بيه مستنيكم جوا في الريسبشن.

في الداخل كان الريسبشن غاية في الجمال ملئ بالأثاث ومتخم بتحف وديكورات على الطراز الأوروبي، تتوسطه منضدة عليها تمثال ذهبي صغير له جسد إنسان ورأس ثور، وتجاوره مطفأة سجائر فاض بها الكيل من الرماد وأعقاب السجائر.

في نهاية الريسبشن لمحا شبح رجل يقف داخل شرفتها المطلة على النيل .. لم يكن سوى عادل الذي استقبلهما بسلام حار قبل أن يشير إليهما بالجلوس. جلس فتحي بجوار صديقه بينما جلس هو أمامهما ...

- آدينا جينا لحضرتك أهو زي ما طلبت .. ممكن تقول لنا بقى إيه حكاية العملية دي؟

في تلك اللحظة أتت الخادمة تحمل بين يديها ثلاثة أكواب من القهوة وضعتهم فوق المنضدة وانصرفت.
- تاخدوا الخمسة آلاف جنيه وتتاموا معايا كام مرة؟
كان فتحي منحنيًا ليلتقط كوب القهوة فألقاه في وجهه قبل أن يمسك ذراع صديقه الذي تدلى فكه السفلي اندهاشًا: واصدمتاه.
سيناريو دار بمخيلته وحلم يقظة قصير لم يستفق منه فتحي إلا على صوت عادل: هاااا تحبوا تشربوا إيه؟
أجابه فتحي بعد شرود: شاي مظبوط ... بينما أخبره علاء: شاي بردو بس سكر زيادة .. كانت تقف الخادمة فطلب منها أن تحضر لهما كوبين من الشاي ثم أدار وجهه إليهما: طبعا أنتم عايزين تعرفوا إيه هو الموضوع اللي أنا عايزكم فيه.
- أكيد طبعًا يا باشا.
نظر إلى التمثال الرابض فوق المنضدة قبل أن يمسكه ... تأمله لحظات قبل أن يسألهما: إيه رأيكم في وزارة السياحة؟
نظر فتحي مشدوهًا إلى صديقه الذي بادله نفس النظرة قبل أن يستطرد الأخير: هه، واحنا دخلنا إيه بوزارة السياحة يا بشمهندز؟
- تعرفوا الوزارة دي بيدخلها كام في السنة من ورا السياح؟
زفر فتحي مستطردًا: ياريت حضرتك تقول أنت عايز إيه من غير لف ودوران.
- أحب أنا الراجل الحامي اللي يحب يدخل في الموضوع على طول. صمت هنيهة ثم أكمل: من الآخر كده أنا جالي خبر امبارح إن في خبير يوناني من بتوع الآثار اكتشف مقبرة فيها أكتر من ألف تمثال دهب من العصر اليوناني والروماني في الواحات البحرية أكيد تعرفوها.

- وإيه المطلوب منا؟؟
- بوص يا سيدي ... التمثال اللي قدامكم على الترابيزة ده اسمه الثور الذهبي أو المانيوتور، طبعا ده تمثال مزيف بس الحقيقي موجود في المقبرة اللي قولتلكم عليها ... وبالتحديد في غرفة الدفن رقم 13، في واحد خواجة يوناني حبيبي عايز التمثال ده مقابل خدمة هو قدمهالي. المطلوب منكم إنكم تجيبولي التمثال ده ومش هتاخدوا خمسة آلاف بس لأ ده كل واحد فيكم ليه عشر بواكي هيستلمهم مني ع الترابيزة بعد ما تنفذوا العملية.

وقف فتحي وبغلظة أردف: لأ يا بشمهندس حضرتك غلط في العنوان مش احنا اللي نعمل كده.

- يلا يا علاء .. قالها بصوت مرتفع لصديقه الذي أمسك بيده: يلا إيه بس .. تعالا معايا البلكونة عايزك في كلمتين.
- كلمتين إيه بس يا عم علاء، أنا مش ممكن أعم....

قاطعه واضعاً يده على فمه ثم جذبه بعنف من ذراعه ودفعه أمامه إلى داخل الشرفة المطلة على النيل بعد أن استأذنه علاء: خمسة وراجعين بعد إذنك يا بشمهندز.

ساد السكون لحظات وقف فيها فتحي متأملًا النهر الخالد بأمواجه المتلاطمة وسفنه المضيئة كنجوم في جوف السماء ... أدار علاء وجهه إلى فتحي وبصوت خفيض: تعرف يا فتحي إن البشمهندز عادل عنده حق.

- عنده حق في إيه بالظبط؟
- في المبالغ الضخمة اللي بتخش جيب الوزارة من ورا السياح.
- طب واحنا مالنا، ده رزق ربنا باعتهولهم.

- واشمعنا هما اللي بيستفيدوا ما احنا لينا في المعابد والآثار دي زيهم بالظبط، ولا الفراعنة كانت جدودهم هما بس.
- ومين قالك إن الفلوس دى احنا مش بنستفاد بيها، أكيد في جزء منها بيروح للتعليم والصحة والتعمير وغيرها من الخدمات.
- صحة !! سلامات يا صحة، تقدر تقولي لو كلامك ده صحيح ليه مارضيوش يعملوا العملية لمراتك ، وباريت مرضيوش ده أنت هتدفع فلوس وكمان هتستنى دورك لحد ميحنوا عليها ويعملولها العملية.
كلماته برغم حقيقتها إلا أنها كانت موجعة جعلت فتحي ساهمًا متيبسًا لم يجد في معجمه ما يدافع به عن حصن ينهار رويدًا رويدًا .. زرفت دمعة متمردة من إحدى مقلتيه حين نظر أخرى إلى النيل ليتطلع إلى وجه زوجته الممتد على ضفافه.
كانت عيناها مرقرقتين بالدموع، وهي ترمق رضيعها بنظرات حنان ممزوجة بوداع .. أغمض عينيه هربًا من ذلك المشهد الذي ما زال ملتصقًا في بطن جفنيه .. اقشعر جلده حين ربت صديقه فوق كتفه معتذرًا: أنا آسف يا فتحي مش قصدي أزعلك بس كنت عايز أفوقك. مقدمناش حل تاني غير ده عشان نقدر نجيب فلوس للعملية، أنا عارف إن اللي هنعمله ده غلط وبنعرض حياتنا للخطر بس زي ما قولتلك مفيش حل غير ده .... قالها وسحبه من يده إلى الريسبشن.
جلس فتحي منكس الرأس كطالب مراهق تم الإمساك به في مدرسة ثانوي بنات ... نظر إلى المنضدة فلم يجد أكواب الشاي فوقها !! لا يعلم هل تحولت إلى زجاجة خمر كما تراجع هو عن موقفه؟؟

- هو لا مؤاخذة إيه اللي ع الترابيزة ده يا باشا .. قالها علاء الذي بدا سعيداً بما رآه.
- ده يا سيدي وسكي معتق بقاله 20 سنة ومضاف عليه شوية حاجات كده زي الفسفور يخليك تسابق القطر جري.
- وسكي معتق ! والله داعيالك ياض يا علاء ... التقطها وقبّلها ثم وضعها مكانها. ضحك فتحي بعفوية بينما ضحك عادل بقهقة حتى احمرت وجنتاه شديدتا البياض: الله يجازي شيطانك يا علاء .. اشرب اشرب أنت وصاحبك على ما أروح أجيب حاجة من جوا.
تركهما بضع دقائق حاول فيهم علاء جاهداً أن يتجرع فتحي معه ولو رشفة واحدة لكن باءت محاولاته بالفشل.
عاد عادل بعد دقائق .. كان يحمل في يده لوحة ملفوفة بعناية.. جلس على مقعده ثم فردها فوق الترابيزة بعدما أزاح زجاجة الخمر ومطفأة السجائر.
كانت تحتوي على خريطة مُكبرة للواحات البحرية، أخرج من جيبه صورة لشخص ما ووضعها فوق الخريطة مستطرداً: الراجل اللي قدامكم في الصورة ده اسمه أبو كريم من الواحات البحرية وهو اللي هيدلكم على مكان المقبرة وهيساعدكم في كل حاجة وبالمناسبة أبو كريم ده واحد من ضمن فريق الحفر اللي شغالين هناك يعني بيعمل الشاي ويحضرلهم الأكل وكده، ده غير أنه بيفهم جداً في التماثيل والآثار ... وهيسهل عليكم حاجات كتير . أزاح الصورة قبل أن يكمل: ودي بقى خريطة خط سيركم .... طبعاً في البداية هتروحوا على جراج القطورة اللي في المصنع بعد ما تخلصوا ورديتكم هتكون الساعة 2 الضهر

تقريبًا ... قاطعه علاء: بس أنا يوم الجمعة ببقى وردية تانية يا بشمهندز.

- مفيش مشكلة هتدخل من البوابة على الجراج على طول وحاول متخليش حد يشوفك من عمال الوردية بتاعتك. هز علاء رأسه إيجابًا ولم يعقب، ثم أكمل م. عادل: هتركبوا قطر البضاعة اللي هيروح الواحات عشان يحمل خام الحديد، هتوصلوا تقريبًا ع الساعه 8 بالليل، هتنزلوا هنا .. كان يشير بسبابته على إحدى المناطق داخل الخريطة تسمى بمنطقة جبل غرابي ... بعد ما تنزلوا من القطر تسألوا أي حد هناك عن مكان اسمه قوس النصر الروماني وأول ما توصلوا عنده هتلاقوا أبو كريم واقف مستنيكم، طبعًا أنتم عرفتم شكله بس هو ميعرفكمش، أنا اتفقت معاه على كلمة سر بينكم وبينه .. عاجله علاء : اللي هي إيه بقى كلمة السر دي؟

- العدة مستعدة.

ابتسم فتحي وصديقه في سخرية قبل أن يكمل م.عادل: وبعد كده هو هيكمل معاكم المسيرة لحد ما تجيبوا التمثال وتحطوا التمثال ده مكانه وترجعوا المصنع بنفس الطريقة اللي مشيتوا بيها بس تاخدوا بالكم وتنزلوا قبل ما القطر يدخل بيكم على جهاز تبلر، طبعًا عارفين إيه اللي هيجرالكم لو دخلتوا جوا الجهاز، هنصلي عليكم جماعة تاني يوم .... ثم أخرج من جيبه أربع ورقات مالية فئة مائة جنيه، ناول فتحي ورقتين بعدما ناول صديقه الأخرتين: الفلوس دي حاجة بسيطة كده عشان تجيبوا اللي نفسكم فيه .. كده يبقى خلاص أنا قولتلكم كل اللي عندي لو عايزين تمشوا تقدروا تتفضلوا.

نهض فتحي وصديقه الذي التقط زجاجة الخمر مستأذنًا: بعد إذنك يا باشا هاخد السنيورة دي تبات في حضني النهارده .. أومأ إيجابًا قبل أن تتعالى ضحكاته: متغلاش عليك يا حراء .. أنت تستاهل أكتر من كده.

اتجها نحو الباب قبل أن يلتهمهما الأسانسير إلى أسفل ... عبرا الطريق بعد أن ألقيا بالتحية على بواب العقار الذي أعطى حقيبة بلاستيكية لعلاء بعدما طلبها منه ليواري سوأته .. أمسك علاء بيد فتحي ممانعًا حين أشار إلى إحدى الميكروباصات: أنت بتعمل إيه احنا هنمشي مش هنركب.

- نمشي إيه فوق يا عم الويسكي لحس دماغك ولا إيه؟

- ما لحسش دماغي ولا حاجة بس هنروح أنا وأنت مشوار قريب هنا في مساكن الكهربا.

- وهي مساكن الكهربا دي الشارع اللي جاي .. دي بعيدة يا ابني وبعدين مشوار إيه اللي عايز تروحه ده.

- هزور واحد صاحبي عيان.

- دلوقتي يا علاء دي الساعة داخلة على 11 واحنا في الشتا مش في الصيف والناس بتنام بدري.

- يا عم عادي وبعدين هو قال تعالا في أي وقت وخصوصا بالليل.

- خصوصا بالليل! ماشي يلا يا عم .. بس مش عايزين نتأخر أنا عندي وردية بكره بدري.

- خلاص ماشي يا توحا يلا بقى.

(4)

مشي فتحي معه كأنه لم يمشِ من قبل، كانت المسافة بعيدة حتى وصلا أمام أحد العقارات التابعة لمحطة الكهرباء .... كان السكون يخيم على المكان، لو أنصت بأذنيك لاستطعت أن تفرق بين خطوات نملة عذراء وخطوات نملة حامل في شهرها الأول.
صعدا سلالم العقار حتى وصلا إلى الطابق الأخير حيث يقيم صديقه المريض! ... فُتح الباب بعد طرقتين لا أكثر ... كانت تقف أمامهما امرأة في منتصف الثلاثينيات، بيضاء البشرة، ترتدي جلبابًا قصيرًا أقرب إلى قميص نوم، ينسدل شعرها الأحمر العنابي على منكبين ناصعي البياض ... نظر فتحي إلى أسفل خجلًا في حين أردف علاء: إزيك يا مدام سماح يا ترى سمير موجود ولا لأ.
هزت رأسها في عدم فهم، فرماها علاء بغمزة أدركت مغزاها، كانت ما تزال عينا فتحي تثقب الأرض حين رمقته: آآآه .. آه طبعًا موجود اتفضلوا.
دفعه علاء برفق إلى الداخل قبل أن يهمس في أذنيها بكلمات لم يلتقطها ردار فتحي الذي نظر خلفه حين سمع صرخة باب غُرس في ثقبه مفتاح بعدما أُغلق بإحكام ... جلس على كنبة الأنتريه بعدما فطن بما تمتمه صديقه في أذنها، وبالطبع تذكر

حينها رواياته الحامضة عن سماح مراكب ... جلس علاء بجواره بينما ذهبت هي إلى المطبخ لتحضر كأسين كما أمرها.

- بقى كده يا علاء بتغفلني وتقولي هنزور واحد عيان.

- روق بقى ومتبوظش الليلة من أولها .. احنا بنزور ست وحدانية، جوزها مات من سنتين، اتكهرب بعيد عنك في المحطة ... بذمتك مش ثواب زيارتها أكتر من ثواب زيارة المريض.

- لأ وأنت الصادق ده أكتر من زيارة الكعبة ... أنت بتستعبط يا علاء؟

أتت سماح تحمل في يدها السنيورة كما لقبها صديقه، كانت ممتلئة عن آخرها لا يعلم كيف! ربما أضافت عليها بقايا خمر من ليلة أمس! مدت يدها تناول فتحي كأسًا بعدما ناولت علاء واحدة فرمقها بنظرة (كان غيرك أشطر).

مطت شفتيها: هو ماله يا أخويا صاحبك عامل كده ليه؟

زجرها فتحي بنظرة حادة: عامل إيه يعني؟

تدخل علاء: بقولكِ إيه سيبك من صاحبي دلوقت، قومي اتحزمي كده وإديها هزتين خلي القعدة تح.....

قاطعه فتحي: هزتين مين يابا هاتي المفتاح يا ست أنتي خليني أغور من هنا.

هز علاء رأسه نفيًا: تمشي إيه احنا هنروح مع بعض .... بس خلاص أنا هريحك يا فقري .. أدار وجهه إليها ثم أكمل: أنا هاخد سموحتي ونكمل ليلتنا جوا.

سحبها من يدها واتجها سويًا إلى غرفة نومها تاركين السنيورة وكأسين فارغين بجوار فتحي.

لحظات وارتفع صوت الفنان حسن الأسمر الصادر من سماعات الكاسيت .. (أعملك إييه تعبتني .. أعملك إييييه حيرتني .. أعملك إيه شغلتني) .. صم فتحي أذنيه متحاشيًا سماع صخب الكاسيت.
بعد لحظات جف لسانه فجاهد ليبلل شفتيه قبل أن يذهب إلى المطبخ باحثًا عن مياه يروي بها حلقًا تحجر.
ترك المطبخ وصنبوره الجاف من مياه لم تطأه منذ زمن على ما يبدو ... اقترب من غرفة النوم بعدما تجول داخل منزلها شرقًا وغربًا باحثًا عن قطرة ماء. إنطفأ المذياع بغتة فدفعه فضوله دفعًا لينحني ويطلق شعاعه البصري من ثقب الباب وموجاته فوق السمعية ليخترق بها حواجز الغرفة.
الأحمق يجلس بجوارها فوق السرير، ويخبرها عن ما حدث معهما منذ قليل في منزل عادل التلاوي .. أنهى حكايته قبل أن يهم واقفًا ليسدل بنطاله ذاهبًا إلى نزهة نيلية بسفينة سيكون هو قبطانها .. زفر فتحي غضبًا بقوة رياح شمالية شرقية غير معتدلة قبل أن يعود إلى مجلسه أمام السنيورة .... تأملها بنهم كتأمل مراهق لبنت الجيران، أمسك عنقها ورفعها إلى فمه بعدما وصل به الظمأ إلى منتهاه .... كانت تصرخ الزجاجة بين يديه مقتدية بسيدة الدار التي أزعجته تأوهاتها .. لم يرحمها من قبضة يده سوى نفاذها حتى آخر قطرة ... سقطت الزجاجة أرضًا فوق سجادة حمراء، لا لم تكن سجادة! كانت بئرًا عميقًا بلا ماء هوى بداخلها حين انحنى ليتقط الزجاجة فاحتضن وجهه السجادة أو قعر البئر كما خُيل له.
تسارعت نبضات قلبه انقباضًا وانبساطًا في إيقاع غير مُنتظم، انسدلت جفونه لا إراديا قبل أن تلتف السجادة به كورقة بغرة

متخمة بالتبغ ... حاول جاهدًا بأن يُفتك بها، يمُزقها، يقُطعها فلم يستطع، استغاث بصديقه مناديًا بصوت لم يسمعه، استسلم كفأر ضُيق عليه الحصار حتى وقع في المصيدة، لحظات مثقلات مرت عليه كأمد قبل أن يعود ويتزن.

هم واقفا بعدما دعك عينيه محاولًا استيعاب ما يراه .... لم يكن في منزلها، كان يقف وسط صحراء جرداء تكسوها رمال سوداء لم يرَ مثلها من قبل .. أدار جسده للخلف حين سمع نعيقًا لغراب يُحلق فوق كهف يشع منه ضوء أحمر خافت، يتصاعد منه دخان أبيض كسحابة.

عقد حاجبيه اندهاشًا حين رأى لافتة أعلى الكهف كُتب في منتصفها (معبد النوم الشفائي)، اقترب بحذر مختلط بخوف حين سمع إيقاعات قرع طبول .. دلف إلى الداخل قبل أن يسير ببطء في ممر نصف قطري متصل بدهليز داخلي شبه مستدير في نهايته غرفة مرتفعة عن مستوى الممر بخمس درجات، صعدها بقدمين مرتجفتين ثم أزاح بيده ستارًا أحمر اللون قبل أن تتسمر قدماه حين رأى امرأة تقف في منتصف الغرفة تُوليه ظهرها فلم يتبين منها شيء سوى فستانها الإغريقي المتلألئ بفصوص من الماس وشعرها الأصفر الجذاب.

حاول الدخول فلم تستجب قدماه التي التصقت بالأرض، انتفض حين مر بجواره رجل حليق الرأس يرتدي شملة تحيط بجسده البدين من أعلى كتفيه حتى أسفل قدميه. مد يده مُرحبًا بالمرأة: مرحبًا يا أميرة كليودوليندا كيف حالك؟

بالطبع لم يزعج فتحي ذلك الأسم بقدر ما أزعجه عدم رؤية وجهها حين استدارت لتصافح ذلك الكائن الضخم: لست بخير.

تجول فتحي الغرفة بعينيه باحثًا عن صاحبة نبرة الصوت الأخاذة التي صدرت منذ لحظات فلم يجد سواها في الغرفة ... بتعجب سألها الطبيب: ولمَ؟

- لقد سئمت الحياة مع زوجي الأمير أوفسكو.

- لماذا؟

نظرت لأسفل هربًا من سؤاله فأدرك صمتها: هل أصبح عديم المناورة وخابت صولاته وجولاته في الفراش؟

- نعم ... وجئت إليك اليوم لتجد لي حلًا.

- مُرادكِ عندي .. لقد انتهيت بالأمس من صنع إكسير له طابع خاص يختلف عن الإكسير الذي كان يستخدمه القدماء.

- حقًا! فيمَ يختلف؟

- من يشرب جرعة صغيرة من هذا الإكسير وينظر إلى عينيكِ أكثر من عشر ثوانٍ سيصبح .....

- أكمل سيصبح ماذا؟

- سيصبح كالثور.

- سيتحول إلى ثور؟!

- لم أقل سيتحول بل قلت سيصبح.

- وما الفرق .. لم أفهم بعد!!

- إذا كان ذلك الشخص ضعيف الإيمان بالرب .... سيصبح كالثور الهائج .. ينقض عليكِ ويُلثم شفتيكِ ويعتصر ما بين كتفيكِ وينال من ما بين فخذيكِ. أما إذا كان إيمانه قويًا فسيترككِ حين يرى الحاجز.

- حاجز!! أي حاجز؟

- لكل إنسانٍ منا حاجز نفسي ومعنوي وهو أقرب للنفس التي تلوم صاحبها، والحاجز أيضًا هو الشيء الذي يراه أو يتخيله الشخص فيجعله يتذكر عذاب الرب فيتراجع عن المعصية أو أن يرى الشخص في صورة شخصٍ آخر عزيزًا عليه فيستحي أن يفعل المعصية أمامه.

- ولمَ تقول معصية ... أليس الأمير زوجي؟

- أجل ... لكنني أقصد لو أن شخصًا آخر شرب منه غير الأمير.

- حسنًا ... أنا أريد ذلك الإكسير ... ولكن أريد قبل ذلك أن تقوم بعمل جلسة تنويم واسترخاء لي.

- حسنًا كما ترغبين ... والآن اجلسي ثم استرخي بظهرك تمامًا لكي نبدأ جلستنا.

اللعنة على أصحاب المؤخرات العريضة، لم يتبين فتحي وجهها حتى الآن .. قبض فتحي براحة يديه فوق بطنه حين أحس بألم يعتصرها عصرًا، غثيان ورعشة انتابته وفيض كهربي سرىَ في جسده أرغمه على السقوط أرضًا بجوارها ... . سماح صاحبة المنزل .... كانت نائمة بجواره فوق سريرها عارية كما وُلدت.

انتفض ونهض مبتعدًا عنها ثم هرول مسرعًا ناحية باب الغرفة بعدما التقط بنطاله وقميصه .. دفع الباب بقوة وخرج.

تيبست قدميه ثانيًا حين رأى المشهد كما هو .... الطبيب يقف وتتوارى خلفه المرأة النائمة فوق أريكة مائلة تشبه كراسي عيادات الأسنان: هل انتهت الجلسه أم لا؟

- نعم لقد انتهت جلستنا لكن لا تنهضي من مجلسك إلا بعد مرور عشر دقائق على الأقل، سأذهب إلى الغرفة المجاورة لأجلب لكِ الإكسير.

على ما يبدو أن فتحي قد فاته العديد والعديد من الأحداث في تلك الجلسة بسبب قيامه بعمل تغطية صحفية مع سيدة الدار!!
لكن لا بأس .. سيرى المرأة الآن بعدما يلملم ذلك الطبيب أدواته ويذهب إلى الغرفة المجاورة.
كان ذلك قبل أن يشهق فتحي بقوة حين انتشله علاء من غياهب المعبد: ولا يا فتحي اصحى يالا، إيه اللي منيمك على الأرض كده؟!
بعينين زائغتين استفاق وعدل من وضعيته في نصف جلسة قبل أن يوبخه: الله يخربيت أمك يا شيخ، حبكت يعني تيجي دلوقت قبل ما أشوف البت.
- بت مين يا نمس ... ليك حق ما أنت خلصت تلات أربع الإزازة لوحدك ... على رأى المثل إن لم تستح فاشرب ما شئت.
- متفكرنيش وحياة أبوك، أنا شربتها من هنا وسافرت للجحيم.
- جحيم إلا جحيم .. ده أنا عملت النهارده واحد فستيكس عمري ما عملته في حياتي.
في تلك اللحظة هَلت عليهما سماح بقميص نومها وهي تتثاءب، جلست فوق كرسي الأنتريه ويتعجب: مالك يا أخويا أنت وهو .. قاعدين على الأرض كده ليه؟
أجابها فتحي ببرود: بنلعب يوجا عندك مانع.
- طب يا أخويا بدل ما تلعب يوجا في الصالة تعالا نلعبها أنا وأنت جوا في الأوضة.
ومضت أمامه صورتها وهي نائمة بجواره عارية فوق سريرها، نفض عن رأسه شيطان مارق قبل أن يضيف: لأ مبلعبش مع بنات.

مطت شفتيها قبل أن تتنحنح: على رأى المثل اللي مبتعرفش ترقص تقول الأرض عوجة.

عصر فوق رأسه ليمونة ليكظم غيظه: قوم بينا نمشي يا عم زفت في ليلة أهلك السودا دي.

ملحوظة: من مميزات صديق السوء أنه لا يغضب حين تسبه أو تلعنه بالإضافة إلى محاولاته المستميتة لكبح جماحك.

- خلاص بقى يا توحا .. هدي أعصابك عشان خاطري .. هي الساعة كام دلوقت؟

أدار فتحي وجهه باحثًا عن ساعة الحائط حتى وجدها ... كانت تشير إلى الثانية بعد منتصف الليل: يا نهار أزرق دي الساعة اتنين قوم يا عم خلينا نروح ننام ساعتين عندى شغل بكرا بدري.

وقف وساعد علاء على النهوض .. تقدمتهما سماح وهي تُخرج المفتاح من خزانة صدرها .. أدخلته في ثقب الباب وفتحته. خرج فتحي مسرعًا وتبعه صديقه بعدما طبع قبلة على شفتيها ولوح لها بيده أن إلى اللقاء.

(5)

كانت الساعة قد قاربت الثالثة فجرًا حين ودع فتحي صديقه بعد وصولهما أمام منزل علاء الذي يبعد عن منزله بثلاث نواصٍ .. قادته قدماه إلى المسجد المجاور لمنزله .. كان الفجر قد أوشك على الأذان .. في الداخل توضأ وصلى ركعتين داعيًا الله أن يغفر له ما اقترفته أمعاؤه .. رُفع الأذان وأُقيمت الصلاة بعد دقائق معدودة. صلى بهم الإمام جماعة، كانوا ثمانية أشخاص لا تاسع لهم ... قُضيت الصلاة فهمَّ بالوقوف واتجه إلى إحدى حوائط المسجد ثم ارتمى بجوارها فاردًا ظهره فوق سجاد متهالك من أثر السجود ... أغمض عينيه بعدما قرأ المعوذتين وآية الكرسي ثم أولى ظهره للحائط متكئًا على جانبه الأيمن حتى غط في نوم عميق لم يستيقظ منه إلا حين دقت الساعة السادسة صباحًا على صوت ساعة الحائط التي تردد أذان الحرم المكي كل ساعة. نهض متجهًا إلى دورة المياه التي قضى بداخلها ما يقرب من العشر دقائق .. توضأ وصلى ركعتين قبل أن يغادر المسجد.
اتجه بعد ذلك إلى منزل شقيقته فاطمة التي تكبره بعامين، اكتفت بالإعدادية ولم تكمل تعليمها، متزوجة منذ عشر سنوات وتعيش هي وزوجها فقط بعد ذهاب للأطباء دام لأكثر من ثلاثة

أعوام فضلًا عن تحاليل وفحوصات وتناول عقاقير ووصفات وأعشاب .. إلا أن الله عز وجل لم يهبهما مولودًا حتى الآن.

على درجات السلم قابله زوجها وحيد بذراعين مفتوحين اعتصر بهما ضلوع فتحي بين أحضانه .. لم يره منذ أمد. طيب القلب ذو وجه بشوش، صافح فتحي مستأذنًا في الذهاب إلى عمله بعدما اطمأن على أحواله وعن زوجته وطفله الصغير .. وبالطبع كانت الإجابة بأن كل شيء على ما يرام.

صعد الدرجات الأربع المتبقية ثم قرع الباب بطريقته الكلاسيكية المعتادة ... انتظر لحظات حتى فتحت له الباب شقيقته ... رماها بنظرة حادة معاتبًا: قولتلك مية مرة متفتحيش الباب وأنتي سايبة شعرك .... البسي التحجيبة على مهلك وبعد كده افتحي الزفت الباب.

- وأنا قلت مية مرة إني بعرفك من خبطتك .. عشان كده بفتح الباب وأنا مطمنة.

- طب منا عارف بس قلت أعمل عليكي فيلم وأخضك.

ابتسمت وسحبته من يده: طب تعال اقعد جوا في الدفا لحسن الجو اليومين دول رصاص.

دلف إلى الداخل ثم جلس على الكرسي المفضل له قبل أن تسأله: أعملك شاي ولا أحضرلك الفطار الأول؟

- لا ده ولا ده، أنا جيت أسلم عليكي وأقولك تبقى تخلي بالك من أم أيمن عشان عندي سفرية النهارده تبع الشغل واحتمال أرجع بكرا أو بعده الله أعلم ... ابقي إديها خبر وطمنيها عليا أحسن مشوفتهاش من امبارح كنت مطبق في الشغل.

- ماشي يا أخويا تروح وتيجي بالسلامة، ومتخافش مراتك في عينيا الاتنين لحد متيجي بالسلامة، هقوم بقى أعملك الشاي.
أمسكها من يدها وصافحها غصبًا: لأ .. ملوش لزوم يا بطة، هستأذن أنا بقى عشان ألحق عربية الشركة.
- ماشى يا حبيبى، ربنا يجعلك في كل خطوة سلامة.
- لا إله إلا الله.
- سيدنا محمد رسول الله.

...

ودعها وانطلق مسرعًا إلى مكان وقوف الحافلة التي انطلقت للتو بعدما وثب بداخلها بأنفاس متسارعة وصدر يعلو ويهبط من أثر ركض دام لخمس دقائق ليلحق بها قبل أن تقلع.
نصف ساعه وتخطت الحافلة البوابة الشرقية للمصنع فقفز منها كعادته قبل أن تتوقف ... سار مترنحًا من تأثير كحول يجري في شرايينه منذ ليلة أمس، مر بجوار وحدة الميكروفيلم التي لا يعلم فيما تستخدم حتى الآن، لوح بيده مُلقيًا التحية على زميلٍ له حين وصل أمام ورشة صيانة المعدات الثقيلة التي يتوسطها فناء واسع يعلوه ونش علوي بامتداد الفناء، يستخدم في عمليات النقل والرفع والخفض، تتشتر على يمينها غرف الاستراحة وخلع الملابس وعلى يسارها تمتد بعض الورش الصغيرة من بينهم ورشة الزيل المنتمي لها فتحي منذ تعيينه.
ذهب إلى غرفة ملاحظ العمال المدعو أبو رجب والشهير بأبو لهب، قصير القامة، صليع الرأس منذ أن ولد على الأرجح، على عينيه نظارة طبية ماركة كعب كوباية تستند على قصبة أنفه

المبعجرة الأشبه برأس فاكهة اليوسفي .. اقترب فتحي على بعد خطوة من مكتبه الصاج.

كان ممسكًا بسماعة هاتف هُتك عرضها من كثرة مكالماته: ألو، أيوه يا ريس محروس أخبارك إيه؟ معاك الريس أبو رجب، الأمر لله وحده ... بس كنت عايزك تبعتلي واحد كهربائي من عندك عشان يصلح دايرة الإشعال بتاعة العربية الزيل .... آه وياريت تبعت محمود عشان هو اللي صلح الدايرة دى قبل كده ... لأ ربنا يخليك .. مع ألف سلامة ... مع السلامة.

أنهى مكالمته ووضع السماعة في محجريها قبل أن يمسحه مسحًا بنظرات مشمئزة كمن رأى أمامه صرصارًا حافي القدمين، عاجله فتحي قبل أن يفتتح مزاده اليومي من تعليمات وإرشادات مختلطة بتوبيخ وإهانة: صباح الخير يا ريس قالولي على بوابة الورشة إن حضرتك عايزني خير؟

أراح ظهره للخلف قبل أن يجيبه: صباح النور .... أخدت بالك من العربية الزيل اللي قدام ورشتك؟

- أكيد طبعًا بس إشمعنى؟

- دواسة الفرامل.

- مالها؟

- السواق بيقول إن السيرفو عطلان والدواسة بقت تقيلة عن الأول، عايزك تروح تشيك عليها وتكشف على دورة الفرامل كلها.

- اسمها دايرة يا ريس مش دورة.

اتسعت حدقتاه وتناثرت منها شظايا غضب مختلطة بسخط: نعم يا حبيبي اسمها إيه دايرة مش دورة! بقالي 20 سنة بشتغل في الورشة وأنت يا ابن امبارح جاي تعمل فيها أبو العريف!

- ليه بس يا ريس؟
- الفرامل دي يا أفندي بتشتغل بالزيت ولا بالكهربا؟
- بالزيت طبعًا.
- خلاص يبقى اسمها دورة زي اللي بتجيلهم كل شهر كده .. لأن الزيت من السوايل، إنما لو كان داخل فيها كهربا يبقى اسمها دايرة زى دايرة الإشعال كده .. فهمت ولا لسه؟
هز فتحي رأسه إيجابًا وابتلع ريقه خجلًا: آه فهمت .. تمام كده وصلت الفكرة يا ريس.
- يلا بقى روح شوف شغلك.
أعطاه ظهره ومشي مسرعًا إلى الخارج كسجين انتهت فترة عقوبته، تبًا لأصحاب النظارات ماركة كعب كوباية.
ذهب إلى ورشته وأحضر بعض الأدوات اللازمة لإجراء عملية استئصال هواء عاجلة وحرجة ... صب سطلًا من الشاي سيجعله واعيًا حتى ينتهي من إنجاز المهمة .. اتجه نحو شاحنة الزيل التي أصبحت كعملة أهل الكهف ... انزلق أسفلها مرتخيًا بظهره الذي عانق الأرض ... رفع غطاء الحماية قبل أن ينتزع الإسطوانة الفرملية ويقوم بتثبيت الخرطوم في نبل صمام النزف، سحب مفتاح النزف ووضعه في الصامولة المسدسة ثم وضع الطرف الآخر للخرطوم غاطسًا في إناء مملوء بزيت باكم، طلب من السائق بأن يضغط على الدواسة ليمسكها ويربط الصامولة، ثم طلب منه تحرير قدمه من فوق الدواسة لتعود إلى وضعها، أدار الصامولة ربع لفة ثم ملأ علبة الزيت مرة أخرى.
كرر الخطوات السابقة عدة مرات حتى خرج الزيت عبر الخرطوم إلى الإناء خاليًا من الفقاعات الهوائية، ثم ربط الصامولة وقام

بتجميع وتركيب باقي الأجزاء .. استغرقت تلك المهمة ما يقرب من الساعتين والنصف.

كانت الساعة الثانية عشر بتوقيت القاهرة والثانية عشر وست دقائق بتوقيت أنتاركاتيكا حين نهض فتحي ملتقطًا كوب الشاي البارد.

احتساه على ثلاث دفعات حتى وصل أمام دورة المياه، في تلك اللحظة سمع صوت الشيخ ياسين يرفع أذان صلاة الجمعة بصوته الشجي ... اتجه إلى المسجد الصغير التابع للورشة لأداء الصلاة بعدما توضأ بمياه الصنبور المثلجة من تأثير درجة حرارة الجو المنخفضة عليها.

...

في الثانية ظهرًا تحرك قطار نقل البضائع بعدما صعد العربة الأخيرة (السبنسة) فتحي وصديقه الذي أتى قبل لحظات من تحرك القطار.

دقائق وتوقف القطار في منتصف كوبري المرازيق المخصص لعبوره من فوق نهر النيل.

زفر فتحي: يادي النيلة وده وقته القطر باين عليه عطل يا علاء يا وش النحس.

- القطر معطلش ولا حاجة أنا متفق مع السواق يقف شوية فوق الكوبري.

- ليه إن شاء الله النيل وحشك ولا إيه؟

- سماح جاية معانا.

- نعم يا أخويا سماح مين اللي جاية معانا .. هي فاكرانا طالعين رحلة ولا إيه؟!

لم يُكمل جملته إلا وظهرت سماح، صعدت درجات السلم بدلالها المعتاد: سمو عليكو يا خوبا أنت وهو عاملين إيه؟
رمتها وجلست بجوار علاء: اتأخرتي ليه يا سموحتي مش قولتلك تبقي هنا الساعة اتنين وربع بالظبط؟!
- يا أخويا المواصلات كانت زحمة .. أموت نفسي يعني.
- لأ بعد الشر عليكي يا حبيبة ألبي.
- ما تخلصونا بقى من فيلم غرام في القطر ده، قوم يا عم زفت قول للسواق يتكل على الله في يومكم الأخبر ده.
أشعل علاء سيجارته ببرود ثم نظر في ساعته: السواق هيطلع كمان دقيقتين أنا قولتله أول ما الساعة تيجي اتنين ونص تشد عجلك على طول.
- لأ شاطر وباريتك كمان كنت قولتله احنا رايحين الواحات نعمل إيه!
- لأ عيب عليك .. أخوك حويط بردو، أنا قولتله إننا رايحين نصور فيلم سينمائي في الواحات.
- لأ حويط حويط يعني ... على الله يكون صدقك.
كانت سماح مسترخية يلتصق ظهرها بجدار العربة، تكشف عن جزء من ساقيها ناصعي البياض، شاردة ببصرها لأعلى تراقب دخان سيجارتها التي منحها لها علاء فور استقلالها العربة، ومضت أمام فتحي صورتها ثانيًا وهي عارية تنام بجواره فوق سريرها، فوقف واتجه نحو النافذة مبتعداً عنها وعن صورتها التي تأبى ترك مُخيلته.

(6)

في التاسعة إلا الربع مساءً ...
أعلنت صافرة القطار عن وصوله منطقة جبل غرابي. تدلوا بحذر حتى لا يراهم أحد، مشوا عشرات الأمتار حتى ابتعدوا تمامًا عن موقع العمل. أوقف فتحي طفلًا صغيرًا يبدو في العاشرة من عمره، كان يرتدي جلبابًا متسخًا ، يتزاحم الذباب على وجهه الأسمر، برغم ما يبدو عليه من فقر إلا أنه يحتفظ بمسحة جمال تظهر على عينيه الزرقاوين: مين إنتو وإيش تريدون؟
أجابه فتحي وشبح ابتسامة على وجهه: احنا سياح يا حبيبي وكنا عايزين نروح عند قوس النصر الروماني بس توهنا في الطريق.
- تعالوا وراي آني هوصلكوا.
قادهم الصغير إلى حيث أخبروه، أخرج فتحي من جيبه ورقة مالية فئة عشر قروش ومد يده مناولًا إياها للطفل الذي رمقه بنظرة حادة: لا ما باخد شي من حدا. قالها وتركهم مهرولًا حتى اختفى عن أبصارهم في غياهب الليل المظلم.
اتجهوا نحو قوس النصر، أخرج فتحي من جيبه صورة لأبي كريم فوجده يقف أسفل القوس ... تقدمهم علاء بخطوتين ثم مد يده مصافحًا: أبو كريم، واحشني يا راجل .. فينك من زمان.
- إيش بتجول وحشتك!! كيف وحشتك يا رجال؟

تدخل فتحي على الفور بعدما صافحه: هو قصده يقولك العدة مستعدة .. انفجرت سماح بضحكتها المائعة: هيهيهي قال عدة قال فاكرين نفسكم فرقة حسب الله وجايين تحيوا فرح ولا إيه؟! رماها فتحي بنظرة حادة أن (اخرسي).

أومأ الرجل رأسه إيجاباً: مظبوط يا رجال .. هدا هو الحكي، هيا اتبعوني ... سأله علاء: على فين يا مولانا؟

- على داري .. لابد من ضيافتكم وكمان ترتاحوا شوي من تعب الجطر.

لم يعارضه أحد، فالإرهاق كان يبدو عليهم من أثر قطار مارق أشبه بأرجوحة أطفال. خمس دقائق ووصلوا إلى بيته المتهالك المصنوع من الطوب اللبن. طرق الباب ففتحت لهم سيدة ترتدي عباءة سوداء، مُلثمة الوجه، انصرفت مسرعة إلى حجرة مجاورة ودلفوا هم إلى حجرة الجلوس التي أشار لهم أبو كريم بدخولها.

في الداخل كان يجلس رجل يرتدي جلباباً وعمامة، يبدو صعيدياً، تجاوره امرأة قمحاوية البشرة، شعرها شديد السواد، ترتدي عباءة سوداء أيضًا لكن وجهها غير مُلثم.

جلس فتحي ومن برفقته بعدما ألقوا السلام على الحاضرين.

- منورينا يا چماعة، أعرفكم ده أخوي موريس من سوهاچ ودي زوچته.

قالها أبو كريم كإجراء روتيني للتعارف، فأومأ فتحي برأسه أن تشرفنا، في حين تساءل علاء: موريس! وأخوك! طب تيجي إزاي ولامؤاخذة.

- لأ هو مش أخوي شجيجي بس زي أخوي وهو يبجى يحكيلكم إحكايته بعدين واحنا بنتعشوا.

قالها ونهض مستأذنًا ثم اتجه إلى المطبخ، في حين أدار فتحي وجهه ناحية موريس وزوجته قبل أن يسأله بمهابة ضابط أمن دولة: أنت قتلت واحد في سوهاج وهربت من بلدك وجيت تستخبى هنا عند أبو كريم صح؟

تغير لونه وبهتت ملامحه قبل أن ينظر مشدوهًا إلى زوجته التي بادلته النظرة ذاتها بعدما وضعت يدها فوق بطنها المنتفخ من أثر حمل في شهره الأخير.

- إعرفت من وين؟

- متقلقوش أوي كده، الحكاية وما فيها إني سمعت في الراديو امبارح إن في خناقة حصلت بين عيلتين في سوهاج وفي واحد مات وكام واحد اتصاب .... يعني كنت بخمن وتخميني طلع في محله.

تنفس موريس الصعداء قبل أن يجامله: ما شاء الله عليك .. نمسكوا الخشب.

ابتسم في امتنان قبل أن يخبره موريس بالتفصيل عن ملابسات المشاجرة وما حدث معه حتى أتى هو وزوجته إلى هنا، كما أخبره عن نيته المستقبلية في السفر إلى القاهرة للبحث عن عمل وبدء حياة جديدة مع زوجته وطفله الذي لم يأتِ إلى الدنيا بعد .. أما عن صديقه فكان منشغلًا في حديث ما مع سماح التي تجلس إلى جواره.

...

مرت ثلاث ساعات تحدثوا خلالهم عن كل شيء وكيفية دخول الحجرة الثالثة عشرة في تمام الرابعة فجرًا بعد ذهاب أبو كريم لتخدير عمال الحراسة بوضع أقراص منوم داخل أكواب الشاي،

بينما ستكون البقية على مقربة منه في انتظار إشارته للبدء في تنفيذ المهمه.
دقت الرابعة فجرًا ... ودق معها ناقوس الخطر، أعدوا العدة وتقدمهم أبو كريم الذي أخبر موريس بأن يذهب مع زوجاتهما بالقرب من القطار ليعودوا معهم إلى القاهرة.
في الطريق سأله علاء الذي يمشي بجواره ممسكًا بيد سماح كعصفورين كناريا: وعلى كده بقى يا أبو كريم هما ألف تمثال فعلًا زي ما قال البشمهندز عادل ولا أكتر؟
توقف عن السير عاقدًا حاجبيه في غضب مختلط باندهاش: إيش بتجول ألف! وتمثال كمان!
بتلقائية سأله فتحي: أومال كام يا أبو كريم؟
- مي اتنين وتسعين موميا وما فيهم أي تمثال، والحكومة نجلت شوي لوادي الملوك وشوي للمتحف الروماني، وما متبجي إهني سوى أربع مومياوات محتاچين ترميم وصيانة.
صدمة بعد أخرى لم يمر عليها دقائق. صمت فتحي ولم يعقب، فما فائدة الهدف بعد صافرة التسلل. أكملوا السير حتى توقف فتحي في مكان وسط صحراء تكسوها رمال سوداء!
وقف مشدوهًا جاحظ العينين لما يراه أمامه .. يعرف أنه قد رأى ذلك المشهد من قبل لكن أين؟ ومتى؟ لم يتذكر! التفت حوله باحثًا عن الكهف، الضوء الأحمر، الدخان الأبيض، لم يجد شيئًا.
- هتوجفوا مكانكم عشر دجايج متتحركوا لحد ما أچيلكم.
رماها أبو كريم وانطلق في اتجاه اللهب المشتعل على مرمى البصر بعدما أخذ معه تُرمس الشاي وبعض الأكواب البلاستيكية.
تسمروا بأماكنهم منتظرين عودته كما أمرهم.

كانت تدندن سماح التي تقف بجوارهما في محاولة لكسر الملل بينما أخرج علاء علبة سجائره ... أعز ما يملك ... أخذ واحدة وأشعلها منفثًا دخانها في الهواء.

- على فكرة صوتك حلو يا سماح.

خرجت الجمله من فم فتحي لا إراديًا لكنها الحقيقة لا شيء آخر، كان صوتها شجيًا بالفعل.

عقدت حاجبيها مندهشة لما تفوه به: بتتكلم جد، أنا أول مرة حد يقولي صوتك حلو، لأ وكمان تيجي منك أنت، ده أنا مبنزلكش من زور.

- لأ أبدًا .. ليه بتقولي كده أنتي صوتك حلو فعلًا، وبعدين إيه مبنزلكش من زور دي، تكونيش مراة أبويا وأنا معرفش.

- أهو رجع يحدف دبش تاني، ع العموم يا أخويا أنا هغني مع نفسي وهتجنبك خالص.

- أيوه عليكي نور اتجنبيني خالص.

دقائق وعاد أبو كريم وهو يلتقط أنفاسه حتى هدأت: ها إيه الأخبار؟ ... سأله علاء بعدما ألقى بسيجارته الثانية.

- كل شي تمااام .. بس ما لجيت سوى رجال واحد من عمال الحراسة، وما أحد شرب شاي غيره.

- ليه وبقية العمال راحوا فين؟ سأله فتحي.

- ذهبون إيصلوا الفجر في الچامع الغربي.

- طب وبعدين إيه العمل دلوقتي؟

- الخطة سايرة زي ما اتفجنا، ما تخافوا الچامع الغربي بعيد عن إهنه بياچي نصف ساعة مشي .. وسواعي العمال إينامون في

الجامع إلحد الصبح ويتركوا رچال واحد في الحراسة وزمانته نايم، هيا إتبعوني وما تخافوا.
أنار كشافه اليدوي وتقدمهم سيرًا حتى وصلوا أمام المقبرة. كان الخوف يكسو فتحي من مقدمة رأسه حتى إخمص قدمه .. أما عن علاء وسماح فكانا في حالة تلبس، كانت تتشبث بذراعه خوفًا وهو يمسح بيده على شعرها حتى أسفل ظهرها. هبطوا السلالم ثم دلفوا إلى الداخل وساروا في ممر ضيق، مروا على اثنتي عشرة غرفة كانت كلها مضاءة بلمبات نيون، وبالطبع كانت الغرف فارغة كما أخبرهم أبو كريم الذي توقف عن السير أمام الغرفة الثالثة عشر التي كانت مغلقة بباب حجري منقوش بكلمات إغريقية، انتظر ثوان حتى تجمعوا خلفه قبل أن يقول: الزمبيل ها مكتوب عليه تهديد واعر.
- تهديد ! .... رددها الجميع في صوت واحد.
- ما تخافوا ... التهديد ها مو إلنا نحنا.
- أومال لمين؟ ... سأله فتحي.
- للخواچة اللي اكتشف المجبرة وبلاده، التهديد بيجول: ستعصف رياح الفقر وستحلق طيور الضنك فوق بلدان من سولت لهم أنفسهم أن يزعجوا المانيوتور في مرقده.
قالها أبو كريم ثم رفع الغطاء الحجري قبل أن يدلفوا جميعًا. الصدمة الثالثة على التوالي! ... كانت الغرفة فارغة إلا من لمبة نيون باهت لونها ورسومات ونقوشات على جدران الحجرة تبدو من العصر اليوناني.

ضحك علاء بهستيريا ملقيًا بما في جعبته من ألفاظ سأتجاوز عن صياغتها ثم أكمل بصوت مرتفع نسبيًا: يعنى إيه!! يعني تعبنا واتشحططنا ع الفاضي ... حد يرد عليا.

ظل فتحي صامتًا ساهمًا يواري حزنه خلف رسومات الجدران وهو يتأملها .. عامل يمسك فأسًا منحني الظهر، فتاة تمسك آلة موسيقية وتعزف، كاتب مكفي بوجهه على بردية يدون لحظات الحزن الآسي، كاهن يرفع يديه لأعلى طالبًا العون من الله، محارب في إحدى يديه رمح والأخرى درع يعانقها طفل صغير يجره خلفه بكل ما أوتي من قوة، ثور فاتحًا فاه على مصراعيه، امرأة تصرخ رافعة يدها إلى أعلى تبحث عن منقذ ينتشلها من عذاب كائن لا يعرف الرحمة، شاب يقف داخل حفرة ليست بعميقة مُشتعلة بالنيران، طفل صغير يبكي جالسًا يضم ركبتيه إلى صدره.

- محدش بيرد عليا ليه؟

أعادها علاء مدوية زلزل صداها الغرفة.

- إهدا يا علاء .. اللي بتعمله ده ملوش لازمة.

هدأ قليلًا ثم رمقه بنظرة ابتلع منها فتحي ريقه خوفًا .. هز رأسه علامة الموافقة: فعلًا معاك حق .. أنا لازم أهدا، لو سمحتوا تسيبوني أنا وسماح شوية عايزها في موضوع لوحدنا.

- موضوع إيه يا ابني، أنت اتجننت هو ده وقته؟

ارتفع صوته بعصبية: آه .. وقته أنا كده لما بتضايق بتطلب معايا بنوم.

- يا عم يلا نمشي قبل ما حد يجي ... مينفعش اللي أنت عايز تعمله ده.

كانت جملته بمثابة جمرة ملتهبة أثارت بركان غضب لدى علاء الذي انحنى ملتقطًا حجارة صغيرة، قذفها لأعلى فأصابت هدفها وأسقطت اللمبة النيون فتناثر زجاجها فوق أجسادهم .. ثم أكمل صراخه كالملسوع: براااااا براااا قبل ما أرتكبلكم جناية النهارده .. انطلق أبو كريم مهرولًا إلى الخارج بعدما أصبحت الغرفة مظلمة إلا من ضوء خافت يأتي من الغرفة المجاورة.

بالطبع لم يستطع فتحي إقناعه في التراجع عن ما ينوي اقترافه: خلاص أنا هسيبك تعمل اللي تعمله وهمشي، بس هستناك عند القطر عشان نرجع سوا، وهدي أعصابك شوية البت بتترعش جنبك من الخوف ... ألقي كلماته وذهب حاملًا ثقلًا بداخله جعله يهوى محتضنًا بجسده أرض الممر الضيق بين الغرفة الثالثة عشر والمجاورة لها.

لحظات وفتح عينيه لا إراديًا على بريق تمثال صغير من الذهب .. هز رأسه بعدما اعتدل في جلسته محاولًا استيعاب ما يراه راقدًا بجواره. التقطه في عجالة ثم وضعه في حقيبته وهم بالنهوض متجهًا إلى الخارج بأنفاس متلاحقة شهيقًا وزفيرًا .. في الخارج كان يقف في انتظاره أبو كريم: ليش اتأخرت وليش خلجاتك إمغبره إكده؟

- لأ أبدًا مفيش .. أصلي اتشنكلت في جحر جوا ووقعت بس الحمد لله جات سليمة.

- يعني هتجدر تمشي لحالك ولا أسندك.

- لا لا متقلقش هقدر أمشي لوحدي يلا بينا.

ألقى فتحي نظرة أخيرة مسح فيها الصحراء برمالها السوداء قبل أن يغادرا المكان.

(7)

في الصباح تسللت أشعة الشمس الدافئة مخترقة نوافذ العربة الأخيرة للقطار ... كان يجلس بداخلها فتحي وبصحبته موريس وزوجته وأبو كريم وزوجته النائم طفلها بين يديها .. نظر إلى ساعته فوجد عقاربها تُشير إلى السادسة والنصف صباحًا. تدلى من العربة قاصدًا السائق الذي أخبره بأن القطار سيتحرك في تمام السابعة ... طلب منه أن يوقف القطار أعلى الكوبري كما أوقفه في رحلة الذهاب وبالطبع لم يعارض وسأله عن موعد عرض فيلمه الجديد فأخبره بأن الفيلم سيُعرض في أول أيام العيد .. تركه ورجع إلى العربة يزفر متأففًا .. لم يتبقَّ من الوقت سوى عشرون دقيقة حتى يقلع القطار وصديقه والكونتيسة لم يأتيا حتى اللحظة .. عشرون دقيقة مرت مسرعة .. سمع صافرة القطار الصاخبة معلنة عن قيام رحلة العودة إلى أحضان القلعة الصناعية.

كانت الساعة قد قاربت الرابعة عصرًا حين غادر فتحي إحدى اللوكاندات المتواجدة بشارع حيدر باشا بعدما ودع أصدقاءَه الجدد على أمل في لقاء آخر في اليوم التالي للبحث عن حلول منزلية وسكنية وعمرانية على الساحة الإقليمية والدولية.

في الخارج عبر الطريق بعدما اشترى جريدة استوقفه عنوان صفحتها الأولى (سرقة تمثال الثور الذهبي من معبد المومياوات الذهبية بمنطقة الواحات).

أشار إلى سيارة لم يُزعجه عادم شكمانها بقدر ما أزعجه ما طُبع على زجاجها الخلفي (يا بُني اركب معنا ولا تكُن مع الكافرين) .. فتح الباب وركب في الكنبة الخلفية أرخى ظهره وأراح رأسه على مسندها ثم أغمض عينيه للحظات كنوع من أنواع الاسترخاء الذهني .. فتح عينيه وفتح معها حقيبته ثم ألقى نظره بداخلها وأغلقها بعدما اطمأن على التمثال الراقد بداخلها منذ فجر اليوم.

رفع الجرنال في مستوى رأسه متفاديًا نظرات سائق كادت تشرخ مرآته الرديئة .. أعاد قراءة المانشيت قبل أن يغوص بين سطور الخبر.

تلقى صبيحة اليوم قسم شرطة الواحات البحرية بلاغًا من أحد عمال الحفائر بمحيط معبد المومياوات الذهبية .. يفيد فيه أنه استيقظ في السادسة صباحًا على صوت رجل وامرأة يهرولان على بعد عشرات الأمتار حين صرخت المرأة وتوقفت ثم أكملت ركضها بعدما ابتعدت عن ثعبان متوسط الحجم اعترض طريقها وأفاد أيضًا أنه لم يتبين وجههما على الرغم من ركوضه وراءهما لعشرات الأمتار .... وعلى الفور اتجه معاون المباحث إلى مكان الحادث لمعاينته.

اكتفى فتحي بما قرأه وطوى الجرنال ثم دسه داخل حقيبته حين سأله السائق: مقولتليش عايز تنزل فين في الشارع الغربي يا باشا؟

- هنزل عند مستشفى النصر.

- ألف سلامة عليك.
- لأ أنا مش تعبان ولا حاجة.
- يبقى لازم رايح تزور واحد مريض .. ربنا يقومهولك بالسلامة.
- ولا رايح أزور حد .. أنا شقتي هناك جنب المستشفى يا حاج ... ومتخافش هدفعلك أجرة بزيادة بس شد حيلك ع الدواسة.
- من عنيا يا أستاذ.

ثلاث دقائق وتوقفت سيارة الأجرة بجوار المشفى ... حاسب السائق ونزل متجهًا إلى منزله متحاشيًا نظرات الشفقة الآتية من أعين المارة، وكأنهم علموا ما حدث معه منذ البارحة.

صعد درجات السلم عدوًا ثم قرع الباب فوجده مواربًا، دفعه ودخل ... كان السكون يُخيم على المكان إلا من صوت الشيخ عبدالباسط الآتي من مذياع غرفة الجلوس التي تجلس بداخلها شقيقته مُرتدية ملابس سوداء، تحيط صغيره بذراعيها، وأنفها توردت من أثر بكاء شديد .. لم يكن بحاجة ليتساءَل ماذا حدث؟ فملك الموت يأتي دون سابق استئذان ويتوعد أي كائنٍ من كان: لي فيكم عودة ثم عودة ثم عودة حتى أفنيكم ولن أبقي على ظهرها منكم أحدًا.

وقفت شقيقته حين رأته أمامها: شد حيلك يا أخويا .. الله يرحمها، متغلاش على اللي خلقها.

لماذا لا يحقنوننا في الصغر بلقاح ضد مرض شلل الصدمات؟

حبس دموع أوشكت على الفرار قبل أن يندفع إلى غرفة النوم ليجدها، كانت نائمة بلا حراك وبلا شهيق، وبلا زفير فوق سريرها تكسوها ملاءة بيضاء يعرفها جيدًا .. ملاءة من فارقوا الحياة .. بهتت الألوان وحل الظلام، تحرك أمامه كل شيء إلا هي.

انزلقت حقيبته من فوق كتفه وسبقتها دموعه المنهمرة كمياه من صنبور منكسر، بحث عن أعصاب في يد مرتعشة يكشف بها عن غطاء تتوارى تحته من ملاءته حبًا وحنانًا ... أزاح الغطاء عن وجهها ثم هوى على ركبتيه كنيزك فضائي ليتأمل وجهها الدقيق قبل أن يواريه التراب ثم رفع رأسه لأعلى وناجى خالقه في صمت: يا من جعلت أفئدة العباد بين إصبعيك تقلبهم كيف تشاء، ارحم قلبًا واهنًا سيقطر دمًا وسيبكي ندمًا على انصياعه لهواه.
لِمَ قبضت روحها وتركتني حيًا؟ فأنا من استحق الهلاك جزاءً لفعلتي التي فعلت لكني أيقنت الآن بأن موتها هو عقاب لي على ما اقترفت، فيا صاحب العفو اقبل توبتي وامحُ خطيئتي ولا تجعلني هالكًا أو ملعونًا، فإن لم ترفع مقتك عني فلتبتلعني أرضك أو ليصعقني رعدك أو لتحملني رياحك، فتلقيني في أسفل سافلين.
ظل بجانبها ما يقرب من العشر دقائق قبل أن تدخل شقيقته الغرفة وتربت على كتفه: شد حيلك يا حبيبي متعملش في نفسك كده، الله يرحمها ماتت في يوم مفترج.
لم يستطع التحدث من كثرة بكائه فأومأ برأسه لأعلى ولأسفل ولم يعقب، أمسكت بذراعه تساعده على النهوض: تعال يا أخويا اقعد برا مع وحيد في أوضة الجلوس على ما نغسلها أنا وأم ممدوح ... نهض مستسلمًا لطلبها ثم ألقى نظرة أخيرة مودعًا بها أغلى ما كان لديه في الحياة.
في غرفة الجلوس تلقاه وحيد بحضن حار ووجه حزين كإجراء روتيني في مثل تلك المواقف: البقاء لله ... شد حيلك يا فتحي يا أخويا .. كلنا لها.

- الشدة على الله.
جلس وحمل صغيره بين أحضانه وقد واسته أم ممدوح وذهبت إلى غرفة النوم. أدار وجهه لينظر إلى صورة معلقة على الحائط، صورة جمعتهما يومًا ما، التفت إلى وحيد الذي باغته: ناوي تدفن الأمانة إمتى إن شاء الله يا أبو أيمن؟
أمانة! نعم أمانة هكذا سنصبح يومًا ما .... مجرد أمانة يسأل عنها القاصي والداني ... هل غسلتم الأمانة؟ هل كفنتم الأمانة؟ هل دفنتم الأمانة؟ هل قسمتم ميراث الأمانة؟
- بكرا بعد صلاة الضهر إن شاء الله.
- طيب هستأذن أنا يا أبو أيمن، وهجيلك بكرا بدري بإذن الله.
قالها ونهض متجهًا نحو باب المنزل بعدما صافحه، وربت على كتفه. أغمض فتحي عينيه وشرد في مشاهدة فيلم حصري يذاع لأول مرة عن ذكرى الماضي .. كانت هي البطلة وهو زوجها.

...

أسبوعان من العزلة قضاهما فتحي بمنزله عقب وفاة زوجته، يعيش بلا حياة، يأكل ويشرب بلا شهية، لم يذهب إلى عمله ولا يرغب في رؤية أحد، الوحدة تذكره بالماضي الذي عجز عن فك قيوده ليعيش حاضره، عساه ينسى. أما عن شقيقته فكانت تأتي صباحًا لتنظيف المنزل وإعداد الطعام وتلبية احتياجات صغيره، وفي المساء تذهب لبيت زوجها لإعادة المهام السابقة .. أخبرها بأنه سيذهب إلى عمله ابتداءً من الغد حتى لا يتم فصله عن العمل، فطلبت أن تأخذ طفله ليقيم معها ومع زوجها لمراعاته وأيضًا كتعويض لأمومة حُرمت منها، وبالطبع لم يعارض فتحي رغبتها في ضيافة صغيره في منزلها لأجل غير مسمى.

في الصباح .. أيقظه جرس منبه مهترئ من غياهب الظلمات ... أسكت صراخه وتوجه إلى دورة المياه التي توقف لحظات أمام مرآتها يتحسس وجهًا عابس أغبر تغزوه لحية أعلنت عن ميلاد شعيرات بيضاء .. أنجز مهمته وحلق ذقنه ثم خرج بعدما استبدل ملابسه، ومشي حتى ثلاجته الخاوية إلا من قطعة جبن وشطيرة من بقايا عشاء أمس، هرس قطعة الجبن فوق الشطيرة قبل أن يلتهمها ويغادر منزله متجهًا إلى الحافلة التي ستلقيه أمام ورشته ليجد استقبالًا حافلًا من الأحضان والمواساة من زملاء العمل، واستقبالًا حافلًا بالإهانة والتوبيخ على الجانب الآخر من ملاحظه في العمل الذي خالف توقعاته باستقباله المتواضع ومواساته فيما قد مر به: البقاء لله يا فتحي يا ابني، كلنا لها.

- سبحان من له الدوام، أنا بعتذر لحضرتك عن تأخيري في نزول الشغل ومستعد لأي جزا.

- لأ أبدًا مفيش جزا ولا حاجة، أنت جايلك توصية يا سيدى من رئيس مجلس الإدارة بنفسه.

- رئيس مجلس الإدارة!! هو مش مات من كام أسبوع؟

- لأ التوصية دي من رئيس مجلس الإدارة الجديد المهندس عادل التلاوي.

- إيه ده هو المهندس عادل اترقى وبقى رئيس مجلس الإدارة؟

- آه يا سيدي عقبالك لما تترقى وتبقى رئيس عمال زيي كده .. صحيح نسيت أقولك المهندس عادل قال لما فتحي ينزل الشغل خليه يجيلي مكتبي عشان أعزيه، روحله قبل ما تغير هدومك.

داخل مبنى رئاسة مجلس الإدارة، اتجه فتحي مباشرة إلى مكتب عادل التلاوي وبالطبع يسرت له الأمور لمقابلته.

داخل مكتبه الأنيق الواسع انحنى فاردًا يده يصافحه باستياء: البقاء لله وشد حيلك ... وبدوره صافحه قبل أن يشير له عادل التلاوي بالجلوس .. جلس فتحي بينما ضغط هو على زر بجانبه ثم تحدث: خليهم يبعتولنا اتنين قهوة مظبوط يا وفاء ومتدخليش أي حد علينا.

- مش تباركلي ع المنصب الجديد.

- ألف مبروك يا باشا.

- الله يبارك فيك.

أكمل بعد صمت: من اسبوعين كده بفتح الجرنال بالصدفة أنت عارفني مبحبش الجرايد .. المهم لاقتهم كاتبين خبر عن سرقة تمثال من معبد المومياوات الذهبية، روحت على طول متصل بحبايبي هناك وأكدولي الخبر، بس اللي عرفته من أبو كريم لما جالي هنا إنكم لاقيتوا المعبد فاضي ومفيهوش أي حاجة، بيني وبينك أنا صدقته، أبو كريم محترم وما يكدبش عليا أبدًا.

- مظبوط يا عادل باشا، احنا فعلًا لاقينا المعبد فاضي ومفيهوش أي حاجة.

- أنا مصدقك ... بس عايزك تديني عقلك، التمثال اتسرق إزاي؟

- معرفش ... علمي علمك.

في تلك اللحظة قطع حديثهما دخول القهوة مع الساعي الذي وضعها وانصرف في الحال.

- من الآخر كده التمثال فين يا فتحي؟ في ناس شافوك وأنت بتاخده.

انزلقت جمرة حمراء ملتهبة وحشرت بقصبته الهوائية منعت عنه الأكسجين وعززت من مخزونه الاحتياطي لثاني أكسيد الكربون:
ناس مين يا عادل بيه؟
- مش مهم تعرف ... المهم تقول التمثال فين؟
- هو سيادتك عايز التمثال ليه؟ ده ميجيش حاجة جنب الهايلمان اللي حضرتك وصلتله.
- التمثال ده مطلوب بالاسم، وزى ما قولتلك واحد خواجة يوناني يعز عليا أوي محتاجه في حاجة معينة، ومستعد يدفع هايلمان أكبر من الهايلمان اللي أنا وصلتله.
- التمثال مش معايا يا باشا.
- بوص يا فتحي .. أنا عارف إن موت مراتك مأثر عليك، فحاول تنساها .... الفلوس اللي هتاخدها من ورا التمثال هتعيشك ملك وتقدر تبتدي حياة جديدة مع واحدة تانية وتالتة كمان .... ياريت متضيعش الفرصة دي من إيدك.
- أنا واخد عهد على نفسي إني متجوزش عليها حتى لو ماتت ... أما بقى بالنسبة لعيشة الملوك مبحبهاش عشان مُضرة بالصحة.
- يعنى ده آخر كلام عندك؟
- بالظبط كده يا بشمهندس .. عن إذنك.
انتصب واتجه نحو الباب فأوقفه: فتحي، استحمل اللي هيجرالك.
تهديد متوقع لم يعره انتباهًا ... أكمل في طريقه مغادرًا غرفته والمبنى بأكمله .. بالطبع سيذهب إلى منزله لينتظر جواب انقطاع العمل والاستغناء عن خدماته.

(8)

مساء اليوم ذاته .... جلس فتحي أمام مكتبه بعدما أخرج التمثال من خزنته المتواضعة .... عبارة عن تجويف صغير أعلى الحائط يواريه ببرواز زجاجي كُتب في منتصفه بخط كوفي (عساها تكون المنجية) أهداه إياه والده بعدما نصحه بأن يقرأها بقلبه وليس بعينيه ليتذكرها قبل أن يهُم بفعل المعصية حتى يتراجع عن ارتكابها لعلها تكون حقًا هي المُنجية.

أمسك بالتمثال ورفعه أمام عينيه، كان غاية في الجمال ... شرد للحظات غاب فيها عن الواقع عائدًا إلى المشهد الذي تركه من قبل .. الطبيب يغادر الحجرة ذاهبًا للحجرة المجاورة .. لحظات وعاد يحمل زجاجة تحتوي على سائل أحمر .. زجاجة الإكسير.

- ها هو الإكسير يا أميرة كليودوليندا.

التقطت منه الزجاجة قبل أن تسأله: متى يتجرعها الأمير؟ وكيف؟

- قبل المضاجعة مباشرة، ما بين سبع إلى عشر قطرات يضعها في كوب صغير به ماء ثم يتجرعه دفعة واحدة .... واحذري ... لا يزيد ولا يقل عن النسبة التي ذكرتها.

- وماذا سيحدث إن تجاوزوا تلك النسبة؟

- من المحتمل أن يغيب عن الوعي.

- حسنًا ... شكرًا جزيلًا يا طبيبنا الأعظم.

- لا تشكريني ... هذا واجبي.
في الخارج كان في انتظارها أربعة حراس يلتفون حول كرسي مطعَّم بالذهب جلست فوقه قبل أن يحملوها بالكرسي ويسيروا في اتجاههم إلى القصر.
حاول فتحي أن يركض خلفها فلم تستجِب قدماه، أراد أن يقترب من وجهها الساحر .. أن يلمس شعرها الأصفر الجذاب المتدلي حتى أسفل ظهرها، أن يتأمل عينيها الزرقاوتين وابتسامتها التي كشفت عن نغزتين هما الحياة ولا جدال ... نعم لقد رآها تلك المرة وباليته لم يرَها لقد فتنته بجمالها وتبخرت كسراب يحسبه الظمآن ماء.
رحلة قصيرة عاد منها إلى واقعه على صوت طرقات خفيفة تكاد لا تسمع. اتجه ببطء ممزوج بخمول نحو الباب بعدما أعاد التمثال إلى خزنته .... فتح الباب فلم يجد أحدًا في مستوى عينيه فأمال رأسه ناظرًا إلى أسفل ... كانت تقف طفلة صغيرة ترتدي فستانًا جعلها كعروس مولد .. ابتسم لها قبل أن يسألها: نعم يا حبيبتي، عايزه إيه. أجابته ببراءتها ولثغتها الأخاذة: لو ثمحت يا عمو ممتن تدبلي العلوثة بتاعتي اللي وقعت عندت في البلتونة. رفع حاجبه بغضب محاولًا مداعبتها: لأ مث ممتن ولو ثمحتى تمثي من هنا لحثن أنادي ماما تضلبت ... كرمشت وجهها استعدادًا لبكاء ونحيب فعاجلها: خلاص .. خلاص يا سكر متعيطيش أنا بهزر معاكي .. أنتي اسمك إيه؟
- بثمة منثور.
- عاشت الأسامي يا بسمة ... قوليلي بقى نفسك تبقي إيه لما تكبري؟

- نفثي أبقى دكتولة.
- دكتورة مرة واحدة ... كويس عشان آجي أكشف عندك بس ببلاش .. استني بقى هدخل أجيبلك العروسة وآجي.
دلف مسرعًا إلى الشرفة والتقط عروستها التي تشبهها بعدما استغرق نصف دقيقة في البحث عنها .. عاد إليها حاملًا عروستها برفق: أي خدمة يا دكتورة بسمة وآدي العروسة أهي. أخذتها ثم أشارت إليه بيدها الصغيرة أن اقترب فانحنى مقتربًا من وجهها ظنها ستقبله جزاءً على إنجازه للمهمة، لكن لم تفعل ... اقتربت من أذنه وهمست: في واحدة ثت دخلت من الباب دوقتي وأنت بتدبلي العلوثة من البلتونة يا عمو . انتصب بعدما قبَّلها في جبينها: آه دي تلاقيها فاطمة أختي، بس ع العموم متشكرين يا دكتورة بسمة، يلا روحي كملي لعب بعروستك واوعي توقيعها تاني.
هرولت الطفلة من أمامه وصعدت درجات السلم قفزًا، لوَّح بيده إلى سيدة عجوز تجلس على عتبة المنزل المقابل له ... الحاجة روحية هكذا ينادونها جيرانها .. تعيش وحيدة بعد أن رحل زوجها وطفلاها في حادث وسيلة نقل تسمى بآخر مواصلة (القطار سابقًا) ليست مجنونة ولكنها تتحدث كثيرًا مع نفسها حين تجلس بمفردها متأثرة بصدمة نفسية من جراء الحادث الذي نجت منه وحدها من بين أسرتها بالإضافة إلى بعض أمراض الشيخوخة .. يعطف عليها فتحي ويجلس معها بالساعات ويساعدها ويطمئن على أحوالها من حين لآخر .. استأذنها بأدب وأغلق الباب ثم اتجه إلى غرفة الجلوس ومنها إلى المطبخ باحثًا عن شقيقته فلم يجدها.

عاد إلى غرفة نومه فتيبست قدماه عند بابها بعدما تدلى فكه السفلي ... لم تكن شقيقته ... كانت سماح تجلس فوق مكتبه مستمتعة بصوت طرقعة لبانتها التي تتغذى عليها.

- أنتي قاعدة عندك بتعملي إيه؟ وإزاي تدخلي بيتي من غير ما تستأذني.

- لاقيت الباب مفتوح روحت داخلة، وبعدين دي طريقة تقابل بيها ضيوفك ده بدل ما تقول حمد الله ع السلامة.

- حمد الله ع السلامة ... نعم بقى جاية ليه؟

- علاء فين؟

- المفروض أنا اللي أسألك السؤال ده ... علاء كان معاكي آخر مرة لما جريتوا من عامل الحراسة.

- اللي كان بيجري معايا ده مش علاء.

- نعم ... أومال مين؟

- واحد معرفوش.

- هتستعبطي .. متعرفهوش إزاي؟

- أنا لما صحيت الصبح لاقيت نفسي لوحدي .. وكانت هدومي متقطعة وفي كدمات في جسمي خرجت أدور عليه زي المجنونة عشان أعرف ليه عمل فيا كده بس ملقتوش ... كان في واحد واقف بيرعى غنم ومعاه عيل صغير ولما شافني بالحالة اللي كنت عليها سألني مين اللي عمل فيكي كده .. قولتله في ناس اتهجمت عليا وخطفوني وجابوني هنا واغتصبوني. راح ساب ابنه الصغير مع الغنم وخدني وطلعنا نجري لحد ما وصلنا بيته .. وهو ومراته ضايفوني يومين لحد ما ساعدني ورجعت القاهرة مع

ناس بينزلوا كل شهر يشتروا بضايع .. بس ده اللي حصل ومن ساعتها وأنا ماشوفتش علاء عشان كده سألتك عليه.

- غريبة أوي الحكاية دي ... يا ترى يكون مختفي فين الفترة دي كلها؟

- معرفش علمي علمك ..... هو التمثال فين؟

- نعم يا أختي تمثال إيه؟

- على فكرة أنا شوفتك وأنت بتاخده من ع الأرض.

تيبس للحظات لم يجد ما يتفوه به لينكر ... غرقت الحجج وتاهت بين الأمواج.

- طب وأنتي دخلك إيه عايزة إيه من التمثال؟

- بوص المثل بيقول القط بيحب خناقه.

- يعني عايزة إيه بردو مش فاهم؟

- يعنى أنا عايزاك أنت يا سي فتحي .. واعتبرني معرفش حاجة عن التمثال.

قالتها ونهضت في اتجاهه ... كانت ترتدي ديريل بحمالة فأزاحتها ببطء من فوق كتفها واقتربت أكثر ... حملق فيها بغضب قبل أن ينفجر بركانه. جذبها من ذراعها بقوة نحو الباب فتعثرت وسقطت أرضًا ... همدت لحظات حدجته خلالها بنظرة رغم قوتها إلا أنه لمح بريق عينيها ... ظل شاخصًا ببصره لحظات فومضت أمامه للمرة الثالثة صورتها وهي تنام عارية بجواره ثم ومضت أمامه صورة للمرأة التي رآها بالمعبد .. وومضت أمامه صورة ثالثة لزوجته وهي على فراش الموت ... ثم أتاه صوت والده فنظر أعلى الحائط فوجدها (عساها تكون المنجية) .... كانت مُطمئنة جعلته يبتسم في ارتياحية ... هدأ واستكان ثم ساعدها على

النهوض طالبًا منها في رجاء بأن تغادر منزله فلم تعارض رغبته واتجهت إلى الخارج ... عاد هو إلى مكتبه في اللحظة التي سمع فيها صرخة مكتومة تأتي من صالة منزله.

هرول باتجاه مصدر الصوت فوجدها ملقاة أرضًا منكبة على وجهها ... في ظهرها سكين مغروسة صنعت حولها بقعة من الدماء ... هم بالاقتراب منها فتراجع عندما أحس بشخص يتحرك خلفه حين رأى ظلًا يمتد. أدار جسده بحركة مباغتة فتلقى عقبها ضربة في منتصف جبهته كانت كفيلة بأن يختفي كل شيء من أمامه.

جحظت عيناه في الوجه المُلثم قبل أن تخبو ... سكتت الأصوات إلا من طنين يخترق أذنيه ... لم يعد يتمالك نفسه وأحس بدوار فسقط دفعة واحدة في حفرة عميقة لم يصطدم بقاعها ... حفرة كفيلة بترحيله إلى ضفاف الفرع الكانوبي للنيل حيث كان يقف رجلًا شاردًا إلى انعكاس صورته في المياه تحت ضي القمر. كان ممشوق القوام، مفتول العضلات، شعره منسدل فوق كتفيه، ذو لحية خفيفة، يرتدي تونيك حربي، كان أشبه بمقاتل إغريقي في كامل عدته الحربية. يقف إلى جواره فرس أبيض اللون كثيف الشعر مربوط بشطنين. أخرج من جعبته حفنة من مكعبات السكر وأدناها من فمه فالتقطها الفرس من يده.

نظر خلفه حين سمع صوت طفل صغير يركض مناديًا: يا أبي ... يا أبيييي .. يا معمر .. مسح المكان بنظرة يمنة ويسرة حتى وجد مصدر الصوت.

اقترب الطفل منه حتى بات على بُعد خطوة، كان يلهث بقوة من أثر عَدو استمر لنصف ساعة ... كان يرتدي جلبابًا مهندمًا ما يزال

نظيفًا رغم ركوضه أميالًا فوق الرمال .. كان أشقر البشرة، أزرق العينين ... يشبه ذلك الصبي الذي قادهم إلى أسفل قوس النصر الروماني .... انحنى الرجل قليلًا: ما بك يا رودسي، لماذا تركض هكذا؟

- أريد أن أذهب إلى بيت جدتي يا أبي.

- حسنًا ... سنذهب غدًا كما اتفقنا.

- لا ... أريد أن أذهب إليها في الحال.

- لقد حلت ظلمة الليل يا بني. غدًا نذهب إليها في الصباح الباكر.

بكى الطفل ثم جلس وضم ذراعيه إلى ركبتيه وطأطأ رأسه لأسفل متظاهرًا بالحزن والغضب .. اقترب منه الفارس ثم حمله وربت على ظهره: لا تبكِ يا صغيري، سنذهب إلى جدتك الآن عن طريق شاطئ نوقراطيس لنعبر الضفة الأخرى للفرع الكانوبي.

التقط الفارس درعه ورمحه وقفز واثبًا فوق جواده بعدما أجلس الصبي أمامه على ظهر الفرس الذي انطلق بهما كقطار يشق الهواء الطلق بصدره.

دقائق وتوقف الفرس الأبيض بعد شد لجامه على بُعد عشرات الأمتار من حورية تنتمي لبني البشر .. كانت تختبئ خلف كرسي ذهبي ترتعد خوفًا، تتناثر حولها جثث وأشلاء لأربعة من الحرس كانوا يحملوها منذ دقائق قبل أن يخرج عليهم ثور خرافي من جوف الماء لم يستغرق في الفتك بهم سوى عشر دقائق .. كان الثور يصول ويجول على مقربة من المرأة وكأنه يبحث عنها، كان يُصدر ضجيجًا مرتفعًا .. تفوح منه رائحة كريهة ويسيل من شدقيه الزبد.

ترجل الفارس من فوق جواده حين رأى ذلك المشهد ... أنزل طفله الصغير قبل أن يشير إليه بسبابته آمرًا محذرًا: ابقَ مكانك يا رودسي ولا تقترب مهما حدث.
أومأ الطفل إيجابًا: لا تقلق يا أبتِ سأبقى مكاني، ولكن ما رأيك في أن أُخرج لك ثعباني الصغير من حقيبتي ليُقاتل معك.
ابتسم له الفارس ولم يعقب ... تركه واقترب قاهرًا نفسه من رائحة ثور هاج وماج وأخذ يشخر وينفر حين أصبح الفارس على بُعد بضعة أمتار ... قبل أن يهجم الثور لينقض على فريسته رفع الفارس يده لأعلى واعتصر رمحه بين قبضته في مستوى أفقي، قذف رمحه بقوة فنفذ في مقتل جعل الثور يترنح كممسوس قبل أن يسقط أرضًا.
كانت المرأة تتابع المشهد منبهرة بذلك الشجاع الوسيم الذي لوح لها بيده مناديًا: اقتربي يا أميرة كليودوليندا ولا تخافي.
كان الثور ما يزال على قيد الحياة يتلوى، أصبح عديم القدرة على المناورة ... اقتربت الأميرة فأمرها الفارس بأن تُقيده بحزامها كالرسن حول رقبته.
كانت ثقتها كبيرة بذلك الغريب الجرئ ففعلت ما طلبه ... سار بجانبهما الثور نحو أثوار المدينة ككلب مُطيع اعترف بجريمته، أما عن طفله وجواده فنسيهما بالقرب من الشاطئ.

...

عَلت الهتافات والأصوات بالدعوات وتمجيد الفارس المغوار .. نبعت من أفواه جموع غفيرة من أهل المدينة الشاكرين المُهللين الفرحين بما حققه لهم من إنجاز لقتله كائن بث في قلوبهم الرعب لسنوات .. قدموا فيها فلزات أكبادهم من الفتيات!

قرابين وعطايا لسد جوعه ولتحاشي ردة فعل وهجوم لا قِبل لهم به ... انصرف الجمع واستدعاه زوجها الأمير لضيافته بصدر رحب.

داخل القصر جلس الفارس متكئًا على أريكة داخل حجرة استقبال صفوة المدينة من كهنة وأساقفة وأمراء وتجار ... كانت الحجرة مهيبة تُزين جدرانها نقوشات ورسومات ولوحات فنية، وفسيفساء من الرخام زحفت لتفترش فراغات أرضيتها بتصاميم وأشكال متنوعة وألوان مبهرة.

كانت تجلس الأميرة بجوار زوجها تنظر لأسفل تارة ... وتنظر للفارس أخرى .. نهض الأمير مستأذنًا لجلب هدية ثمينة للفارس شكرًا وتقديرًا ... تغندر وتبختر حتى الخارج ببدانته ومؤخرته المكتنزة بالكثير من أثر جلوس دام لسنوات منذ توليه مقاليد الإمارة.

وضع الفارس يده فوق بطنه كاظمًا غيظ أمعائه من رائحة ثور متشبثه بأنفه وحلقه حتى اللحظة ... قامت الأميرة من مجلسها واقتربت لتطمئن: ما بك يا مُعمر ... هل أصابك مكروه؟

- أنا بخير لا عليكِ.

- لست بخير ... أخبرني ما الذي يؤلمك؟

- لا شيء يؤلمني .. أشعر فقط بأنني سأتقيأ. لا تزال رائحة الثور تلازم أنفي.

- إذًا سأذهب لأحضر لك دواءً من حجرة الطبيب.

قالتها وانسحبت على الفور إلى غرفة طبيب القصر ... لحظات وعادت إلى الحجرة القابع بها الفارس. أغلقت بابها واتجهت مسرعة نحوه وهي تمسك بزجاجة تحتوي عل سائل أحمر

وكوب يحتوي على سائل شفاف ... أضافت سبع قطرات بحرفية من السائل الأحمر في الكوب قبل أن تناوله إياه ... ابتسم لها ممتنًا بعدما تجرع الدواء!

دقيقة شعر خلالها بارتفاع درجة حرارته قبل أن يشتعل لهيب جسده ... لم يكن لحجر جهنم ذلك المفعول السحري كالسائل الأحمر الذي يحولك ثورًا بثلاث قرون وليس قرنان.

كانت تقف على مقربة منه مبتسمة تكشف عن نغزتين أجبرتاه على الوقوف احترامًا لهما ... وعينان زرقاوتان لم يستطع عدم التملي منهما ... وشفتان رفيعتان بنكهة عسل نحل جبلي لذة للاثمين أرغمتاه على الاقتراب منهما ببطء موسيقى تصويرية، وبدورها لم تبخل فتشابكت الشفاة في ملحمة عنيفة لن يذكرها التاريخ.

سمع صوته يئن باكيًا من خلف عمود حجري في ركن الحُجرة ... كان ذلك أنين طفله الصغير الذي تركه عند الشاطئ .... لا يعلم كيف تسلل إلى هنا بدون أن يراه أحد.

انسلخ من بين أحضانها واتجه نحو صغيره العائم وسط بركة من دموع عينيه وحبيبات عرقه ومخاط أنفه. حمله برفق وهو يمسح بيده فوق شعره مُطمئنًا: ما بك يا رودسي، لماذا تبكي هكذا؟

لم يُجبه الغلام ... ظل شاهقًا زافرًا بنبضات متلاحقة كادت أن ينفجر لها قلبه من بين ضلوعه.

- اهدأ يا صغيري .. لقد علمت ما أصابك. سنرحل على الفور من ذلك القصر.

بخطوات سريعة وقفت أمامه تمنعه عما هو قادم عليه وبلكنة حادة لا تتوافق مع رقتها أردفت: لا ... لن أتركك تذهب إلا بعدما تنصاع لرغبتي.

لم يعرها انتباها ولم يُلقِ لها بالًا ... تحاشاها واتجه نحو الباب فأوقفته ثانيًا وما بين الترغيب والترهيب أضافت: مُعمر .... إني أُحببتك وإن لم تفعل ما أريده سأشرب من ذلك السم وسأموت، وعندما يعلم أبي وزوجي سيأمران بقطع رأسك، أما إذا فعلت ما آمر ...

قاطعها بغلظة وهو يهز رأسه نفيًا: لا ... لن أفعل ما تريدينه.

اقترب من الباب ومد يده ممسكًا بمقبضه فتناولت الأميرة الزجاجة وتجرعت نصفها قبل أن تتكور بها الأرض وتغيب عن وعيها في الحال .. التف بجسده حين سمع صوت سقوطها على الأرض بعد ارتطام الزجاجة وانكسارها .. أنزل طفله وعاد إليها مسرعًا ... نزل على ركبتيه وهو يربت بكفيه على وجنتيها محاولًا إفاقتها فلم تستجِب ... صاح في صغيره: اذهب في الحال وأخبر طبيب القصر .. هيا .. أومأ الغلام المرتعد برأسه أن نعم قبل أن يعدو إلى الخارج ليصطدم في طريقه بجسم إسفنجي ضخم، لم يكن سوى الأمير الذي هرول إلى الداخل بخفة ورشاقة لا تتماشى مع ترهلاته المفرطة وتبعه حُراسه.

اهتزت جنبات القصر على إثر ركضه فانزلق جنينًا من بطن أمه وسقط حارس وجاريتان .... كان يُمسك بين قبضته تمثال من الذهب له جسد إنسان ورأس ثور! .. اقترب منهما جاحظ العينين قبل أن يرمي الفارس بسؤال من حنجرته غليظة الصوت: ما بها، ما الذي أصاب الأميرة؟

ألجمه سؤاله فاضطربت ملامحه وتهدجت أنفاسه وبصوت مبحوح: لقد شربت من هذا السم يا مولاي.
كان يشير إلى زجاجة السائل الأحمر التي افترشت شظاياها فوق الفُسيفساء. أحنى الأمير رأسه لأسفل وأطال النظر للزجاج المتناثر وبدون أن يرفع عينيه سأله: وما الذي دفعها لفعل ذلك؟
ابتلع الفارس ريقه خوفًا وخجلًا قبل أن يُجيبه: كانت تريد الأميرة أن أَفعل ما يفعله الرجل مع زوجته، وعندما أعرضت عنها وهممت بالانصراف شَربت من ذلك السُم وسقطت أرضًا في الحال.
لم تبدُ مقنعة ... لم يكن لأمير مُحنك! وبدين لا يفرق عقله عن جسده شيئًا بأن يُصدق مثل تلك الإدعاءات.
أتى الطبيب الأخنف يخطو مسرعًا وهو يَفرُك عينيه من أثر نوم لم يكتمل. تنحى الفارس والملك وبعض الحراس جانبًا ليفسحوا له الطريق قبل أن ينحني ليتفحصها. رفع جفنيها فأنسدلا، أمسك يدها المتراخية ورفعها ثم أفرج عنها فسقطت مستسلمة، وضع راحة يده فوق جبينها واعتصر بالأخرى معصمها فلم يبرز حبل وريدها، وضع سبابته أمام أنفها فلم يستشعر دفء أنفاسها، رفع رأسه ورمق الملك بنظرات الحسرة والأسى وهو يفرد ذراعيه في أسف قبل أن يخبره بخنفة: نقد ماتت الأمينة يا موناي، وفاضت نوحها ونحنت عن عانمنا.
إحتباس حراري وجمر من نار أشعله الطبيب في جسد الملك حين ألقى بجملته الأخيرة ... فارت دماؤه فكادت أن تنفجر لها عروقه وانتفخت أوداجه أضعاف ما كانت عليه من انتفاخ ... أمر جاريتين بحملها إلى غرفتها وصرخ في حارسين أن يُكبلا الفارس

ويزُجانه في حجرة المُهرطقين، وبهدوء أمر قائد حُراسه: اذهب وأخبر رؤساء الأساقف بتجهيز الجناح التنفيذي على الفور .. ستُعقد محاكمة تفتيش بعد لحظات وأَرسل إلى الطبيب الأعظم بأن يأتي في الحال لإعادة فحص الأميرة والبت في أمر هذا السم ... أومأ القائد إيجابًا وانطلق إلى حيث أمره الملك.

بالجناح التنفيذي انعقدت مُحاكمة تفتيش سرية وعاجلة بين رؤساء الأساقفة، أسفرت عن الحُكم بالإعدام حرقًا وليس نشرًا لفارس الصباح ومُهرطق المساء .. الهرطقة تُهمة من لا تُهمة له، حيث تتجلى مهام الأساقفة في تلك المجالس بالبحث عن من تُسول له نفسه بمخالفة عقيدتهم .... أما عن النُطق بالحكم فالإعدام ولا نقاش .. سواء أدلى اعترافًا بإبرشيته أو لم يُدلِ.

دُقت الأوتاد وجُرد الفارس من ملابسه قبل أن ينساق إلى منتصف دائرة من عيدان خشبية تتسوطها حفرة صغيرة وجذع نخلة. طلب أن يرى ابن صُلبه فُسمح له. ركض طفله نحوه فجثا الفارس على ركبتيه، ضمه إلى صدره وبعينين مرقرقتين تأمله .. قَبلهُ في جبينه وابتسم له مُخففًا من حدة الموقف ثم هزه بقوة من كتفه وبعد تنهيدة أضاف: تماسك يا بُني وكن رجلًا مثل أبيك، ولا تُقِم في تلك البلدة .. اذهب إلى جَدتك وارو لها ما حدث واطلب منها أن تَعولك وتتولى رعايتك ... وأخيرًا افعل الخير ولا تُقابل الإساءة بالإساة بل قابلها بالحسنة وعِش حرًا مرفوع الرأس يا بني.

أومأ الطفل إيجابًا وبثبات تفوه: كما تودُ يا أبتي .. ولكن لي في قصاصك حياة.

- ما زلت صغيرًا يا بني.

- هل يستطيع الثور أكل الصبار؟
- ..... !
- للثور فم يبتلع إنسانًا لكنه لا يستطيع ابتلاع نبتة صبار ... وللناقة فمٌ لا يسع دجاجة لكنها تطحن أشواك الصبار ... أستودعك الرب يا أبتي.
لم يشعر الفارس بتلك الأيادي المُقبضة على ذراعيه وكتفيه، ظل شاخصًا ببصره غير مدركٍ لما ألقاه طفله قبل أن يرحل. سحبه رجلان من حملة السياط وأسندا ظهره إلى جذع النخلة ... ربطا يديه وقدميه بالأوتاد على شكل صليب قبل أن يفترشا المسافة بينه وبين العيدان الخشبية بالقش.
دفنا قدميه بين القش حتى السمانة، لحظات واشتعلت النيران، كانت جائعة فالتهمت القش قبل أن تأكل ساقيه وتستعد للهجوم على ركبتيه لتقفز عقبها إلى فخذيه مروراً بذراعيه وصدره لتُنهي جولتها عند رأسه التي انسدلت فوق نحره فور مغادرة روحه لجسده.
داخل القصر وبدون أن يراه أحد تسلل الطفل بين الممرات والحُجرات بحرفية لص منازل ... توقف خلف تمثال بالحجم الطبيعي بالقرب من غرفة الأمير المحاطة بحارسين لا يرتد إليهما رمش.
لم يجرؤ على الدخول فقذف حجرًا صغيراً باتجاههما فلم يلقيا للحجر بالًا. دخل حجرة جانبية تحوي بداخلها كل ما لذ وطاب من فتيات القصر ... أخرج ثعبانه الصغير ووضعه أرضًا فسلك الثعبان طريقه إليهن .. صرخت إحداهن حين رأته في اللحظة التي خرج فيها الغلام من الغرفة.

عَلت الصرخات والاستغاثات بينهن فهرول الحارسان باتجاه حُجرتهن، بخطوات واسعة اتجه الطفل نحو غرفة الأمير، نظر يمنة ويسرة قبل أن يدفع بابها ويتوغل.

عاد الحارسان إلى وضعهما بعدما فصل أحدهما رأس الثعبان عن جسده بضربة سيف واحدة.

داخل الحجرة كان العزف على أنغام موسيقى حية من الشخير والخوار الصادر من أنف مُفلطحة في مستوى أفقي واحد مع كرش عظيمة تعلو وتهبط في تناغم متماثل لجسم مُسجى على ظهره.

لم يكن الأمير في سابع نومه بل كان في سابع موتة .. لم يشعر بخطوات الطفل المُتجه نحوه بحرص. استل الطفل خنجرًا كان لأبيه ولم يَعد. اقترب من رأس الأمير بابتسامة ظافرة قبل أن يرفع يده لأعلى. سمع بوقًا من الخارج يرتفع شيئًا فشيئًا وأقدام تقترب فارتبك وتسمرت يده في الهواء ولم يهوَ بها ليغرس نصل خنجره في رقبة الأمير الملظلظة .. انصهر الطفل من أمام الأمير حين تقلب في فراشه مُستيقظًا قبل أن يعتدل في نصف جلسة.

كان الغلام مُختبئًا خلف عمود حجري يرمق الملك بعيني صقر مُتربصًا بفريسته. ثوان ودفع أحد الحُراس باب الغرفة مُعلنًا عن قدوم الطبيب الأعظم .. جلسا بعدما تلقاه الأمير بحفاوة وفم مُتثائب أشبه ببوابة قوس النصر.

- هل ما قالته لي الجارية حقًا أم لا؟

- نعم حقًا لم تمُت الأميرة وهي نائمة الآن في فراشها لتستريح.

- إذًا لما أخبرنا طبيب القصر بأن الأمي...

بتر الأمير جملته حين رأى الطفل يندفع نحوه شاهرًا خنجره عازمًا على إنهاء حوار أفار دماءَه وأشعل فتيلة الانتقام لديه.
انقض الطفل فتلقف الطبيب يده .. كانت على بُعد شبرٍ من رقبة الأمير. هز الطبيب يد الطفل فسقط خنجره، عضه الغلام بأسنان كالسكين فتركه الطبيب. انحنى الطفل ليلتقط الخنجر في محاولة لم تنجح.
كانت قدم الأمير تدهس الخنجر أسفلها، استمات ليسحبه من أسفل قدم تزن طنًا يصعُب تحريكها .. صرخ الأمير مناديًا حارسا الغرفة فأتيا في لمحة بصر ... توعد لهما بقضاء يوم سعيد بين يدى (نيدس) الجلاد على أنغام وقع السياط قبل أن يأمرهما بحمل الغلام ووضعه في زكيبة متخمة بالجير الحي ليُلقياه في النيل ... ترجاه الطبيب أن يرجع عن قراره ويعفو عنه بعد علمه بقصة الغلام وأبيه ... وافق الأمير بعد تفكير وتفاوض ونقاش أسفر عن نفي الغلام خارج المدينة وأن يقوم الطبيب باصطحابه إلى معبد النوم الشفائي لخدمته ومساعدته وتلبية طلباته بعد عمل صك عبودية لغلام مجهول الهوية.

(9)

أكتوبر2012 .... السابعة صباحًا
أمام محطة مترو حلوان .... كان الزحام شديدًا مُختلطًا بأصوات باعة جائلين لو أنصت إليهم لبصقت عليهم تكرارًا ولملئت منهم صُمًا، في الداخل كانت تتوسطها نافورة خاوية على عروشها منذ أمد ليس ببعيد يلتف حولها بعض الأشخاص في انتظار ذويهم، من بين هؤلاء الأشخاص كان يجلس حُسام علاء رشيد.
لم يرث عن والده سوى زفارة اللسان وفصاحة البيان ... من طراز المُتحنجلون في الأفراح المُشيعون للجنائز .. طويل إلى حد ما، جسمه رياضيًا، بشرته بيضاء، وسيم، لا تستطيع أن تفرق بينه وبين كريستيانو رونالدو لاعب ريال مدريد ... عديم شعر الصدر المنسدل عليه سلسلة من رقبته على شكل دانبل، ينهى حديثه بـ (جامدة فشخ) على سبيل المبالغة والتفخيم .... (اسكت مش اشتريت امبارح تشرتاية بولو إنما إيه جامدة فشخ).
كان في انتظار صديقه الصدوق أيمن .. الشهير بـ (نيوتن) .. من آكلي لحوم الكتب ومناضلي الثانوية العامة الذين ينقطع عنهم الإنترنت والترفيه وملذات الحياة لحين إصدار إشعار آخر. رغم طيبته إلا أن الإبتسامة لا تعرف إلى وجهه طريق وكأنها تكلفه وقتًا وجهدًا، كان نسخة طبق الأصل من والده لولا ضآلة تكوينه

البنياني وشعيرات العنفقة التي تضفي على ابتسامته ما تضفيه النقطة على حرف الباء، تميل بشرته إلى لون النسكافيه، شعره مصفف ومتباعد، تستند على قصبة أنفه نظارة طبية تواري خلفها عينين بُنيتين فاضحتين!!

كان ذلك اليوم هو أول أيام العام الدراسي الجديد .. حيث تم قبولهما بإعدادي هندسة المطرية التابعة لجامعة حلوان.

أخرج حسام هاتفه بعدما زفر لاعنًا صديقه والباعة الجائلين، والطفل المتحنجل خلفه وشبكة واي فاي المحطة الرديئة التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع .. ضغط زر الاتصال .. لحظات وجاءه الرد: ألو .. أخبارك إيه يا حُس؟

- أخباري زفت أنت فين لحد دلوقت؟ احنا مش متفقين نتقابل في المحطة الساعة سبعة.

- راحت عليا نومة وصحيت متأخر.

- ليه كنت بتطلع النخل؟

- نخل إيه يا عبيط أنت؟ أنا نمت متأخر امبارح كنت بسمع فيلم رعب.

- هو في حاجة جاييك ورا غير الرعب، المهم أنت فين دلوقت؟

- أنا قدامي عشر دقايق بالظبط وأكون عندك ... سلام.

- ماشي سلام.

أنهى جملته وعاد إلى هوايته المفضلة ... فحص ورصد وتأمل التضاريس الجغرافية لكل من سولت لها نفسها بالمرور من أمامه.

بعد بحث وفرز وتنقيب على كرسيين شاغرين داخل العربات جلس أيمن بجانب حسام الذي استقبله بمقطوعة من اللوم

والعتاب والشتائم قبل إصدار فرمان ينص على غرامة من يأتي متأخرًا بعد اليوم بواحد كريب و"كان" فيروز.

...

- القطار رقم 66 والقائم أولًا على رصيف 2 ومتجه إلى المرج ويليه 67 على رصيف 3 ومتجه للجديدة .. سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ... نطق بها ناظر المحطة منوهًا عن قيام رحلة جديدة.

ابتسم حسام بسخرية: تصدق إن المايك مان ده محترم فشخ .. أول مرة أسمع حد بيقول الدعاء ده في مايك المحطة ... شكله كده تبع الإخوان .. فعلًا تم أخونة الدولة بنجاح.

- أنت أهبل يا ابني أخونة الدولة بنجاح إيه؟! بطل هري ومشي ورا كلام الإعلاميين.

- يعني أنت فت أوي وبتفهم أكتر من الإعلاميين، أوعى تكون تبع الإخوان أنت كمان؟

- لأ يا ناصح أنا مش تبع حد ومش بمشي ورا كلام حد .. مش إمعة زيك!

- إمعة!! يعني إيه إمعة دي اوعى تكون شتيمة؟ هرفعك.

- وأنا أقدر أشتمك يا حس .. الإمعة دي يا سيدي زي البامية اللي أمك بتأمعها في البيت يعني مش شتيمة خالص.

- يا راجل وأنت فاكرني هاكل الكلمتين دول! ع العموم أنا عارف معناها بس أنا مش كده .. مش أنا اللي أبقى معاهم معاهم وعليهم عليهم.

- خلاص بقى متقلبهاش دراماتيكا وسيبك من أم السياسة اللي هتزعلنا من بعض دي .. أنا عايز منك خدمة.

- خدمة إيه؟
- عايزك تعمل لي أكونت ع الفيس بوك.
- إيه ده أنت معندكش أكونت ع الفيس لحد دلوقتي؟
- يا ابني ما أنت عارف عمتي فاطمة .. تأديب وتهذيب وإصلاح ... كانت مانعة عني النت والبلاي ستيشن وكل حاجة.
- خلاص سهلة ومقضية ... لما أروح البيت الموضوع مش هياخد في إيدي ربعاية.
- خلاص ماشي .. إشطة.

توقف القطار على رصيف إحدى المحطات غير المزدحمة فصعد العربة رجل بدين في منتصف العقد الرابع يرتدي قميصًا وبنطالًا مُتصلًا بحمالة.

كان يحمل حقيبة سوداء في يده يشبه Nintendo في لعبة Super Mario .. اتجه نحوهما وعلى بُعد شبر وقف أمامهما وبابتسامة مصطنعة: هو محدش فيكم هيقوم ويقعدني مكانه ولا إيه يا شباب.

قطب حسام جبينه غضبًا كمن طُلب منه التنازل عن كرسي العرش: هو حضرتك مش واخد بالك من اللوحة ال 35 في 40 اللي متعلقة فوق دماغنا، مكتوب عليها هذه المقاعد لكبار السن ولذوي الاحتياجات الخاصة ومرسوم عليها واحد ماسك عكاز ربنا يديله الصحة وواحد رجليه مكسورة عقبال التانية وواحدة شايلة يا بخت اللي نفخلها البالونة .. وواحدة شايلة عيل ربنا ياخده ويريحها ... حضرتك بقى أنهي واحد فيهم؟!!

ابتلع الرجل ريقه مع آخر كلمة ولم يعقب مكتفيًا بابتسامة أخفت ورائها غليانًا تفوح منه رائحة دعوة من القلب ... استشعر أيمن الحرج فنهض وأجلس الرجل في مقعده.

جلس الرجل في امتنان ولم يلبث أن فتح حقيبته وأخرج منها لاب توب، وضعه فوق فخذيه وأمسك بإحدى يديه أعلى الشاشة كي لا ينزلق .. دقائق وانفجر ضاحكًا وهو يتمتم: آه ما هو ده اللي ناقص إن شاء الله.

سمعه رجل يقف أمامه مباشرة فسأله عما يُضحكه فأخبره الرجل أنه قرأ للتو خبرًا على إحدى صفحات الفيس بوك يقول أنه سيتم وضع لوحة معدنية على ظهر كل مواطن كاللوحات المعدنية الموجودة على السيارات، وفي حالة حدوث أية جريمة أو مخالفة أو ما شابه سيتم الاستدلال على هذا الشخص عن طريق الأرقام المكتوبة على هذه اللوحة .. ابتسم له الرجل في عدم تصديق وأخبره بحكمة خبير ذي خلفية عسكرية: أن ذلك الموقع يحتوي على كمية لا بأس بها من الشائعات ولا يجب أن يُصغي لها، بينما أضاف آخر كان منصتًا لحديثهما: أن تلك الفكرة مُطبقة بالفعل ولكن بطريقة أخرى، فالأرقام ليست مكتوبة على لوحات معدنية وإنما كُتبت على Id Card وبقصد بطاقة الرقم القومي.

خبط حسام خبطتين على فخذه في إشارة لأيمن أن اجلس عليهما ... لم يعارضه، فجلس على ركبتي حسام في وضع الاستعداد قبل أن يستطرد: اسكت مش أنا حلمت امبارح إن في واحدة زي القمر موتتني!

- واحدة! وقمر كمان! احكي احكي خلينا نتسلى بدل الزهق ده.

- تتسلى إيه .. أنت فاكر نفسك في السيما .. مش حاكي.
- أنا آسف يا عم .. احكي بقى.
- كنت نايم عادي في أمان الله وفجأة صحيت على صوت واحدة عماله تقول أيماااان أيماااان .. فتحت عيني وقعدت أبص حواليا لحد ما لقيت واحدة عاملة كده زي ملكات الجمال بتوع العصور الوسطى كانت لابسة فستان مطرز بحاجات بتلمع كده ولابسة عقد ألماظ في راسها وطبعًا عنيها خضرا وشعرها أص....
قاطعه حسام: يا عم انجز المُزة موتتك إزاي؟
أكمل أيمن: فضلت ماشية وأنا زي الأهبل ماشي وراها لحد ما دخلت أوضة حيطانها خشب زي عشش الحمام كده ... وطبعًا دخلت وراها وبقدرة قادر لاقيت العشة بتولع بيا وهي واقفة برا عمالة تتفرج عليا وأنا بولع.
- ها وبعدين يعني؟
- وبعدين إيه .. أكيد صحيت من النوم.
- يا ابني أنت عيل فانكي، مش أد أفلام الرعب بتتفرج عليها ليه؟!
- أنت بتفقعلي؟! أنا غلطان إني حكيتلك أصلًا.
- آه غلطان .. والجزمة في رجلك كمان، ويلا بقى قوم كده من على حجري عشان رجليا وجعتني.
نهض أيمن بعدما رفع الشباك الخشبي لتتسلل منه أشعة شمس غير حارقة في وجه حسام كنوع من أنواع رد الاعتبار... اتجه بعدها بخطوات سريعة مترنحة إلى كرسي شاغر في المقعد المُقابل لهما بعدما فر من العربة عدد لا بأس به في محطة الشهداء.

جلس واسترخى بظهره إلى الوراء ثم أُغلق جفنيه لا إراديًا من بقايا نوم لم يكتمل ليلة أمس، وبالطبع لم ينسَ فمه مفتوحًا لتصدير ثاني أكسيد الكربون واستيراد أكسجين.

(10)

على أرض النعام كانت تقف تلك الكلية العريقة ... يحدها شمالاً شارع إبراهيم عبد الرازق، وجنوبًا شارع منشية التحرير، وشرقًا شارع المعهد الصناعي وغربًا شارع الشهيد مصطفى حافظ.
في عجالة اتجها معًا إلى داخل الكلية قبل أن يتوقفا أمام لوحة الإعلانات المُعلق خلف زجاجها جدول المحاضرات والسكاشن .. زفر حسام قبل أن يضيف: الحق يا نيوتن علينا أول محاضرة رسم هندسي ... دكتور توفيق المصري.
- طب وفيها إيه؟ بتقولها وأنت زعلان كده ليه؟
- آه صحيح نسيت أحكيلك عن الدكتور ده .. كفرتي وبيتخانق مع دبان وشه.
- وأنت عرفت منين يا مفتش كرومبو؟
- فاكر الواد محسن اللي كان معانا في المدرسة بس كان مسابقنا بدفعة .. معانا في الكلية وداخل السنادي أولى مدني.
- آه فاكره .. مش ده الواد التخين اللي مبيعرفش يعدي من بين مكن تذاكر المترو إلا بسقفة للنبي وخمسة ستة يزوقوا معاه؟
- آيون هو ده ... قابلته من كام يوم وحكالي عن الدكتور ده وسهوكته مع البنات وفشخه للولاد. قال عشان ميتحطش عليك هنا من الدكاتره والمُعيدين خليك زي التوكتوك لما بيمشي ع

الدائري بياخدله جانب .. قولتله بس في تكاتك بتمشي في النص عادي ... رد عليا: هما دول بقى اللي بيتحط عليهم وطول الطريق بيبقوا في خطر وممكن يتاكلوا في أي لحظة.
- طب يلا يا عم التوكتوك .. زمان المحاضرة بدأت.

...

في الداخل كانت القاعة مزدحمة بالطلبة كيوم عي، بينما يقف د.توفيق أمام حاسبه الشخصي يُعدل من وضعية البروجيكتور وسلامة التوصيلات. كان مرتديًا بدلة كُحلية اللون ورابطة عنق حمراء، بدين بعض الشيء، أصلع الرأس، لو تم عمل ثقب في منتصفها لأصبحت كرة بولينج عالمية.
أمسك بالمايك بعد نقرتين على رأسه للتأكد من حالته الصحية قبل أن يستطرد: أولًا كل سنة وأنتم طيبين .. ثانيًا أحب أعرفكم بنفسي. أنا الدكتور توفيق المصري اللي هدرسلكم مادة الرسم الهندسي السنة دي.
أنا من مواليد1960 اتخرجت في كلية الهندسة جامعة أسيوط واتعينت مُعيد فيها وبعد كده حصلت على الماجستير ثم الدكتوراه من جامعة القاهرة، وبعدها تم تعييني دكتور هنا في هندسة المطرية ... ثالثًا اللي معاه موبايل يقفله واللي هسمعه بيتكلم هكتبه غياب أما اللي هيستظرف معايا هشيله المادة واللي فاكر نفسه صايع وهيقدر يقرب مني أو من عربيتي هضيع مستقبله بجرة قلم.

نبدأ بقى المحاضرة بتاعة النهارده هي بعنوان الإسقاط المتعامد (Ortho Graphic Projection) بس قبل ما أبدأ في الشرح حد فيكم يقدر يقول يا بشمهندسين الجسم في الفراغ بيبقى ليه كام وجه؟

- لو سمحت يا دكتور ممكن بس تعلي صوتك في المايك شوية عشان مش سامع حضرتك.

تفوه بها أيمن جالسًا خلف طالب طويل القامة عريض المنكبين أشبه بكونتينر نقل بضائع. التفت الدكتور خلفه باحثًا عن صاحب الصوت: مين اللي قال أنه مش سامع؟

وقف أيمن رافعًا يده حتى يتجلى له: أنا يا دكتور اللي قلت.

رمقه بنظرة أن من لم يربه أبوه وأمه ربته الليالي والأيام ومن لم تربه الليالي والأيام ربيته أنا توفيق المصري: طب منا سامعك كويس أهو وأنت بتتكلم يا بشمهندس معنى كده إن العيب فيك أنت مش في صوتي ... اتفضل اقعد مكانك عشان أكمل المحاضرة.

جلس أيمن متمتمًا ببعض كلمات السب واللعن ... سمعه حسام الجالس بجانبه فأردف: اعتبر نفسك مسمعتش حاجة كبر دماغك هما الجماعة القرع كده بيبقوا منفسنين من جوا.

- عادي ولا في الدماغ ... بقولك إيه أنا هنام دلوقتي عشان مش سامع ولا فاهم حاجة متنساش بقى الموضوع اللي قولتلك عليه واحنا في المترو.

- موضوع! موضوع إيه؟!

- يا ابني أنا مش قولتلك تعملي أكونت ع الفيس.

- آه افتكرت ... معلش أصلي كنت مركز مع المكنة اللي كانت قاعدة قدامي.
- ماشي يا فلانتينو .. أنا هنام بقى وابقى صحيني قبل ما ياخد الغياب.
- ماشي إشطة .. نام وسيبني أركز ده أنت عيل رغاي.
وضع أيمن رأسه على يديه بعدما أسندها فوق المدرج ... بينما أكمل المحاضر في الشرح عن كيفية استنتاج مسقط ثالث من منظور Three Dimension.

انتهت المحاضرات وانطلق بعدها الصديقان إلى محطة المترو عائدين إلى بلدتهما، على سرعة 80 كم/ساعة كانت تسير العربة الأولى للقطار تجر خلفها سبع توابيت يتوسطهم تابوتان لا تستطيع إجبار عينيك على عدم اختلاس نظرة سريعة أو متملية على ما بداخلهما من سيدات لتزيد من حصيلة السيئات.
يترنح القطار كثعبان الأناكوندا غير السام ويترنح معه كل من بداخله .. في إحدى التوابيت كان يجلس أيمن وحسام. يسبح كلٌ منهما في عالمه ويمارس هوايته المفضلة طوال الرحلة .. يقوم حسام بمتابعة ومراقبة ومزاولة الفتيات على أرصفة المحطات وهو يضع في تجويف أذنيه سماعة صغيرة تنبعث منها أحدث الأغاني الشعبية .. أما عن أيمن فيتفقد أحوال الركاب ماسحًا العربة بعينيه من أولها حتى آخرها.
في أقصى اليسار يقف رجل شارد تخترق أشعة عينيه النافذة الزجاجية في تفكير تتسلق الهموم فوق أكتافه معلنة عن غزوها لفروة رأسه التي اختلطت باللونين الأبيض والفضي وهو ما يزال في ربيع العمر. وأم تقبل ولدها قبل أن يتدلى من العربة ذاهبًا

إلى مدرسته لقضاء يوم سعيد! في فترتها المسائية ... وعجوز تحمل في يدها حقيبة بلاستيكية متخمة بالمناديل الورقية تتجول بها داخل العربة في انتظار من يرأف بها ... وفتاة في منتصف الثلاثينيات تنظر إلى لوحة مُعلقة فوق النافذة طُبع عليها (للزواج الشرعي واختيار شريك الحياة) لم تستغرق وقتًا في التفكير، أخرجت هاتفها من حقيبتها ونقلت الرقم المرفق أسفل اللوحة .. وشيخ يجلس حاملًا مصحفًا صغيرًا يتلو منه بعض الآيات بصوت خفيض ... وفتاة تجلس واضعة قدمًا فوق الأخرى تمسك بهاتف محمول متصل بسماعة ينتهي طرفها الآخر في تجويف أذنيها، ينظر إليها من حين لآخر شاب يجلس أمامها غير منتبه إلى حديث صديقه الذي يشبه عم إدريس البواب ويجاوره رجل خمسيني فاردًا ذراعيه على مصراعيهما يتصفح إحدى الجرائد، لا يعكر صفوه سوى ذلك البائع الجائل ... (أي كارت عشرة بعشرة يا حضرات) الذي يصطدم به في رحلة ذهابه وإيابه داخل التابوت.

يتوقف القطار في رحلة عودته ما يقرب من الثلاث دقائق قبل وصوله إلى مثواه الأخير في انتظار قطار آخر في الاتجاه المعاكس ليعلن عن رحلة جديدة ... يستغل الدقائق الثلاث أحد الركاب الحمقى في إشعال سيجارة ماركة محلية لا ينال منها سوى قُبلة أو قُبلتين قبل أن تصرخ في وجهه إحدى السيدات: يا خراشي إيه اللي أنت بتعمله ده يا أستاذ .. التدخين ممنوع في المترو .. على الفور يساندها ذلك الرجل المعروف باسم السيد حكة: معاكي حق يا مدام، يسلم فُمك ده أنا سمعت أول امبارح الأستاذ توفيق عكاشة على قناة الفراعين بيقول إن غرامة التدخين في المترو هتوصل لخمسين جنيه بس يا ريت الناس

تخلي عند أهلها دم وتلتزم بالقوانين ... قطعت حديثه سيمفونية صادرة من أنف الرجل الذي ألقى بسيجارته منذ لحظات ثم أكمل: إيه يا عم الكتكوت .. تقصد مين بالبوعين دول؟ .. أردف الرجل بذهول: إيه ده أنت بتشخرلي؟ فأجابه بغلظة: وأصبعلك كمان لو كترت معايا في الكلام ... في حين تدخل صديقه الذي يبدو على ملامحه أنه مُسجل خطر حديث التخرج: أنت شكلك كده مسمعتش عن أبو عزام الجزار .. أجابه باستهزاء: رضي الله عنه يا سيدي.

أمسكه من ياقته: أنت تعرف آخر واحد اتخانق معاه عمل فيه إيه؟ .... صمت لحظات ثم أكمل: علقه من ..... كان يشير إلى ما بين رجليه ... ازدرد السيد حكة ريقه بصعوبة وبصوت مبحوح: خلاص يا عم لا تشخرلي ولا تصبعلي نهاركم أبيض أنتم الاتنين.

تدخل بعض الركاب للتهدئة ولكن لم ينهِ عراكهما بزيء الألفاظ سوى توقف القطار في محطته الأخيرة .. تدلى الركاب وكان من بينهم أيمن وحسام.

على بُعد أمتار من بوابة الخروج كانت تقف ممرضة بدينة أشبه ببطة برأس قطة تتفقد المارة من حولها كمن يبحث عن عبد في سوق عكاظ ... استوقفت حسام قبل مروره من جوارها: لو سمحت يا أستاذ ممكن ناخد من وقت حضرتك تلات دقايق بس تتبرع فيهم بكيس دم لمعهد ناصر.

- معهد ناصر! مش ده بتاع المعاشات؟

- لأ حضرتك ده اسمه بنك ناصر .... إنما احنا معهد ناصر.

- آه ... بس اشمعنى أنا يعني من دون البشرية دي كلها ولا أنا عشان طول بعرض يعني قولتي ده اللي هيتبرع .. أنا أصلًا معنديش دم.

رمته بنظرة من أعلى إلى أسفل قبل أن تتركه وتذهب: فعلًا باين عليك معندكش دم.

عض شفتيه في تمني وهو ينظر إلى حقيبتها قبل أن يناديها: خلاص خدي يا نيرس أنا هتبرع ... التفتت إليه فأكمل: بس أنا بشرب سجاير ينفع أتبرع ولا؟

- آه طبعًا ينفع بس تكون سجاير بس ومتكونش بتتعاطى حاجة .. قالتها ووضعت سبابتها أسفل أنفها وحركتها يمينًا ويسارًا.

- قصدك بودرة والكلام ده؟ لا متخافيش هي سجاير بس مليش في الشم. دلف بعدها داخل كردون ستائر بيضاء اللون في حين انتظره صديقه في الخارج.

(11)

صباح اليوم التالي . ... كان يجلس أيمن وحسام في كافيتريا الجامعة يرتشفان مشروب البارلي ميكس على تناغم موسيقي واحد قبل بدء المحاضرة .. وضع أيمن كوبه فوق المنضدة قبل أن يسأله: أنت عملتلي الأكونت ولا خليت حد تبعك يعملهولي؟

- أنا اللي عملته .. ابقى كمل بقيت البيانات الشخصية ... عملتلك إعجاب لكام صفحة رعب وبعتت طلبات صداقة لشوية مُزز كده عشان تطري الأكونت.

- عليا النعمة أنت أجدع من جوز عمتي ... هات بوسة بقى.

- لأ ... متوضي.

- يا واد يا مؤمن .. ده أنت مدخلتش الجامع من ساعة صلاة الجنازة بتاعت أبو سمير المنجد ... والراجل ميت بقاله سنتين.

- لأ أنت يلا اللي مقطع السجادة من كتر الصلاة ... تصدق أنا غلطان إني عملتلك الإيميل ... قوم تلاقي محاضرة الفيزيا قربت تبدأ.

- تعال نروح المكتبة الأول عايز أشوف حاجة هناك.

ذهبا إلى مكتبة الجامعة ومنها إلى القاعة لحضور المحاضرة التي انتهت قبل أن تبدأ بعدما اعتذر دكتور المادة عن عدم حضوره بسبب ظروف صحية.

بعد ذهاب لمقهى ولعب عشرتين طاولة وتناول وجبة الغداء في أحد المطاعم بمنطقة الفجالة تجولا معًا بين المكتبات لشراء بعض الأدوات الهندسية ثم عادا معًا إلى محطة المترو .. الركوبة الروتينية التي ستنقلهم إلى حيث يقطنان.

في إحدى العربات جلس حسام بالقرب من النافذة استعدادًا لنشاطه اليومى .. بينما جلس أيمن على الكرسي المواجه له مستندًا برأسه إلى الخلف مستدعيًا نومًا أطاع داعيه على الفور.

انتفض أيمن مستيقظًا من نوم ضُرب فيه على آذانه كنوم أهل الكهف حين هزه حسام بعنف مختلط بلهفة بعدما توقف القطار في محطة (دار السلام).

- ولا يا أيمن هات موبايلك بسرعة عشان موبايلي فاصل شحن.

أخرج أيمن الهاتف من جيبه وناوله لحسام: خد أهو .. بس عايزه ليه؟

لم يجبه حسام ... التقط الهاتف وفي عجالة ضغط على أيقونة الكاميرا ثم التقط صورتين لشاب وفتاة يجلسان فوق أحد مقاعد رصيف المحطة ... كان الشاب واضعًا يده فوق كتفها والأخرى يُمسك بها هاتفًا يشاهدان معًا شيئًا ما .. . انطلق القطار بعدما التقط حسام الصورتين وقام بحفظهما في مكان آمن قبل أن يستطرد: يا ابن الصايعة، لحقت تعلق البت في يومين!

- إيه ده .. أنت تعرفها ولا إيه؟

- آه إلا أعرفها .. وأنت كمان المفروض تكون عارفها، أولًا معانا في الدفعة السنة دي وثانيًا ساكنة في الشارع اللي ورانا وعايز ألاغيها من زمان .. يقوم يجي الواد ده يظبط معاها قبلي.

وشوفتها كمان واقفة مع توفيق المصري امبارح لما روحت أسأله على أدوات الرسم اللي طلبها.

- غريبة، أنا أول مرة أشوفها دلوقتي .. بس أنت صورتهم ليه؟

- أنا كحسام أذية ممكن أعمل بالصورتين دول حاجات كتير.

- عيل مؤذي صحيح ... ربنا يكفينا شرك لا تأذينا ولا نأذيك.

- تصدق أنت عيل بتتني .. أنت شوفت عفريت قدامك ولا إيه؟ كمل نومك بقى عشان متجيش فيك أنت.

لم يعقب أيمن مسترخيًا للخلف عائدًا إلى ما كان عليه منذ قليل.

قبل أن يحل المساء ... جلس أيمن أمام جهاز الكمبيوتر خاصته، ضغط على زر التشغيل قبل أن يُفتح وتضيئ شاشته .. نقرتان على أيقونة (Google Chrome) ومثلهما على (Face book) بعدما كتبها في خانة البحث وتبعها بضغطة على كلمة تسجيل الدخول بعد كتابة البريد الإلكتروني والرقم السري ... قام بتكملة وتعديل بعض البيانات الخاصة به ووضع صورة شخصية وصورة غلاف.

تفحص بعض المنشورات والأخبار على صفحته الرئيسية قبل أن يستوقفه مقال في صفحة تسمى (نادر فودة وما وراء الطبيعة) كان محتوى المقال عن مرض يسمى بشلل النوم أو ما يُعرف باسم الجاثوم، وهو ما يشعر به الشخص عندما يستيقظ من نومه ويُخيل له بأنه واعي بكل ما يحيط به لكنه عاجز عن الحركة أو أنه يصرخ بلا صوت أو أن أحدًا يحاول خنقه وتكبيله وهذا يستغرق من بضع ثواني إلى بضع دقائق ويسمى أيضًا هذا المرض بالجنية العجوزة.

بعد قراءته للمقال كانت تصول وتجول بخاطره بعض هواجس: الحاجات دي فعلًا بتحصل وأنا نايم ... بس ده مرض فعلًا زي ما بيقول ولا دي حاجات عادية ممكن تحصل لأي حد.

لم يجد سوى تعليقًا واحدًا كان لفتاة تسمى (Ana Nona) تقول فيه: أنا ساعات بتحصل معايا الحاجات دي ويمكن أكتر كمان .. بس ياريت يا أستاذ نادر تقولنا إيه هو سبب شلل النوم ده؟

كان المقال منذ حوالي ساعة وكذلك التعليق .... لم يُجِبها أحد من مسئولي الصفحة فانتهزها أيمن كفرصة للبحث على موقع جوجل ومعرفة السبب وإرساله لها مصحوبًا بطلب صداقة.

دقائق وتلقت الفتاة رسالة على بريدها ... كان محتواها: مرض الجاثوم ده سببه الوقوف قدام المراية كتير وسماع ومشاهدة المناظر المرعبة وقراءة قصص الرعب بالإضافة إلى قلة النوم.

قرأتها على الفور وقامت بالرد: ميرسي .. عرفت منين إني عايزة أعرف المعلومات دي عن الجاثوم؟

- أصل وأنا ماشي بين البوستات اتشنكلت في واحد منهم ولقيتك كاتبة تعليق عايزة تعرفي إيه السبب ... حبيت أساعدك بس مش أكتر ... على فكرة أنا كمان عندي نفس الموضوع ده بس على خفيف.

- أمممم ... ع العموم ميرسي مرة تانية وعلى فكرة أنا وافقت على طلب الصداقة مع إنى مش بقبل طلبات من حد معرفوش.

- Momken nt3rf ..... Thanks.

- آه ممكن بس ياريت مش تكتب فرانكو.

- خلاص أوك ... أتعرف؟

- نورا ... تلاتين بلوك وسبعتاشر سكرين شوت واتنين وعشرين ديليت.
- ليه عبده موته؟! ... عندك كام سنة؟
- عندي 17 سنة.
- منين يا نورا؟
- من وادي بيض البقر.
- هو بقى بيبيض! منين بجد؟
- من المعصرة.
- تعرفي مين من العظماء اتولد في المعصرة؟
- آه طبعًا ... حماقي.
- هههههههههه ... ومين تاني؟
- معرفش.
- سيدنا موسى اتولد في المعصرة وكان اسمها جاسان وقتها، وكورنيش المعصرة كان هو اليم اللي اتقذف فيه وهو رضيع.
- منك نستفيد .... ما اتشرفتش؟
- أنا نيوتن والدلع أيمن وهكمل 19 سنة بعد كام شهر.
- أمممممم نيوتن والدلع أيمن! .. تشرفنا.
- الشرف ليا ... بتدرسي ولا خلصتي دراسة؟
- آه بدرس طبعًا .. أنا في تانية ثانوي علمي علوم ... وأنت؟
- أنا في أولى هندسة المطرية.
- ربنا يوفقك يا بشمهندس.
- يا رب .... نفسك تطلعي إيه؟
- نفسي أطلع بُرج القاهرة.
- هههههههه لأ أنا قصدي نفسك تدخلي كلية إيه؟

- بقول علمي علوم .. يعني أكيد نفسي أبقى دكتورة.
- وعايزة تبقي دكتورة إيه أسنان ولا جلدية؟
- جراحة.
- اشمعنى!!
- عشان بيبقى فيها دم وتشريح وتقطيع ... وأنا بحب المناظر المرعبة.
- طب ما تشتغلي في محل جزارة أحسن.
- مبقيتش تجيب همها يا بشمهندس.
- على رأيك مبتجيبش همها.
- بقولك يا أيمن معلش أنا هقفل عشان رايحة درس ناو.
- أوك ولا يهمك .. ونبقى نكمل كلامنا بعدين.

لم تكن نورا سوى فتاة مجتهدة .. طموحة .. مشاكسة .. شقية .. فرفوشة .. جريئة، فقط داخل السوشيال ميديا ... أما خارجها فهي خجولة، مرتبكة، منطوية، تتظاهر بالجدية وتتفادى الأعين المراقبة لمشيتها المضطربة بالنظر إلى أسفل تجنبًا لإحراج ودموع قد تنهمر إذا ألقاها أحدهم: أعرج بس قمر ... تعيش مع جدتها في منزل متواضع بعدما انفصلت عن أسرتها ... أم ماتت ولم ترَها وشقيقة متغطرسة تزحف خلف موضة أو تقليعة وأب ثري نبتت ثروته من حرام.

تركت حياة الغنى والترف وانزوت إلى حياة الضنك والشرف، مبلغ محترم يرسله والدها شهريًا لا تطل منه قرشًا .. تقوم بتوزيعه على المحتاجين تطهيرًا لأموال والدها .. أما هي وجدتها فيُكفيهما معاش يرزقانه له الفضل في مواجهة متطلبات الحياة.

على مقهى ميكس كافيه يلتقي أيمن وحسام يوميًا على أنغام كركرة الشيشة وأقراص الطاولة وحركة أوراق الدومينو ورقع الشطرنج .. كانت تتوسطهما منضدة عليها كوب نسكافيه بلاك وزجاجة سفن يرتشف منها حسام وتجاوره شيشة تفاح منزوعة المبسم.

- أخبار الأكونت الجديد إيه بقى كام صديق؟

- كام صديق إيه؟ معنديش غيرك أنت وواحدة لسه متعرف عليها من شوية.

- يا عم بكرا الزباين تكتر ومتبقاش ملاحق.

- زباين! ليه هو صالون حلاقة .. المهم أنا ناوي أعمل صفحة ع الفيس وهخليك أدمن معايا.

- يا ابني أنت لحقت؟! هتعمل صفحة هتبقى فيها لوحدك زي القرد؟!

- لأ ما هو البركة فيك بقى في الموضوع ده ... الفانز عليك والبوستات عليا.

- مفيش مشكلة ..... هتتنيل تسميها إيه؟

- هسميها مدمن فيس.

- نعم يا أخويا! مدمن فيس ... الأكونت بقاله يوم واحد وخلاص بقيت مدمن.

- سيبك من يوم ولا يومين . بذمتك إدمان ولا مش إدمان؟ ... أنا من ساعة ما روحت وأنا قاعد قدام الجهاز وفاتح الفيس.

- الصراحة هو إدمان فعلًا .... بس البيدج هتتكلم عن إيه؟

- عن أي حاجة ... سياسة ماشي رياضة ماشي، حب ورومانسية ماشي، بس بلاش بوستاتك القبيحة وشغل السرسجية ده .. واخد بالك!

- أنت تعرف عني كده؟ بقى بذمتك أنا بتاع الحاجات دي؟

- بأمارة لما سألتك مين قدوتك في الحياة .. قلت إله الإخصاب عند الفراعين.

- أنت عويل متعرفش حاجة .. الراجل يستحق يكون قدوة، كان بيعوض النقص اللي حصل في البلد لما راحوا يحاربوا .. الراجل كان بينقذ ثروة بشرية كانت معرضة للإنقراض.

- لأ معاك حق والله .. أقنعتني.

تسامرا وتبادلا الأحاديث في حضرة .. رقع الشطرنج ودخان الشيشة وأصوات النادل وموسيقى الملاعق قبل أن ينهض أيمن: كش ملك يا بوب .... يلا بقى يا حلو هز طولك وشخلل جيبك وحاسب وحصلني.

- هتروح؟

- هروح البيت أجيب السنارة .. وهطلع ع المجمع أصطاد سمك.

- تصطاد سمك! من امتى الكلام ده؟

- من النهارده .. اشتريت سنارة تدريب أجرب عليها ... تيجي؟

- لأ .. ملل وأنا مليش في جو الصيد ده ... هقعد شوية ع القهوة وهروح.

- على وضعك .... سلام.

...

في الثامنة مساءً جهز أيمن حقيبته وأعد العُدة لرحلة صيد هي الأولى في حياته .. رحلة لم يجرؤ على القيام بها إلا بعد إقناع عمته بأعظم الأيمان واثنين من الشهود أن هناك شعبة جديدة بكلية الهندسة تسمى (صيد الأسماك).

قفز في ميكروباص ألقاه على بعد أمتار من ركن الفاروق .. مشي متحمسًا متشوقًا لهواية يتمنى مزاولتها منذ العاشرة من عمره .. بخطوات واسعة اتجه أيمن إلى كوخ خشبي متآكل على مشارف شاطئ المجمع ... قرع بابه فخرج له بعد ثوانٍ رجل خمسيني بدين بعض الشيء يرتدي سروالًا وصديري مفتوح فوق بروڤل كحلي برقبة .. من ذوي الرؤوس الحمر .. حاد النظر ويبدو في جديته كحكم مباراة في نهائي كأس العالم.

- سلامو عليكو.

- سلام ورحمة الله ... خير؟

- كنت عايز أستأذنك وأدخل أصطاد من ع المركب الحديد اللي هناك دي ... كان أيمن يشير إلى مركب حديدي كان يستخدم في عبور الأشخاص إلى الضفة الأخرى ولم يعد.

- ممنوع ... زي ما أنت شايف كده المعدية مكتوبة عليها ممنوع الصيد على المعادن.

- دخلني بس يا حاج وأنا عنيا ليك.

- مش القصد، لو عليا هدخلك من غير حاجة بس أنت مترضاش الأذى لواحد أد أبوك.

- معاك حق يابا ... طب متعرفش أنهي حتة في المجمع بيبقى فيها سمك كتير؟

- السمك ده رزق من عند ربنا، الجرف قدامك واسع روح اصطاد من أي مكان وأنت ورزقك.
- ماشي ... تشكر يا حاج.
قالها أيمن قبل أن ينحني ويحمل حقيبته، ابتعد بخطوتين فأوقفه الرجل: بس الليل ليل عليك .. أحسنلك تصطاد الصبح في النهار، الحتة دي لبش ومليانة عيال مُسجلة .. متضمنش يمكن حد يطلع عليك يثبتك وياخد اللي معاك.
- الصبح عندي كلية ... سيبها على الله.
- ونعم بالله ... أنت اسمك إيه؟
- اسمي أيمن فتحي ... وأنت اسمك إيه يابا؟
- أنا عمك معتمد عبد الدايم.
في ثمانينيات القرن العشرين لم يكن معتمد عبد الدايم سوى صاحب كرستالة، نبطشي أفراح ومتعهد حفلات زفاف وجمعيات. فبمجرد صعوده فوق المسرح ببدلته العجيبة وقميصه الإسبانيش إلا ويهيج الفرح.
يتولى تقديم الوصلات والإبقاء على نشاط الحدث .. فضلًا عن السلامات المميزة ... سمعني سلام تلاتات تلاتات من هنا لحد الشلالات .. سمعني سلام صعيدي شحط محط من فوق لحد تحت، سمعني سلام لحكومة بلدنا والحكمدارية، مرورًا بالتحيات والثناء على أسماء عائلات لها نفوذ وسلطة في محيط جغرافي محدد.
تلك كانت حياته التي عشقها وتمناها منذ صغره ... كان يقف في شرفته ليشاهد هذا العالم الذي يخلب لُبه .. كم تمنى أن ينشئ المجلس الأعلى للجامعات كلية مساچ ليلتحق هو بشعبة التدليك

والتفعيص ... هجر العلم والتعليم واتجه إلى أفراح الحظ التي تستمر لسبع ليالي في بعض الأحيان، يحضر مراسمها أشهر الفنانين الشعبيين وكبار تجار السيكو سيكو الذين يتوارون خلف تجارة الخيول والأخشاب والأثاث وقطع غيار السيارات كغطاء وستار يحجب عنهم أعين الشرطة والمتربصين ... فضلًا عن راقصات بلا ملابس تذكر، يُثرن مشاعره فيتذوقهن في الفراش بعد إنهاء الوصلات، يجلس خلفهن رباعي لا غنى عنهم (عازف الأورغ والمزهرجي والدهولجي والطبال) ... وطاقم دفافين ككماليات للفرقة ... أما عن المخدرات فتتوافر بأنوعها بالإضافة إلى مشروبات روحية من كل ما لذ وطاب، تمتد على جميع الطاولات، يجاهد أصحاب الفرح في رفع كفاءتها دليلًا على الواجب الذي يقدم للحضور ليرتفع معه سعر النقوط كنوع من أنواع رد الجميل.

على الجانب الآخر تقف ثلاجة البيرة وأحجرة الشيشة المشحونة بالحشيش والتي يرزق من ورائها متعهدو المكيفات التي تقتصر سيطرتهم على عمال الرص وغلمان لم الزجاجات الفارغة.

تلك كانت أفراح الحظ التي تحولت بفعل الزمن وعوامل التعرية إلى حظ عوالم وأحيانًا ليلة فلان ثم فرحة فلان لتصل إلى دي چى فلان أو مهرجان فلان حتى أصبحت خالية من الراقصات والفرق الإستعراضية في معظم الأحيان.

كان معتمد عبد الدايم مخضرمًا في هذا المجال فكان يطلب بالاسم حتى ذاع صيته وارتفعت أجرته. كل ذلك قبل أن يتقدم به العمر وتتدهور حالته الصحية فأجبر على تقديم ماتش الاعتزال عن تلك المهنة، شغل بعدها مناصب عدة أهمها، قوادًا ومشرفًا

على جلسات الحلاوة للمومسات وإدارة الأعمال المنافية للآداب في إحدى شقق الدعارة غير المرخصة، فلم تدر عليه دخلًا إلا فتات من المال فضلًا عن إصدار قوانين جديدة شددت العقوبات على تلك المهنة. عمل بعد ذلك سمسارًا لبيع وتأجير المنازل والسيارات المستعملة فلم يفلح في مزاولتها .. ثم استأجر مقهى في منطقة غير حيوية فلم يأتِ بثماره حتى استقرت به الأحوال وانتهت رحلة كفاحه إلى عامل حراسة في منطقة المجمع التي يتم فيها تجميع السفن والمراكب وصيانتها وإصلاح أعطالها.

- طب هعتمد أنا بقى يا عم معتمد وأتكل على الله ... سلام.

- مع السلامة.

تركه أيمن وسلك طريقًا متعرجًا على ضوء كشاف هاتفه حتى وصل إلى عوامة مهجورة لا تصلح بيتًا لكلب. ألقى الحقيبة داخلها برفق قبل أن يلحق بها.

انحنى وفتح حقيبته ثم التقط منها سنارته المكونة من فايبر تلسكوبي وذراع صغير يلتصق ببكرة يلتف حولها خيط رفيع في نهايته ثقل وخطاف .. دس يده في الحقيبة وأخرج منها لفافة صغيرة .. فتحها بحذر قبل أن ينتشل منها مغرية (طُعم) غرسه في سن الخطاف بإحكام قبل أن ينتصب ويدير جسده.

ثبت ذراعه في الهواء وأحكم قبضته على يد السنارة وسبابته على الخيط قبل أن يطوح بها في حركة نصف دائرية في اللحظة التي أفرج فيها سبابته عن الخيط الرفيع ليسقط الخطاف بثقله ومغريته على بعد عشرات الأمتار من العوامة.

عشر دقائق مرت عليه كدهر في محاولة لم تنجح ... أدار ذراع البكرة للأمام وسحب الخيط ... رفع الخطاف في مستوى عينيه

فلم يجد الطعم ... أكلته سمكة بساريا صغيرة وهربت لينطبق عليها المثل (احترس من كل من اقترب من البحر). غرس طعمًا آخر في الخطاف وأعاد المحاولة ... دقيقتان وشعر بثقل جعل نهاية الفاير يتراقص في حركة ترددية لأعلى ولأسفل ... سحب الخيط في عجالة حتى بدا له ما التقطه خطاف السنارة .. كفولة محلية الصنع ألقتها امرأة بعدما قضى طفلها حاجته فيها.

باشمئزاز أخرج أيمن مقصًا صغيرًا نزع به الكفولة عن الخطاف فسقطت أرضًا ... أعاد المحاولة للمرة الثالثة عازمًا على إثبات جدارته في انتشال الأسماك من أحضان المياه ... ترك الخطاف بثقله غاطسًا في الماء ما يقرب من النصف ساعة حتى جرفه التيار فانحشر بين الهيش والنباتات العائمة. مأزق آخر كان كفيلًا بجعله يسب ويلعن الهيش والنيل وهواية الصيد وعامل الحراسة الذي منعه من الصيد على المركب الحديدي.

استسلم إلى ما آل إليه خطاف سنارته حتى أتى تيار آخر حرره من بين النباتات العائمة ... تنفس الصعداء وهو يدير ذراع البكرة حتى احتل الخيط أركان المجرى ... لملم أجزاء السنارة ووضعها في حقيبته قبل أن يغادر العوامة والمكان أجمع على أمل في لقاء آخر مع النيل.

(12)

بعد عدة أيام جلسا معًا كالعادة في كافيتريا الجامعة قبل بدء المحاضرة .. يوم جديد لا يختلف عن سابقه.

- على فكرة أنا عملت الصفحة اللي قولتلك عليها وخليتك أدمن معايا ... همتك بقى يا شبح عشان تكبر بسرعة.

- Do not wory ... مع إن الموضوع ده برا عني بس يلا مش هقولك لأ.

- هو الصاحب ليه إيه عند صاحبه غير أكله ونومه وصفحة يكبرهاله.

- على رأيك ... شوف كده الساعة كام معاك عشان ساعتي في التوكيل بتتصلح.

- توكيل .... الله يرحم أبوك .. كان بيركب الأسانسير ويدور ع الكومسري.

لم تكن بقصد الإهانة إلا أنها أوجعته ... تبدلت ملامحه وتعكر صفوه وتبخرت ابتسامته: أبويا! وهو فين أبويا ... سابني أنا وأمي وإخواتي وخلع منعرفش راح فين، فالح بس يبعتلنا كام ملطوش كل شهر تحت اسم فاعل خير .... فاكرنا مش عارفين إن هو اللي بيبعتها .. تصدق بالله يا أيمن، أنا لو شوفته دلوقتي مش

هعرفه ... أمي لمت كل صوره وحرقتها من زمان ... فكرتني ليه بس؟

- معلش يا صاحبي والله طلعت غصب عني كنت بهزر .. وريني ضحكتك بقى متقلبهاش أمينة رزق يا عم.

- ولا يهمك .. أنت عارف غلاوتك عندي، وأنا مزعلش منك أبدًا يا نيوتن ... صحيح متنساش فرح أختي بكرا في نادي أم كلثوم اوعى تنسى!

- عيب عليك يا حس أنسى إزاي .. ألف مبروك وعقبالك .. يلا بينا بقى الساعة تسعة وخمسة زمان المحاضرة بدأت.

...

هبط المساء مسرعًا في تلك الليلة ... هكذا أحسه أيمن الجالس أمام حاسبه يتصفح في بريده الجديد منذ وصوله المنزل، إعجاب هنا وتعليق هناك ونظرة سريعة على قائمة الأصدقاء النشطين الخاوية على عروشها إلا من فتاة أول أمس التي أرسل إليها: أخبارك إيه يا نورا .... مش باينة من الصبح ليه؟

- كويسة، ومش بفتح فيس كتير عشان الدراسة، وعلى فكرة ده آخر يوم ليا ع الفيس.

- ليه خير في حاجة حصلت؟

- لأ أبدًا مفيش ... بس أنا قررت أقفله لمدة سنتين كده لحد ما أخلص الثانوية العامة وأحقق حلمي.

- قرار كويس جدًا ... ربنا يوفقك وتوصلي للي بتتمنيه.

- يا رب ... وأنت أخبارك إيه وأخبار دراستك إيه يا هندزة؟

- أنا تمام بس الدراسة هي اللي مش تمام.

- تلاقيك مش بتذاكر وفاتح فيس ليل نهار صح.

- يعني مش بالظبط .. المشكلة الوحيدة عندي في مادة الرسم الهندسي .. بحبها من طرف تالت.
- ده اللي هو إزاي!
- يعني هي بتحب الدكتور والدكتور بيحبها وأنا بروح أقعد معاهم كده.
- هي هي هي هي دمك خفيف يا موكوس.
- احترمي نفسك يا ماما .. اسمي البشمهندس موكوس.
- خلاص متزوقش يا عم، يلا بقى سلام عشان عندي درس ناو.
- أوك سلام .. وخلي بالك من نفسك.
- أوك ... وأنت كمان.
سجل خروجه وأغلق حاسبه قبل أن ينهض .. ترجل من المنزل قاصداً النيل .. تحديداً كوخ (معتمد عبد الدايم) .. ابتاع في طريقه نصف كيلو جمبري حين لاحت له فكرة (من أطعمته سمكًا صرت عليه ملكًا).
على الجانب الآخر كان يجلس حسام أمام حاسبه لا يختلف كثيراً عن صديقه .. التجول بين صفحات الرشق والترويج للصفحة وإرسال روابط للأصدقاء محملة .. بـ(أمي بتسلم عليك وبتقولك اعمل لايك للصفحة) أو (اعمل لايك للبيدج وهيجيلك خبر حلو بعد 14 سنة ونص) .. وصلت إلى300 إعجاب في أقل من يوم.
كان أشبه بعريس يُرسل دعوات يوم زفافه، كان مهتمًا بالصفحة تلبية لرغبة خليله ... افتتحها بمنشور لم يخلُ من دعابة خارجة بطريقة غير مباشرة ... لم يتعدَ المنشور العشر كلمات، كان محتواه (أنا بقيت أخاف أنام لوحدي ... مطلوب آنسة للعمل).

لحظات وتلقى إشعارًا على صفحته ... علقت مدام فاتن على منشور بمدمن فيس.

كان محتوى التعليق: لازم آنسة .... مينفعش مدام؟

كانت مدام فاتن عائدة للتو إلى منزلها منهكة من أثر رحلة أسبوعية تقوم بها من أحد الأحياء الراقية بمدينة نصر قاصدة مدينة المحلة الكبرى على أن تعود في الليلة ذاتها.

ألقت حقيبتها بجوارها وارتمت فوق سريرها مُتعبة. التقطت علبة سجائر ماركة مالبورو من فوق الكومدينو ... أخرجت واحدة وأشعلتها قبل أن تضيئ شاشة هاتفها معلنة عن تلقي إشعارًا يحتوي على تعليق من حسام يقول: ينفع طبعًا ده عز الطلب ... تبعها بإرسال طلب صداقة بعد جولة سريعة داخل صفحتها قبل أن يرسل لها: مرحبًا بك في شات حسام ... للغة العربية اضغط واحد.

ابتسمت قبل أن تكتب: واحد.

- تحبي تبقي على نظام إيه؟

- مش لما أعرف الأنظمة الأول.

- هما 3 أنظمة غير بعض خالص، الأول اسمه حكاوي ع الفطار وهنتكلم فيه الصبح .. والتاني اسمه حكاوي آخر النهار .. والتالت اسمه حكاوي نص الليل وهو ده أحسن نظام عندي.

- طب مفيش أنظمة تاني أرخص شوية؟

- دي الأنظمة الموجودة حاليًا .... هتختاري أنهي واحد؟

- هختار التالت .... حكاوي نص الليل.

- للتأكيد اضغط واحد.

- واحد .. ممكن سؤال ... أنت أنهى واحد من الاتنين اللي في الصورة الشخصية؟
كانت الصورة تجمعه هو وصديقه أيمن في إحدى صالات الجيم الرياضي: خمني كده؟
- أنت المُز اللي على اليمين صح؟
- صح .. يلا بقى نبدأ النظام الجديد ... هندردش مع بعض عن حياتك في الفترة الأخرانية ... يعني من بعد ما اتجوزتي لحد دلوقتي ... بس بصراحة.
- أوك معنديش مانع .. أنا اتجوزت وأنا عندي 23 سنة من رجل أعمال أكبر مني بعشرين سنة واتقبض عليه من أسبوعين في قضية فساد .... اللي خلاني أوافق على واحد أد أبويا الله يرحمه لأني فقدت عذريتي وأنا عندي عشر سنين تقريبًا، كنت بلعب بالعجلة وعملت حادثة قضت على طموحاتي وده سبب جوازي منه. عايشة حياة مملة، مش بيخرجني منها غير التسويق الشبكي، والإنترڤيو اللي بعملها مع العملاء كنوع من التسلية مش أكتر.
- بتكسبي كتير من موضوع التسويق الشبكي ده؟
- يعني حوالي4000 جنيه .... بس زي ما قولتلك أنا بضيع وقتي بيه مش أكتر.
- طب ما تكسبي فيا ثواب وتشغليني معاكي لحسن الحالة ضنك اليومين دول ... يا ريت بقى تفهميني واحدة واحدة يعني إيه تسويق شبكي؟
- لأ ده موضوع كبير مينفعش نتكلم فيه هنا .... لو فاضي بكرا ممكن نتقابل وأشرحلك كل حاجة.

- مفيش مشكلة، بس بلاش بكرا عشان فرح أختي بكرا وهكون مشغول.
- نتقابل الصبح والموضوع مش هياخد وقت .. أنت ساكن فين؟
- في حلوان .... وأنتي؟
- مدينة نصر ... الحي السابع.
- طب هنتقابل فين؟
- نتقابل في أرابياتا ... هعزمك على الغدا بكرا.
- خلاص إشطة ... الساعة كام؟
- الساعة 2 الضهر كويس؟
- كويس ..... بس أنا معرفش شكلك.
- هبعتلك صورتي ورقم الفون ناو.

كانت تنظر إلى شاشة هاتفها بنصف عين يملؤها النعاس .. فلم تستطع مقاومته ... سقط الهاتف من يدها حين تسلل النوم إليها بعدما أرسلت له رقمها وصورتها.

...

طرق أيمن باب الكوخ وانتظر لحظات حتى فتح الباب ... تلقاه معتمد بابتسامة أعقبها سؤال: خير؟

- خير يا عم معتمد ... قالها ومد يده إليه بحقيبة بلاستيكية: شوية جمبري اصطادتهم المرة اللي فاتت، شويتهم في مطعم السمك وجيبتهوملك.
- رشوة مقبولة ... تعال ادخل.
- رشوة!

في الداخل جلس أيمن فوق كنبة ملصمة بدائية الصنع يجاورها زير صغير على يمينه إطار عربة متهالك يحتضن جهاز راديو وفي

المقابل كرسي جلد مشقق كان بداخله إسفنج ولم يعد، وبجانبه منضدة صغيرة، وضع عليها معتمد الحقيبة البلاستيكية بعدما أزاح جوزة صغيرة (كانشة)، فتح الحقيبة وأفرغ محتوياتها: يلا يا أيمن مد إيدك.

- بالهنا والشفا ... مبحبش السمك.

- أومال بتصطاده ليه؟

- غاوي.

- قصدك هاوي ... بتصطاد بقالك كتير؟

- أول مرة أصطاد فيها ساعة ما جيتلك من كام يوم.

- واصطدت الجمبري ده كله؟ باين عليك مرزق.

- بصراحة .. الجمبري ده أنا مشتريه ... كانت ناشفة المرة اللي فاتت مصطدتش ولا سمكة.

- ما أنا عارف إنك مشتريه.

- عرفت منين؟

- مية النيل عدبة والجمبري مش بيحب يعيش غير في المالح، ونادر أوي لو لاقيت جمبرياية في النيل.

بدا أيمن لباسًا بدون أستك ... هرب بعينيه إلى جرنال ملقى على يمينه فسأله مغيرًا دفة الحديث: أنت بتقرا جرايد يا عم معتمد؟

- يوماتي على الله ... لازم أشتريه الصبح مع الفطار وعلبة البلا الأزرق.

- وإيه الأخبار في البلد؟

- مرسي مش عايز يجيبها لبر ... شال عبد المجيد محمود من منصبه.

- مين عبد المجيد محمود ده؟

- النائب العام ... مرسي عايز يزحلقه ع الفاتيكان ... هيعيش مع الكرداله والخور أسقف.
- هو حد يطول يعيش في إيطاليا.
- بمناسبة إيطاليا ... سمعت عن صفقة حسين الرشيدي اللي اتقفشت في المينا؟
- صفقة إيه دي؟ ومين حسين الرشيدي؟
- إيه يا بشمهندز أنت متعرفش حد في البلد؟
- لأ أبدًا أصلي مش متابع سياسة .. أنت عرفت منين إني في هندسة؟
- طلعت كده بالصدفة .. المهم حسين الرشيدي ده كان سمكة صغيرة قبل ما يبقى من حيتان البلد، بين ليلة وضحاها بقى رجل أعمال، اشتغل في كل حاجة تيجي على بالك معتقش .. اشتغل في تجارة الأسلحة والزخيرة المترخصة ... خد توكيل كاتربيلر، حفارات بقى ولوادر وكلاركات وكسارات وبلدوزرات ... صفقات لقطع غيار غير مطابقة من الصين وروسيا وإيطاليا وغيرها.

في الصفقة الأخرانية بتاعت إيطاليا اتلعب عليه فيها، حد من حبايبه فقعه اسفين وبلغ عنه، ولما البضاعة اتعاينت لقيوا إن في عيوب تصنيع فعلًا ... اتقبض عليه من كام أسبوع قبل ما يشتري توكيل السجاير الأجنبي من منصور شيفروليه، ومشرف دلوقتي في طره معاهم، أصله كان فلول ... الخبر عندك في الصفحة الرابعة.

تظاهر أيمن بالاهتمام وتصنع تقليب الصفحات: آه معاك حق يا عم معتمد ... الخبر أهو.

- في ناس بتقول أنه كان ساكن هنا زمان في عزبة الوالدة باشا .. بيقولوا أنه لقى حتة آثار باعها وعدا، بس الله أعلم الكلام ده صح ولا لأ.
- تلاقيها إشاعة طلعت ولفت في يوم وليلة.
- على رأيك ... تشرب شاي؟
- سينز صغير كده.
قام معتمد من مجلسه وغسل يديه قبل أن يتجرع نصف زجاجة مياه وبالنصف الآخر ملأ (كاتيل) صغير .. أحضر كوبين ثم وضع بداخلهما السكر والشاي .. دقيقتان وتلقى إشارة من الكاتيل أن تم الغليان بنجاح. صب المياه الساخنة في الكوبين قبل أن يعود ويجلس بجانب أيمن: مجبتش معاك السنارة ليه النهارده؟ مش ناوي تصطاد؟
- الهيش مالي المكان مبعرفش أصطاد منه .. لازم أصطاد من على عمق ... يا إما من عندك يا إما من نادي الإنتاج يا إما متحف فاروق وطبعًا ممنوع الصيد فيهم.
- تعال بس وأنا هدخلك تصطاد من ع المركب جوه .. بس تيجي الخميس بعد ما تخلص كليتك ... متخليش الصيد يعطلك عن دراستك.
- لأ متخافش يا عم معتمد ... أنا بدي لكل حاجة حقها.
- جدع ... شد حيلك.
- أنت معندكش عيال يا عم معتمد؟
- أنا متجوزتش أصلًا ... عندك عروسة؟
- أكيد بتهزر ... تلاقيك اتجوزت وماتت أو طلقتها صح؟
- زي ما بقولك ... أنا متجوزتش أصلًا.

- طب ليه؟ ... اوعى تقول الأمر معقد.
- مش معقد ولا حاجة. يا ابني أنا أكلت حريم بعدد شعر راسك، إيه بقى اللي يخليني أتجوز ... الجواز ده وجع دماغ، تسألك رايح فين وجاي منين والواد تعبان والواد جعان وعايزة بمبظ للواد وعايزة أتفسح وعايزة أروح لأمي ... أنا كده ملك.
- أكلت حريم! ... كنت شغال دراكولا ولا إيه؟
- كنت شغال نبطشي أفراح .. ياما تنيت رقاصات ع المسرح وع السرير ... غير اللي طلبوني في فرشتهم.
- طلبوك في فرشتهم! .. شكلك بتحور يا عم معتمد.
- أحور إيه ياض! شكلك خام متعرفش حاجة، الزانية والزاني ... أخدت بالك المولى بدأ بيهم هما عشان البداية دايمًا بتيجي منهم.
- بغض النظر عن الآية .. يعني عايز تفهمني إن الحريم بتيجي تقولك تعال دفيني في حضنك.
- مش بالظبط يا عبيط .. أنت متقدرش تطلب حاجة إلا أما تلاقي منهم ريق حلو ... ده اللي قصدي أوصلهولك.
- طبيعي ... آمن ... فعال.
- هو إيه ده اللي طبيعي وآمن وفعال؟
- الرقص ... طبيعي إن الواحدة ترقص لجوزها أو حتى ترقص من البرد ... وآمن لأن أي رقاصة محترمة بيبقى معاها اتنين بودي جارد ع الأقل .. وفعال لأنه بينشط الدورة الدموية وبيجيب فلوس.
- أهو في الأخرانية دي معاك حق .. إلا بيجيب فلوس، باب رزق بيتفتح مع كل هزة وسط. بالك أنت واحدة زي صوفيا دي عشان

تروح ترقص في كونتنتال ولا الفورسيزون بتاخد كام في الساعة؟
- كام؟
- مش أقل من100 ألف جنيه ... وتبقى موجبة معاهم كمان.
-100 ألف! ... ده الواحد يشتغل بيهم خمس سنين وأكتر كمان.
- معلوم وأكتر من خمس سنين، يعني مع احترامي ليك الرقاصة بتكسب أكتر من المهندس اللي زيك.
- أي حاجة حرام بتكسب كتير.
- ومين قال إن الرقص حرام؟
- ودي فيها كلام ... الرقص حرام طبعًا.
- مش هختلف معاك كتير بس هفهمك حاجة ... الرقاصات في البلد دي ٣ أنواع .. أول نوع منهم الرقاصة المقشفة، متستغربش الواحدة من دول تجيلك هدومها مقطعة وريحتها وحشة وتقولك أنا شحاتة ولا خدامة وباخد ملاليم وعايزة أشتغل رقاصة عشان أعرف أصرف على عيالي .. يبقى جسمها فاجر ومدملك، تقعد تتقسع قدامك عشان تبهرك بإمكانياتها وفي نفس الوقت تصعب عليك، تنضفها وتلبسها البدلة الحمرا أم ترتر أبيض وتضرب معاها السجارتين وإزازة البيرة وبعد كده تنزلها مع الفرقة .. ومعظمهم مبيعرفوش يرقصوا أصلًا ... وبتاخدلها في الوصلة الواحدة بتاع ٣٠٠ جنيه.
- والنوع التاني؟
- النوع التاني ده هو اللي عليه الطلب، رقاصات أجانب بيجوا من روسيا والبرازيل وأرمينيا عشان يحققوا الشهرة والفلوس اللي مقدروش يعملوها في بلادهم. الواحدة منهم ممكن تعملها في

السنة بتاع ٣ مليون دولار .. وبيطلبوا بالاسم في الفنادق والأفراح العليوي ... محدش بيبوصلهم في لقمة عيشهم إلا بتوع الضرايب مش سايبينهم في حالهم .. بيجمركوهم قبل ما يسافروا برا البلد يعنى لازم تدفع عشان تعدي ... ناس عايشة على أفا ناس.

- والتالت؟

- بنات الجامعات واللي على مستوى .. متستغربش بردو، زي ما أنت بتحب الصيد هما كمان بيحبوا الرقص، هواية ممتعة بالنسبة لهم. بس الشهادة لله محترمين، مش بيزاولوا المهنة إلا بترخيص من نقابة المهن التمثيلية اللي رافضة موضوع تصنيف الرقاصات. معاهم حق أصل الأنواع دي كلها بتصب في قالب واحد اسمه الهز.

- ترخيص! حتى الرقص ليه ترخيص .. أول مرة أعرف.

- أومال أنت فاكر إيه .. الواحدة منهم تروح تدفع ٥٥٠ جنيه أو ١٠٠ دولار وتاخد ترخيص المزاولة ... بس مش قبل ما تمضي تعهد إن هي المسئولة عن نفسها وعن تصرفاتها.

- تعرف يا عم معتمد إن القاعدة معاك بـ100 محاضرة في الكلية.

- طب اشرب شايك بقى يا بكاش زمانه برد.

ابتسم أيمن ولم يعقب ثم التقط كوبه وبدأ يرتشف وهو يتابع معتمد بتعجب حين دس يده في جيبه وأخرج كيسًا صغيرًا بداخله مادة رمادية اللون .. انتشل حفنة صغيرة بين سبابته وإبهامه ثم وضعها بين شفته السفلى واللثة.

بتعجب سأله أيمن: إيه ده يا عم معتمد؟

- دي مضغة يمني.

- وإيه المضغة دي كمان؟
- سويكة ... تبغ تمباك.
- إيه الألغاز دي! يعني إيه بردو؟
- المضغة دي عبارة عن شوية تبغ محطوط عليهم حنة على ملح على رماد فحم على عطرون .. في ناس بتمضغها وبعدين تتفها وفي ناس بتحطها تحت لسانها زي الأفيون كده .. وفي ناس بتحطها بين اللثة والشفة زي أنا كده ... تجرب؟
- لأ أجرب إيه معاذ الله، هقوم أنا بقى وأسيبك تستحلب مضغتك بمزاج.
- ما لسه بدري يا بشمهندس.
- معلش .. أصل سايب عمتي قاعدة لوحدها في البيت.
- ماشي ... هستناك الخميس.
- بإذن الله ... سلامو عليكو.
- سلام ورحمة الله.

(13)

الثانية ظهرًا .. كانت تقف مدام فاتن أمام مطعم أرابياتا الشهير .. هاي هيل يكبل قدم تزينها أظافر مطلية بأحمر قاني، وفيزون أسود يلتصق بعمودين من الچيلاتين تستند عليهما قلعة طبيعية وشمت جدرانها بـ(ادخلوها آمنين).

وبادي كارينا أحمر يستتر خلف بوليرو قصير يحيط صدر عامر يتغذى على زيت الحلبة والزيتون ... تضاهي به أبطال العالم للثدييات تشلسي تشارمز الأمريكية ومايرا هيلز الألمانية، وجو فينج الصيني .. بيضاء البشرة، شعرها مموج ومختلط بين الأسود والأصفر ... على الجانب الآخر للطريق كان يلوح لها حسام بيده بعدما أبطل محرك دراجته البخارية .. عبر الطريق مسرعًا في اتجاهها حتى أصبح على مقربة قبل أن: أوباااااا ... صاروخ آرو بعيد المدى .... لأ أنا هيغمى عليا.

- صاروخ بس؟

- وسفينة فضاء أبولو130 راكب كمان.

- ماشي يا بكاش ... تعال أنا لسه مفطرتش لحد دلوقتي.

في الداخل جلس حسام بعدما سحب كرسيًا وأجلسها على سبيل الجنتلة ... لحظات وجاءهما النادل فطلبت (ماسالا) بينما طلب حسام (دونير).

- ها بقى يا سيدي أنت عندك كام سنة وبتدرس ولا خلصت؟ ... احكيلي عن نفسك شوية.
- عندي 19 سنة، في أولى هندسة ... وهلخصلك حكايتي في كلمتين ..... شاب كادح.
- ووسيم.
- ملهاش لازمة في البلد دي.
- أومال إيه اللي ليه لازمة؟
- الفلوس.
- بس أنت مهندس وكلها كام سنة ..... تشتغل وتعدي.
- المنحوس منحوس.
- كل باب وليه مفتاح.
- ما أنا كل ما ألاقي المفتاح الكالون يتغير.
- بابي من غير كالون.
أخرج علبة سجائره والتقط واحدة وهو يلتهم بعينيه مصدين نيوماتيكيين نُفخا بكومبروسر 120 حصان تمتلكهما ثم تمتم: قصدك بوابة مش باب.
قطع حديثهما وصول الأوردر مان ... وضع الطعام وانصرف في الحال قبل أن يسألها حسام: مش هتعرفيني بقى موضوع التسويق الشبكي ده نظامه إيه؟
- بعد ما نخلص أكل هنطلع عندي الشقة فوق وأفهمك كل حاجة .. عشان مش هعرف أشرحلك كده، في ورق هيتشرحلك عليه ... الشقة مش بعيدة وبالمرة تقول إيه رأيك في ديكورات الشقة بما إنك بشمهندس.

أومأ برأسه أن نعم، ولم يعارض قبل أن يغوص في وجبته كلاجئ صومالي لم يرَ طعامًا منذ أعوام.

بعد دقائق .... قادته الماكينة جولد وينج f6c ضمان مدى الحياة إلى الطابق التاسع بإحدى العقارات الراقية بالحى السابع حيث تُقيم .... أدخلت مفاتحها في ثُقب الباب فاستجاب وفُتح بدون مقاومة تُذكر .. كان المنزل تحفة فنية ... فخم ومنسق كصاحبته التي تركت لمساتها السحرية على ديكوراته ... جلس حسام على كرسي أنتريه في رسبشنه الواسع الذي يصلح لساحة حرب بدون أسلحة.

ظل صامتًا لحظات شرد فيها بمخيلته إلى ما فوق السحاب، كانت تقف على يمينه الحكمة الشهيرة ... لا تؤجل عمل الآن لشوبة كمان ... وعلى يساره كان يقف بيسو وأعوانه (إبليس سابقًا).

- مقولتليش إيه رأيك في الديكورات؟

- ديكور جامد فشخ .. بس صاحبته أجمد، بقول إيه هو التواليت فين؟

أشارت بسبابتها يمينًا: هتمشي في الطرقة دي ... هتلاقيه أول حاجة على إيدك الشمال، وأنا هروح أحضر الورق بتاع التسويق على ما تطلع.

اتجه مسرعًا نحو دورة المياه كمن يعدو خلف أتوبيس نقل عام. عشر دقائق وغادر دورة المياه بعدما أودى بحياة عدد لا بأس به من شهداء الواجب في غياهب مواسير الصرف الصحي ... كانت تجلس مدام فاتن في انتظاره. أمامها منضدة صغيرة تضع فوقها بعض الأوراق .. جلس بجوارها ولم تمر ثانيتان إلا وجاءه صوت نغمة هاتفه معلنة عن وصول مكالمة استغاثة.

أخرج هاتفه ونظر إلى الشاشة فوجد الاتصال من والدته: ألو ... أنت فين يا حسام يا حبيبي؟
- أنا في مشوار .... مع واحد صاحبي.
- مشوار فين يعني؟
- جانب الكلية .. ولسه قدامي شوية على ما آجي.
- طب كويس إنك عند الكلية .. في جماعة من البلد لسه واصلين رمسيس دلوقتي ... روح اتلقاهم بقى.
- جماعة مين؟ وده وقته.
- خالتك وجوز خالتك وبنت خالتك .. روح على طول اوعى تتأخر عليهم.
- ماشي هروح .. بس عشان أسماء بنت خالتي واحشاني .. لولا كده مكنتش عبرتهم.
- اخص على تربيتك يا وسخ .. الحق عليا معرفتش أربيك.
- ألو .... ألو .... روحتي فين ياما الصوت بيقطع؟
- بقى الصوت بيقطع يا موكوس. اقفل وروح اعمل اللي قولتلك عليه.
- طب سلام بقى لو كنتي سامعاني.
أنهى مكالمته ووضع هاتفه في جيبه قبل أن يستطرد معتذرًا: معلش بقى يا مدام فاتن .. مضطر أمشي دلوقت ونبقى نكمل موضوع التسويق ده بعدين.
ابتسمت بخبث: ماشي يا سيدي ولا يهمك .. وابقى سلملي على بنت خالتك.
- لأ أنا محترم مبسلمش على حريم أنا باخد بالحضن على طول.
- أمممم قولتلي ... هنتقابل امتى تاني؟

- مش عارف هبقى أكلمك في التليفون وأبلغك.

...

حل المساء وأضيئت الأنوار وأفتتحت الليلة بأسماء الله الحسنى لتحتل بعدها أغاني صاخبة تتخللها الموسيقى والدرامز، تبدأ معها الرقصات والحنجلة والابتسامات لتتبعها طلعات استكشافية ثم هجومية لسحب العروسين إلى ساحة المعركة. قرصة في فخذ العروس المستترة خلف فستانها الأبيض من صديقاتها .. وتحية في أسفل منتصف كرة العريس الأرضية من أصدقاء سترد لهم التحية لا محال.

في القاعة المجاورة كان يقف عادل كتائه في أدغال أفريقيا ... نظرة هنا وأخرى هناك .. بحث عن أحد يعرفه فلم يجد .. أخرج هاتفه ووضعه على أذنه بعد لمستين فوق شاشته فأتته الإجابة من حسام: ألو .... إيه يا ابني أنت فين؟

- أنت اللي فين؟ أنا في القاعة أهو وعمال أدور عليك ولا على أي حد أعرفه مش لاقي خالص.

- أنت في القاعة المكشوفة ولا المتغطية؟

- المكشوفة.

- طب تعال القاعة التانية يا أبو جهل .. ما أنا قايل هتبقى في المتغطية.

- خلاص اقفل ..... سلام مؤقت.

اتجه عادل إلى القاعة المجاورة بعد نظرة ألقاها على العروس حاسدًا بها الجالس إلى جوارها ... ومشفقًا عليهما من كوارث طبيعية وصناعية ستحدث في القريب العاجل. جلس على إحدى الكراسي الملتفة حول منضدة في الركن البعيد للقاعة بعد

مصافحة وحضن وتهنئة لصديقه الذي جلس بجواره يستريح قبل استئناف الشوط الثاني من الرقص.
أخرج منديلًا ورقيًا ليجفف عرقه قبل أن يستطرد: أي خدمة .. مروقلك ع البيدج أهو عشان متقولش حارمك من حاجة.
- مروقلي ع البيدج .. ده أكتر من نصه عراقيين على خليجيين .. ده غير منشوراتك .. بقى بتخاف تنام لوحدك يا حيلتها وطالب آنسة للعمل.
- أنت قريته؟ .. شوفت التعليق بتاع مدام فاتن؟
- آه شوفته ... ماله!
- روحت قابلتها النهارده في مدينة نصر.
- يا راجل ... قابلتها ليه يعني؟
- قولتلها تشغلني معاها في التسويق الشبكي ... عزمتني على الغدا في مطعم وبعدها طلعنا شقتها بس ملحقتش تفهمني حاجة .. مشيت على طول عشان أجيب خالتي من المحطة.
- بقول إيه متحورش.
- طب وعهد الله ما بحور عليك.
- المهم طلعت حلوة ولا وشها عايز يتمعجن.
- لومان يا صاحبي .. عليها كسحة ولا كيم كارادیشیان.
- كسحة! هي بلاك جاك ولا إيه؟ ع العموم الله يسهلك مُرزق من يومك.
- أهو أرك ده اللي جايبنا لورا .. بقول إيه أنا هروح أَرقص مع العريس شوية وهجيلك تاني.
- اعتمد ... بس براحة عليه مش هتبقى أنت وأختك.
لكمه حسام في كتفه بقوة فكاد أن ينخلع قبل أن يتركه ويعود إلى منطقة الخطر التي تبعد ست ياردات عن الكوشة.

(14)

أَدبر عامان وثلاثة أشهر وخمسة أيام .. تفرق فيهما الصديقان بعدما انتقل أيمن إلى فرع الكلية الآخر بالقرب من الحديقة اليابانية لالتحاقه بقسم كهرباء باور، بينما ظل حسام نزيلًا بفرع المطرية لالتحاقه بقسم مدني، ورسوبه بمادة الرسم الهندسي للعام الثاني على التوالي .. لم تَعد تربطهما سوى صداقة الفيس بوك ومكالمة واحدة من أحدهما بالتبادل كل بضعة أسابيع، ولقاء يجمعهما من حين لآخر.

أما عن علاقة حسام بمدام فاتن فأصبحت كعلاقة الموبايل بالجراب، لم تكن تقتصر على التسويق الشبكي وإنما أصبحت تعويضًا لها عن نقص في الميزانية العامة وقلة الاكتفاء الذاتي! وانخفاض في عجز الموازنة والمخزون الاحتياطي بالنسبة له! .. ليلة أسبوعيًا يتم فيها تجديد الباقة مع استمرارية نظام حكاوي نص الليل، وعدم إلغاء اشتراك الخدمة!

عادت نورا إلى أحضان الفيس بوك بعد عامين لم تُحقق فيهما حُلمها للوصول إلى الهدف الذي حددته بل كانت قاب قوسين أو أدنى ... التحقت بكلية الصيدلة جامعة القاهرة الرابضة بجوار جمعية هدى شعراوي بشارع القصر العيني والتي أصبحت كيانًا

مُستقلًا عام 1955 بعد إصدار مرسوم حكومي بانفصالها عن كلية الطب جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا).

كان أيمن مُمسكا بهاتفه يتصفح رواية pdf حين جاءته نغمة استلام رسالة على تطبيق Facebook messenger من ana nona ومحتواها: أخبارك إيه يا بشمهندس .. فاكرني ولا لأ؟

قرأ الرسالة والاسم ثلاث مرات وبالطبع تذكرها على الفور قبل أن يقوم بالرد: دكتورة نورا حمد الله ع السلامة وأنا أقول الفيس منور ليه.

- الله يسلمك ..... ميرسي.

- أخبارك إيه؟ دخلتي طب ولا؟

- دخلت صيدلة.

- يلا معلش .. مهو مينفعش كلها تبقى دكاترة، أومال مين اللي هيبيع الأسبرين والبامبرز.

- أسبرين وبامبرز! ... أنا مخصماك ومش هكلمك تاني هه.

- خلاص أنا آسف .. بهزر، هو احنا نقدر نعيش من غير صيدلانية أومال مين اللي هيترجملنا روشتات الدكاترة الهيروغليفية ومين اللي هيعمل تركيبات الأدوية.

- دخلت قسم إيه؟

- كهربا باور.

- يعني هتطلع كهربائي .. آخرك سلكتين ودواية ولمبة مسمار.

- أنا وبلا فخر هبقى ماسك غرفة التحكم في أي مكان هشتغل فيه بعد ما أتخرج .. هو أينعم ممكن يصحوني الساعة 3 بالليل

ويقولوا تعال صلح كابل كهربا عمومي أو تعال شوف التوصيلات في علبة كهربا جربانة بس مش مشكلة هبقى اتعودت.

- على فكرة أنا بابا كان مهندس بس طلع ع المعاش.

- بجد .... كان مهندس إيه؟

- كان مهندس كيميا.

- كيميا حلوة ... بس بسمع إن اليومين دول ملهاش مستقبل في البلد.

- آه معاك حق .. صعب تشتغل بشهادتك في البلد دي.

- آه بالظبط كده .. بعد إذنك أنا هقفل وهبقى أفتح شوية كده عشان عندي مشوار دلوقتي.

- مشوار إيه؟

- رايح أقابل واحد صاحبي ع القهوة.

- أمممم .... وطبعاً بتشرب شيشة صح؟

- لأ طبعاً .... بس صاحبي بيشرب.

- خلاص ما تصاحبهوش .. لازم تتقي أصحابك كويس .. ولا إيه؟

- معاكي حق .. بس أنا بقالي فترة ما قابلتوش من حوالي شهر تقريباً.

- أوك ... يلا سلام عشان متتأخرش على صاحبك.

- سلاااام يا نونتي.

- نونتك!! ليلتك مش فايتة بس لما ترجع.

- هههههههه ماشي سلام.

...

على المقهى ذاته الذي يضايفهما كالعادة حتى مطلع الفجر .. جلس الصديقان بعد حضن ولوم وعتاب من الطرفين .. سؤال هنا وجواب هناك عن آخر الأخبار والأحداث على الساحة المعيشية والحياة منتهية الصلاحية والعلاقات الأسرية والسرية! وأخيرًا عن الأحوال الدراسية ...

- شوفت توفيق المصري ابن الأحبة .. سقطني السنة دي كمان في الرسم.

- يا راجل .. طب وبعدين ناوي تعمل إيه؟

- هروحله بكرا مكتبه وهتكلم معاه بالحسنى، لو ماجبتش نتيجة في فكرة بنت حرام في دماغي بس مش عايز أعملها .. متردد.

- فكرة إيه يا بلوة .. اوعى تعمل معاه حاجة بدل ما تترحل على تجارة أو أبو زعبل.

- بقول إيه فوكك من الموضوع ده عشان بيعصبني.

- أخبار سلمى إيه صحيح؟ ناوي تتقدملها امتى؟

- أتقدملها إيه أنت اتجننت .. أنا بقالي 7 سنين ع الفيس ألاغي وأوقع وبعدها أخلع.

- يعني خلاص سيبتها .. ده أنت كنت بتحبها وهتموت وتعبرك.

- الحب ده غريزة وسخة .. فراقه وجع وقربه ذل .. من الآخر يا صاحبي لو بتحب لف ودب .. خُد مصلحتك ونفضلها .. استنى أوريك رد فعلها كان عامل إزاي لما قولتلها نسيب بعض.

أخرج هاتفه من جيبه وأخذ يبحث في الرسائل المؤرشفة حتى وجد ما يبحث عنه .. ناول الهاتف لأيمن الذي التقطه وأخذ يقرأ ما تحتوي عليه الرسائل من كلمات مكبوتة كان يضيق بها صدرها كلمات لا تخرج إلا ممن أحبت بصدق: أنت زعلان بجد عشان

هتسيبني .. عشان فقدت ثقتك فيا كمان بجد .. أنت بتتكلم ليه أصلًا .... عايزاك تقول حاجة واحدة بس أنا غلط فيها .. أنت مبتحسش بالكلام اللي أنت بتقوله .. عمرك ما جربت إنك قبل ما تقوله تدوقه الأول وتشوف شعور اللي أنت بتوجهله الكلام هيكون إحساسه إيه وهيبقى عامل إزاي .... عمرك جربت إنك يكون وراك محاضرة الصبح بدري وتقول لصاحبك يرن عليك عشان يصحيك ولما يرن يلاقيك لسه ما نمتش أصلًا ولما يقابلك في الكلية ويشوف منظرك ويسألك أنت عينيك حمرا ليه أنت كنت بتعيط صح .. طب عمرك جربت إحساس إنك تكون متعود على إنسان بتحكيله عن كل حاجة في حياتك بالتفصيل وفي الآخر يبعد عنك بسهولة كده .. طب جربت إحساس لما قلبك يقول آآآه ومحدش يسمعه. طب جربت إحساس إن أكتر إنسان بتحبه في الدنيا كلها يكون هو السبب في إنك تكون أتعس إنسان في الدنيا، لأ وكمان يجيب الغلط عليك عشان بدل ما يخفف عنك يزود عليك وجعك .... أكيد عمرك ما جربت أبدًا صح؟؟؟؟

لم يشعر أيمن بتلك الدموع التي سالت من مُقلتيه إلا حين انتزعه حسام من غياهب قراءته متعجبًا: إيه يلا يا نيوتن بتعيط كده ليه زي ما يكون حد ماتلك.

مسح أيمن دموعه غير الغزيرة وهو يناوله هاتفه: حرام عليك بجد .. أنت مش بني آدم. واحدة زي دي بتحبك بجد مكنش ينفع تسيبها بالبرود والسهولة دي.

- بقول إيه متعملش فيها استشاري حب .. أنا جعان هروح أجيب حاجة آكلها وجاي ... أجيبلك إيه معايا أنا عازمك النهارده وأويين بوفيه يا عم.

- أويين بوفيه ... هو التسويق الشبكي بيكسب أوي كده.
- آه بيكسب وبطل أر.
- ربنا يكرمك زي ما كرم نجيب وعبد الناصر .. واحد مات مسموم والتاني متحاصر.
- مقبولة منك يا عم ... هتنهش إيه؟
- لأ مليش نفس .. ما أنت عارف أنا مبحبش أتعشى.
- ماشي براحتك.
دقائق عاد حسام بعدها حاملًا في يده حقيبة بلاستيكية مُتخمة بالساندوتشات .... جلس بجوار صديقه القابض بيده على أذن كوب صغير يرتشف منه قبل أن يسأله: وعلى كده بقى بيطلع لك كام في الشهر من ورا الموضوع ده؟
- ألفين ونص وساعات تلاتة .. على حسب.
- حلو والله ... هو عبارة عن إيه التسويق ده؟
- بوص يا سيدي .. باختصار التسويق الشبكي ده عبارة عن بيع الهوا بمعنى إنه بيتم إضافة منتج ملوش أي قيمة، وأقدر أقنع الضحية أنه بيكسب دهب ... حاجة كده مبنية على شكل هرم وطبعًا أكتر المستفيدين من الموضوع ده اللي هما على قمة الهرم، وبالتالي الضحايا بيبقوا في قاعدة الهرم .. فاهم حاجة؟
- تمام ... بس إزاي بتقدر تقنع الضحية؟
- قبل حتة الإقناع دي في ناس من الشركة بتروح لعلماء دين وشيوخ وتقدملهم بيانات غلط وهمية، يعني عشان يقدروا ياخدوا منهم فتوى تقول أنه حلال وبعدها بنقدر نقنع الزبون إنه يشتري وهو مطمن ... وبنغريه بالمكسب.
- يعني التسويق ده عامل زي السمسرة صح؟

- لأ طبعًا لأن السمسرة دي عقد بموجبه بياخد السمسار أجرته أو عمولته مقابل بيع سلعة ... إنما التسويق الهرمي ده المسوق هو نفسه اللي بيدفع فلوس عشان يبقى مسوق .. وده طبعًا عكس السمسرة خالص .. وبعدين الهدف من التسويق مش بيع البضاعة إنما الهدف هو جر رجل مسوقين جداد عشان يجروا رجل مسوقين أجدد وهكذا ... وبطل بقى أسئلة خليني أطفح اللقمة اللي قربت تبرد دي.

نظر أيمن في ساعته فوجدها الثانية والنصف صباحًا فنهض من مجلسه: اطفح براحتك أنا سايبهالك خالص وماشي.

- طب ما تستنى يا ابني لحد ما أخلص أكل وأوصلك بالمكنة.

- لأ ملوش لزوم أنا عايز أتمشى .... سلام يا بوب.

- سلام يا أبو الصحاب.

غادر أيمن المقهى بعدما ودع صديقه ومشى متجهًا في طريقه إلى المنزل ليلتقي به كالعادة في أحد الشوارع المُظلمة .. كان ينظر بعينين جاحظتين إلى أيمن الذي التقط حجرًا صغيرًا من الأرض وألقاه في اتجاهه. نظر إلى الحجر الصغير وهو يمضي بجواره ولم يحرك ساكنًا ثم رفع رأسه ونظر إلى أيمن ثانيًا .. ارتعد وانتابته القشعريرة وأخذ يبحث عن حجر آخر يمينًا ويسارًا وما إن وجده انحنى ليلتقطه في عجالة .. فرد ظهره ورفع يده وقبل أن يُلقيه توقفت يده عن القذف.

لم يعد ذلك الثور الضخم في مكانه .. أخذت عيناه تصول وتجول هنا وهناك قبل أن يخلع نظارته ويدعك عينيه لتتضح الرؤية، ولكن كأن شيء لم يكن .. استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وأخذ يتمتم ببعض الآيات القرآنية حتى وصل إلى منزله.

(15)

كانت الغرفة واسعة إلى حد ما، مكونة من عدة مكاتب، يتوسط منتصفها الخلفي مكتب عريض يجلس خلفه د. توفيق المصري بمفرده .... كان ينظر إلى شاشة حاسبه المحمول كل خمسة دقائق كطالب ثانوية عامة ينتظر ظهور نتيجته.

في الخارج على بعد أمتار كانت تدب الأرض قدمان بخطوات سريعة باتجاه تلك الغرفة .. غرفة أعضاء هيئة التدريس ... قرع حسام باب الغرفة ولم ينتظر الإجابة .. دفع الباب ودلف ثم وقف أمام مكتبه بعد أربعة خطوات لا أكثر . انتبه د. توفيق من شروده في شاشة الحاسب رامقًا حسام بنظرة حادة: نعم يا حبيبي عايز إيه؟

- أنا دبلرت رسم السنة اللي فاتت واللي قبلها يا دكتور.

- مبروك ... وأنا دخلي إيه؟

- حضرتك دكتور المادة ... دخلك إيه إزاي!

- تلاقيك ما بتذاكرش .... أو كنت بتفونس اللوح عشان كده شيلت المادة.

- مليش أنا في الفونسة يا دكتور، وبعدين كان في واحدة معانا في الدفعة متعرفش يعني إيه رسم ومكانتش بتحضر وجابت

جيد جدًا ... اشمعنى بقى ولا أنا عشان دكر يعني تبقى المعاملة ميري معايا.

وقف د. توفيق ضاربًا براحة كفيه فوق مكتبه: إيه اللي أنت بتقوله ده يا أفندي .. أنت إزاي تتكلم معايا بالطريقة دي؟

ثم أشار بسبابته ناحية الباب قبل أن يكمل: اتفضل اطلع برا وأنا هعتبر إن مفيش حاجة حصلت .. متخلينيش أتخذ أي إجراء ضدك هترجع تندم في الآخر.

نظر حسام إلى الأرض وبصق على السجادة المُفترشة قبل أن يوليه ظهره تاركًا الغرفة متوعدًا له بصب لعناته ومعاقبته بأقصى عمليات الردع.

في طريقه إلى المكتبة ارتطم بذلك البدين طيب القلب صاحب المائة وعشرون كيلو واثنين وثلاثون جرامًا.

تقهقر حسام بخطوتين إلى الوارء من أثر الاصطدام قبل أن يلكمه في بطنه: إيه يا عجل أنت .. مش تفتح كنت هتوقعني.

لم يكن ذلك العجل سوى محسن الذي ابتسم له: إيه ياله مالك قالب وشك كده ليه؟ .. ده الوش اللي بتجيب بيه السولار صح؟

انفجر حسام ضحكًا كمن أُلقي بجواره قنبلة غاز مضحك حتى دمعت عيناه ... كان يرمقه محسن متعجبًا قبل أن يضيف: مالك يا ابني اتجننت ولا إيه؟

- تعرف يا محسن ... أنا لما بشوفك بحس إن الدنيا لسه بخير وبفضل أضحك مش عارف ليه.

- لأ .. الموضوع ده ميتسكتش عليه، أنت لازم تروح تكشف.

- معاك حق والله، الواحد عايز يكشف بجد.

- مالك؟

- توفيق المصري شيلني رسم السنة اللي فاتت كمان.
- وبعدين!
- لسه خارج من عنده .. شديت معاه في الكلام راح طردني من الأوضة.
- بتحكها معاه ليه بس ... أنا مش قولتلك اعتبر نفسك توكتوك ع الدائري وامشى على جانب، قلت الدكتور اللي متعرفش تفاديه خده واستمتع بيه.
- يلا بقى اللي حصل ..... بس أنا لازم أعلم عليه!
- تعلم عليه إزاي؟!
- مسيرك تعرف. إلا مين الحتة اللي كنت قاعد معاها امبارح في المكتبة ... شكلها كده المدام عشرين عشرين صح.
- قصدك ولاء دوبل كابينه؟ دي عاملة زي البقرة بفضل أشرحلها الدرس مرة واتنين وتلاتة وهي مفيش.
- بس تصدق لايقة عليك ياض يا محسن، هتعملوا أحلى بالانس مع بعض.
- لايقين على بعض إيه بس .. أنا هقولك على نصيحة أو بالأصح مقولة، يتميز ذكر الهندسة بالرجولة وتتميز أنثى الهندسة بالرجولة أيضًا.
- على رأى المثل خد الحكمة من أفواه المكلبظين.
ضحك محسن قبل أن يمد يده مصافحًا: لأ حلوة المقولة دي، يلا بقى سلام عشان عندي سكشن دلوقتي ... عايز حاجة؟
- تسلم ..... سلام يا حبيبنا.

في المكتبة كانت تجلس ندى منهمكة في كتابة أحد التقارير .. لم تشعر بحسام الذي جذب كرسيًا وجلس أمامها يطالعها بابتسامته الخبيثة.

أخرج هاتفه قبل أن يضغط على أيقونة معرض الصور وأخذ يقلب بين الصور حتى وجد ضالته .. تطلع إلى الصورة مليًا قبل أن: يا بختك يا ابن المحظوظة ...

انتبهت لما تفوه به قبل أن تنظر إليه في عدم فهم ولم تعقب ...

فأكمل حسام: أنا قصدي ع الواد ياسر ... معلق حتة دين مُزة ... شوفتهم قاعدين مع بعض في محطة دار السلام، روحت واخدلهم كام صورة كده للذكرى.

اضطربت ملامحها قبل أن تسأله: ياسر مين؟ ومُزة مين؟ .. أنا مش فاهمة حاجة.

ناولها هاتفه: كده هتفهمي أكتر.

التقطت الهاتف ثم نظرت إلى الشاشة بعينين توسعت تدريجيًا: على فكرة أنت حيوان والصورة دي عادية مفيهاش حاجة.

أردف ببروده المعتاد: تصدقي صح، الصورة مفيهاش أي حاجة، صداقة بريئة .. بس عم محمود الراجل الطيب اللي شغال وردية تانية في أسمنت طره لو شاف الصور أكيد هيبقى ليه رأي تاني.

- وكمان عارف الCv بتاع بابا!

عدل ياقة قميصه بتفاخر: دي أقل حاجة عندي.

عقدت ذراعيها أمام صدرها بعد أن رفعت حاجبها الأيمن بغضب: أنت عايز إيه؟

- خدمة صغيرة ولو اتنفذت اعتبري الصور دي بقت هباءً منثورًا.

- خدمة إيه إن شاء الله؟

- عايز أكونت الفيس بوك بتاع توفيق المصري ورقم تليفونه.
- اشمعنى؟
- من غير اشمعنى ... موافقة ولا؟
- ماشي، هات ورقة وقلم عشان أكتبهملك.
أخرج ورقة وقلم من حقيبته وناولهما لها مضيفًا: الورقة أهي يا حتة ..... واكتيبلي إيميلك بالمرة.
- نعم! ..... ليه ده كمان؟
- اعتبريها صدقة جارية ... وبعدين ما يمكن تكون الحكاية سالكة ويبقى عم محمود حمايا وجد عيالي.
- أنا أصلًا مرتبطة.
- قصدك ياسر ... ده واد شمال واا .... ولا بلاش الطيب أحسن.
- قصدك إيه مش فاهمة؟
كان لا يزال الهاتف بين يدها فأكمل حسام: حولي كده على الصورة اللي بعدها.
قبل أن ينهي جملته كان الشرر يتطاير من مقلتيها التي وقعت على صورة أخرى للشخص ذاته يجلس بجوار فتاة أخرى، صورة لم يستغرق حسام في تركيبها سوى عشر دقائق فقط.
- آه نسيت .. الأسبوع اللي فات كنت في دريم بارك وشوفت ياسر قاعد مع البنت اللي في الصورة دي، راح ضميري نقح عليا وقلت لازم أصورهم وهما متلبسين وأوري الصورة لندى ... البنت القمر الرقيقة الطيبة اللي مخدوعة فيه.
ظلت الفتاة صامتة للحظات قبل أن تلملم أوراقها ومتعلقاتها في حقيبتها وتغادر المكتبة دون أن تتفوه بأية كلمة ... في حين ظل حسام يرمقها بنهم حتى خرجت من باب المكتبة.

نظر إلى الورقة التي تعزل بين إبهامه وسبابته وبفحيح: استحمل بقى اللي هيجرالك يا توفيق!

...

ساعتان أو ثلاث يقضيهم أيمن يوميًا بين حواري وشوارع وأزقة الفيس بوك ... يتحدث إلى هذا ويطمئن على أحوال هذا ويزور صفحة هذا متفقدًا كل محتوياتها إلى أن تضيء العلامة الخضراء معلنة عن وصول نورا التي تثبت حضورها يوميًا على الموقع من التاسعة حتى العاشرة مساءً. يبتسم حين يرى بريدها على رأس قائمة الأصدقاء النشطين .. شيئًا ما يجبره على محادثتها عن أي شيء في سبيل بقائها أكثر وقت ممكن، ظنًا منه بأن الموقع يغمره سيل من الكآبة بالنسبة له في عدم وجودها.

كبت و فراغ عاطفى يتعايش معه منذ أعوام وهذا ما يجعل فؤاده يخفق في سعادة حين يتسامر معها على الرغم من عدم رؤيته لها وعدم معرفته الكاملة عن حياتها خارج نطاق الموقع.

ظهرت العلامة الخضراء وظهرت معها ابتسامته حين بادرته هي تلك المرة: أنت هنا يا بشمهندس وأنا عماله أدور عليك.

- هنا ولا أسيوط.

- خفة يا واد.

- بتعلم منك يا نونتي.

- تاني نونتي .. أنا مش قولتلك مبحبش حد يقولي الكلمة دي.

- الحق عليا بدلعك بدل ما هو محدش بيعبرك كده.

- مين دي اللي محدش بيعبرها .. تعال شوف الشباب بتعاكسني إزاي في الشارع .. ده أنا قمر يا بابا.

- كلكو بتقولوا كده ... وبتطلعوا بقر مش قمر.

- لأ يا بشمهندس .. أنا واثقة من نفسي وعارفة أنا بقول إيه.
- على فكرة أنا بهزر.
- هههههه طب ما أنا عارفه .. قول بقى إيه الأخبار مفيش جديد؟
- ماشي الحال ... ومفيش جديد غير حاجة واحدة بس.
- هي إيه بقى؟
- هي إني متعرف على بنوتة مطيرة النوم من عيني وبفكر فيها وعلى بالي دايمًا مع إني لسه معرفش شكلها.
- طب إزاي على بالك وأنت لسه مشوفتهاش؟ .. بتتخيل شكلها يعني؟
- آه .. حاجة زي كده.
- طب بتتخيلها شبه مين؟
- شبه زينة.
- متأكد أنه خيال مش رؤية.
- هههههههه أكيد ... أنا مش بتاع رؤى أنا بتاع كوابيس وأضغاث أحلام.
- مش قولتلي هي مين البنوتة دي؟
- بلاش تعرفي.
- لأ مليش دعوة عايزة أعرف.
- عمتي.
- عمتك! ربنا يخليهالك سلام.
- رايحة فين؟ أنتي زعلتي؟
- تؤ تؤ.
- عندك محاضرات بكرا؟
- آه .. بس ليه؟

- بسأل عادي ... أصل أنا بكرا رايح أزور واحد في القصر الفرنساوي .. هو جانب الكلية بتاعتك مش كده؟
- آه قريب منها .... هتزور مين؟
- أبو واحد صاحبي محجوز هناك.
- أمممم ربنا يشفيه.
- يا رب.
- أنت بتعمل إيه ناو؟
- ماسك الفون ومتكلفت تحت البطانية .... ليه؟
- فضول عادي ... أنا كمان ماسكة الفون ومتكلفتة تحت اللحاف.
- بصرة.
- بتسمع أسامة؟
- أسامة مين!
- أسامة منير ... اللي بيقدم برنامج أنا والنجوم وهواك.
- آه ساعات بسمعه.
- طب شغل الراديو ناو واسمع السونج اللي شغالة ... أنا بحبها أوي.
- أوك .... أغنية مين اللي شغالة؟
- دي اللي خدتني مني ... محمد عدوية.
- تاني بصرة ... أنا كمان بحب الأغنية دي.

ساد الصمت بعد توقف التكتكة والنقر على لوحة المفاتيح حتى انتهيا من سماع الأغنية وعادا إلى المحادثة لتكرارها كتابتًا.

- دي اللي معاها بس بدأت أحس إن اللي فاااااات من عمري ممكن بين إيديها في لحظة يرجع.

- تنسيك أي حد .... أهي دي اللي تستاهل بجد إنك تعيش ليها الحيااااة .. إيه اللي يمنع.
- ويبقى هموت وأشوفها وأد إيه بيوحشني خوفها .. كسوفها لما بكون واحشها ... دي دنيا كنت هموت وأعيشها لاقيتها بيها حلم حلمت بييه كنت هموت عليييييه.
- بقولك إيه أنت بتعرف تغني ... يعني صوتك حلو ولا لأ؟
- لأ مبعرفش أغني، ده أنا صوتي بيوقع البراويز من ع الحيطان.
- هههههههههههههههههههه.
الاتصال بالإنترنت غير متوفر .... تلقاها أيمن بغتة على شاشة هاتفه قبل أن تدعمها أخرى، لقد استهلكت100 % من باقتك.
بعد سب وقذف ودعوات على شركات المحمول وضع هاتفه بجواره بعدما ضبط ساعة منبهه على السادسة والنصف صباحًا .. أسدل جفنيه قبل أن يرفع طرف اللحاف إلى أسفل ذقنه تاركًا وجهه لحشرات الناموس الطائرة التي ترضع من دمائه ما يُعينها على البقاء بين عالم الأحياء.

...

في المقابل ... جلس حسام داخل مُكنة في إحدى المقاهي المشبوهة .... أخرج من جيبه ورقة مالية فئة عشر جنيهات ثم فردها قبل أن يضع في منتصفها قطعة حشيش صغيرة .. طبق الورقة طوليًا ثم أشعل ولاعته ومررها من أسفل الورقة ذهابًا وإيابًا قبل أن يرفعها إلى فمه ليعضعضها بأسنانه بعد ذوبان القطعة لتنتشر بطول الورقة.
أمسك ورقة أخرى وبسطها فوق كفه الأيسر ثم وضع قطعة الحشيش عليها بعدما أصبحت لينة كالعجين .. فرك القطعة بكفه

الآخر حتى أصبحت كعود الكبريت وأخرج علبة سجائره والتقط واحدة ثم قام بعمل ثقب في منتصف جدارها الخارجي قبل أن يغرس القطعة في ذلك الثقب لتصبح عمودية على السيجار.
أشعل الطرف الآخر للقطعة قبل أن يؤتى له بكوب فارغ ليسقطها داخله بحيث ينحشر طرفي السيجارة داخل الكوب وتكون القطعة في منتصف تجويف الكوب من أسفل.
تصاعد الدخان واقترب حسام ثم أمال رأسه ليستنشق دخانها بتلذذ واستمتاع ... كان ذلك قبل أن تداهم المقهى حملة مباغتة من الدوريات الأمنية .. أسفرت عن القبض على سبعة أشخاص من بينهم حسام الذي أنهك جنديين وأمين شرطة ركضًا وراءه قرابة العشر دقائق مما جعلهم يستقبلونه داخل القسم أفضل استقبال وعمل واجب التشريفة معه بكل إخلاص وتفاني في العمل.
بسيجارة ميرت من حسام إلى جندى ميؤوس من حالته سمح له بإجراء مكالمة وجيزة لا تزيد عن دقيقة بعدما وعده حسام بأعظم الأَيمان أنه سيتم محاسبته على تلك المكالمة فضائيًا وليس دوليًا بتكلفة تصل إلى المائة جنيه ... أمسك حسام بهاتف الجندي قبل أن يرفعه إلى أذنه بعدما ضغط زر الاتصال بمدام فاتن التي يحفظ رقمها عن ظهر قلب. لم تتم الاستجابة إلا بعد محاولتين رُفع فيهما سعر المكالمة إلى مائة وخمسين جنيهًا.
- ألو .. مين؟
- أنا حسام.
- رقم مين ده؟
- مش مهم ... أنتي فين؟ أنا واقع في ورطة.

- ورطة إيه؟
- قبضوا عليا وأنا قاعد في القهوة ... تعاليلي حالاً على قسم المعادي وهاتي محامي معاكي.
- أوك ..... بس ليه عملت إيه عشان يقبضوا عليك؟
- معملتش حاجة ... المهم تيجي بسرعة ومتتأخريش.
- أوك أوك .... سلام.
ثلاثون دقيقة استغرقتهم مدام فاتن للوصول أمام قسم شرطة المعادي بعدما قامت بتغيير مسارها اضطرارياً ... كانت متجهة بسيارتها إلى مدينة المحلة الكبرى التي انقطعت عن زيارتها ما يقرب من العام والنصف.
في الداخل اتجهت إلى غرفة رئيس المباحث ... الرائد صلاح عبدالتواب، دلفت حين سمح لها الجندي بالدخول بعد أن استأذن الضابط الذي انبهر بالطبع بمقدراتها الطبيعية والصناعية .... ومنحنياتها القياسية وبلا شك يدها الناعمة التي صافحته بها قبل أن تجلس وتضع قدماً فوق الأخرى.
أخرجت هاتفها وأجرت اتصالاً بشخص ما قبل أن تتعمق في أية تفاصيل عن ما جاءت بشأنه ... ناولت الهاتف للضابط قبل أن تخبره: اللوا كمال الخواطري مساعد الوزير مع حضرتك.
التقط الهاتف وهو يرمقها بنظرة خالية من التعبيرات: ألو .. أخبار سعادتك يا كمال بيه؟ ... آه يا فندم احنا فعلاً قبضنا على شوية عيال في قهوة مشبوهة من شوية. أوامرك يا باشا احنا عنينا ليك ولمدام فاتن بس اسمه إيه الولد ده ... تمام يا فندم ولا يكون عند حضرتك خبر ولا كأن في حاجة حصلت ... مع ألف سلامة مدام فاتن مع حضرتك.

أخذت الهاتف وتمتمت بكلمتين شكر وامتنان قبل أن تُنهي المكالمة. ضغط الضابط على زر صغير بجواره ... دخل الجندي إلى الغرفة في الحال: اجري يا ابني هاتلي واحد من أوضة الحبس اسمه حسام ....

نظر في بطاقته هنيهة ثم أكمل: حسام علاء رشيد.

دقيقتان وعاد الجندي يعتصر بقبضته ياقة قميص حسام الذي ابتسم حين رآها تجلس، فعلم أن الطبخة تم نضجها ولم يتبقَ سوى أكلها وأن الثمرة نضجت ولم يتبقَ سوى قطفها .. تم إلغاء المحضر في ساعته وتاريخه وكأن شيئًا لم يحدث .. تقدمته مدام فاتن إلى الخارج وتبعها حسام الذي أراد استفزاز الضابط كتعويض لما قُدم له من واجب فألقى بثلاث كلمات لزجة لا رابع لها: خلصانة ومعاها حصانة .... كانت كفيلة بإثارة غضب الضابط الذي التزم الصمت مكتفيًا بجز أسنانه وضربة قوية بقبضة يده فوق مكتبه.

في طريق العودة إلى منزلها ... بداخل سيارتها جلس حسام ممسكًا بعجلة القيادة وجلست هي بجانبه تنظر إليه تارة وتنظر إلى الطريق أخرى، كانت ممسكة بسيجارة بعد أن سبقتها شقيقتها في العلبة إلى مدافن الحاج طافي لدفن أعقاب السجائر. لثمتها قُبلة الوداع قبل أن تُلقيها وتنفث دخانها في وجه حسام مستطردة: كويس إنك اتصلت بيا قبل ما أسافر ... كان زمانك محتاس دلوقتي.

- تسافري! تسافري فين؟

- الغربية.

- اشمعنى؟

- هزور حجازي.
- حجازي مين ده كمان؟
- مدرب كاراتيه ... مرحتلهوش من حوالي سنتين من ساعة ما اتعرفت عليك.
- آآآآآه ..... ومعاكي حزام إيه دلوقتي؟!
- لأ أنا اتخطيت مرحلة الأحزمة من زمان.
- بتروحيله لوحدك؟
- مش دايماً ... ساعات مدام بشرى مراة اللوا اللي فوقيا بتيجي معايا.
- هو واخد العمارة مقاولة ولا إيه؟!
- حاجة زي كده.
تأملته لحظات قبل أن تُكمل: تعرف إنك شبه كريستيانو؟
أجابها دون أن ينظر إليها: عارف ... ناس كتير قالتلي كده.
وضعت رأسها فوق كتفه: تعرف إني بموت في كريستيانو؟
تطلع إليها بخبث: عارف بردو.. بس سيبك من كريستيانو دلوقتي أنا عايز منك خدمة.
رفعت رأسها من فوق كتفه: خدمة إيه؟
ناولها ورقة صغيرة بعد إخراجها من محفظته المنقوشة بالدولار الأمريكي ثم أكمل: الإيميل والرقم اللي في الورقة دول بتوع دكتور عندنا في الكلية ... سقطني سنتين.
- طب وأنا في إيدى إيه أعمله؟
- عايزك تجرجري رجليه لحد ما يجيلك الشقة.
- وبعدين؟
- .....

- قصدك نصوره وبعدين نهدده؟
- بالظبط كده.
- وإيه المقابل؟
- المقابل إن كريستيانو هيبقى من إيدك دي لإيدك دي وهيعمل معاكي أحلى إنچيكشن والنهارده لو حبيتي.

عضت على شفتيها الناعمتين المطليتين بلون البينك اللامع وتبعتها بغمزة من العين اليسرى ثم عقبت: لما نشوف.

(16)

كانت الموسيقى هادئة تنبع من شاشة مُعلقة على الحائط ومدفأة كهربية ملأت الريسبشن بالدفء ومنضدة صغيرة يعتليها كأسان تتوسطهما زجاجة فودكا أحضرتهم مدام فاتن قبل أن تجلس بجوار حسام الجالس فوق كنبة الأنتريه يُمسك بهاتفه ويعبث بإبهامه فوق شاشته.

فتحت الزجاجة ثم التقطت كأسًا وصبت له واحدة قبل تخفيفها بربع زجاجة سڤن أب ليتجرعها في زمن قياسي .. ثانية ونصف قبل أن يسألها: عملتي إيه في موضوع توفيق المصري؟

أجابته بعد أن أفرغت كأسها على رشفتين: مفيش، كلمته وقولتله عايزة أقابلك وأتكلم معاك في موضوع ... وافق وهروح أقابله بكرا الساعة 4 العصر في الجيم الحريمي بتاعه.

- هو عنده چيم حريمي كمان! مش عاتق لا جوا الكلية ولا برا.

- آه عنده چيم حريمي في شارع الطيران.

- أنا جيبت الكاميرا معايا على فكرة.

- هتحطها فين؟ في الريسيبشن؟

- آه ... هحطها في أي رف من فوف المكتبة.

- فوق شاشة التلفزيون أحسن.

- خلاص مفيش مشاكل.

أشار لها أن صبي كأسًا آخر متسائلًا: مفيش أخبار عن جوزك؟
- آخر جلسة ليه كانت من يومين ... أخد ٣ سنين وغرامة مليون جنيه.
- بتزوريه؟
- كل فين وفين ... المحامي بيطمني أول بأول.
- تعرفي أنه صعبان عليا.
- ليه؟
- عشان اتحرم من جنتك.
- ميصعبش عليك غالي.

...

كان المنزل صغيرًا مكون من طابقين .. في الطابق العلوي كان يرن جرس منبه الهاتف في إلحاح فوق كومودينو أثري تعلوه فوضى. جراب نظارة وسماعة هاتف وشاحن وكيس مولتو فارغ بالإضافة إلى كوب تتسلق على جدرانه بقايا نسكافيه. كان أيمن نائمًا تتلوى رأسه يمنة ويسرة متمتمًا ببعض كلمات غير مفهومة حين دخلت عمته إلى الغرفة لتوقظه كالعادة بمساعدة المنبه قبل ذهابه إلى الكلية .. ربتت على صدره محاولة إيقاظه لكنه لم يستيقظ من رحلة نومه إلا بكوب من الماء قُذف على وجهه بقوة ... بعد شهقة خفيفة وأنفاس مضطربة، اعتدل في جلسته ينظر حوله كلوحة الموناليزا.
- مالك يا حبيبي؟ خير اللهم اجعله خير.
قالتها وتمتمت ببعض الآيات القرآنية ثم ناولته كوبًا من الماء أخذ منه رشفتين قبل أن يردف: كابوس ... كابوس يا عمتي.

- عشان مش بتقرا قرآن قبل ما تنام .... يلا قوم عشان تغير هدومك وتفطر.

على مائدة الطعام جلس أيمن لتناول وجبة الإفطار مع عمته التي ودعت زوجها للتو قبل أن يذهب إلى عمله. كان أيمن يأكل بتأني شاردًا في أحد الأطباق سابحًا في وجه نورا الذي لم يره بعد إلا في أحلامه حين تأتيه في زيارة شبه أسبوعية لتقضي معه ليلة لا تغادر ذكراها مخيلته.

- مش بتاكل ليه يا حبيبي؟ الأكل مش عاجبك؟

- لأ عاجبني ... تسلم إيدك.

- طب مالك سرحان ليه؟

- عمتي أنا عايز أروح أقعد في شقة أبويا الله يرحمه.

- ليه يا حبيبي حد زعلك؟ وحيد قالك حاجة؟

- لأ أبدًا ده عمي وحيد زي البلسم ... ياريت الناس كلها زيه.

- طب ليه عايز تسيبنا وتقعد لوحدك؟

- يا عمتي أنا كبرت خلاص .... فاضل كام يوم وأكمل 21 سنة، وبعدين فاكرة لما قولتلك من فترة إني عايز أقعد في شقة أبويا قولتيلي لما تكبر شوية وتكمل 20 سنة.

- فاكرة ... بس أنا اتعودت على وجودك جانبي.

- ما أنا مسيري هبعد يا عمتي، أكيد هتجوز في يوم من الأيام.

- طب ما دام أنت مُصر تقعد لوحدك .. أنا عندي حل يرضيك ويرضيني.

- إيه هو؟

- تفضل قاعد معايا لحد ما تاخد البكالوريوس .... وبعدها تبقى تقعد لوحدك زي ما أنت عايز.

تظاهر بالتفكير قبل أن يبدي موافقته: خلاص مفيش مشكلة، كلها بتاع سنتين وأتخرج.

- بإذن الله ... يلا قوم يا حبيبي عشان متتأخرش .... الساعة بقت تمانية.

أومأ إيجابًا ثم نهض والتقط كشكول محاضراته المُتخم بخليط غير متجانس من المواد الدراسية ... أوقفته بعد خطوتين قبل أن تسأله بصوت خفيض: عايز فلوس؟

- لأ معايا يا عمتي ... لو احتاجت هقولك.

على الطريق العمومي عبر أيمن إلى الجهة الموازية قبل أن يشير إلى ميكروباص استقبلته كنبته الأمامية ضيفًا بجوار الشيخ حمدي الذي يقيم في الطابق الثالث للعقار المواجه لمنزل أيمن، ذلك الشيخ صاحب الأربعين عامًا، ذو الجلباب الأبيض واللحية شديدة السواد المتدلية حتى أسفل رقبته.

بعد ترحاب وقسم بالغالي والنفيس لم يعارض أيمن ما فعله الشيخ حمدي من دفع الأجرة للسائق فور صعوده للعربة .. ساد الصمت لدقيقتين أساك فيهما الشيخ أسنانه ثم وضع سواكه في جيبه وأمال رأسه قليلًا: وإيه أخبار الدراسة يا بشمهندس؟ في سنة كام دلوقت؟

- الحمد لله ماشية ... أنا في تانية تخصص.

- بالتوفيق إن شاء الله.

- إن شاء الله.

- أنت إجازتك جمعة وسبت ... صح يا بشمهندس.

- صح ... بس ليه؟

- زي ما أنت عارف إن أنا بشتغل نقاش، معايا شغلانة في إيدي اليومين دول وصاحبها مستعجل وعايز شقته تجهز بأسرع وقت والراجل اللي معايا عنده ظروف ومش بييجي ... إيه رأيك تنزل معايا الشغل اليومين دول؟

- بس أنا معرفش أي حاجة عن النقاشة.

- لأ أنت هتعمل حاجات بسيطة مش محتاجة خبرة ... تراشم، تسنفر، تنصوبلنا سقالة ... كده يعني.

- خلاص معنديش مانع .. أنا كده كده ببقى قاعد زهقان ... بس فين الشغلانة دي؟

- في مدينة نصر، هقابلك يوم الجمعة الساعة تمانية الصبح عند الموقف عشان نروح سوا والله المستعان.

- إن شاء الله تمانية بالظبط هتلاقيني عند الموقف.

(17)

قبل أن يلملم النهار محتوياته وينوي الرحيل توقفت سيارة سكودا حمراء اللون أمام إحدى صالات الجيم واللياقة البدنية بأحد العقارات الراقية بمدينة نصر... كانت تجلس مدام فاتن بداخلها أمام عجلة القيادة.

أمسكت هاتفها المحمول وضغطت زر الاتصال بعدما نقلت رقم الهاتف المطبوع أسفل يسار لافتة معلقة كُتب في منتصفها (جيم تيفا للسيدات) ... نزلت من سيارتها واتجهت نحو الباب ثم دفعته ودلفت .. في تلك اللحظة جاءها الرد: ألو مين معايا؟

أجابته: أنا مدام فاتن اللي كلم...

قاطعها قبل أن تنهي جملتها: اتفضلي ادخلي المكتب بتاعي تالت أوضة ع الشمال.

التفتت يمينًا ويسارًا باحثة عن مُخبر أو مُرشد أو عصفورة تنقل له الأخبار قبل أن تسأله: عرفت إزاي إن أنا واقفة جوا الجيم؟

- سر المهنة ... أنا قاعد في انتظارك.

مرت بجوار غرفتين قبل أن تقف أمام الثالثة ليأتيها صوته من الداخل حين رفعت يدها لتطرق باب الحجرة: ادخلي على طول يا مدام.

في داخل الغرفة كان يجلس ذلك الكائن اللزج كزلال البيض خلف مكتبه المتخم بالعديد من الصور والميداليات والكئوس التي لا علاقة له بها. هم بالوقوف حين اقتربت من مكتبه فاردًا ذراعه ليصافحها فصافحته.

أشار لها بالجلوس مرحبًا: أهلًا وسهلًا، اتفضلي يا مدام.

كانت يده ما تزال تتحسس يدها ... فأفلتتها بغتة قبل أن تجلس، فاختلس نظرة سريعة إلى ما بين كتفيها حين انحنت لتجلس.

- خير يا مدام إيه الموضوع اللي عايزاني فيه؟

- في طالب عند حضرتك في الكلية نصب عليا في مبلغ، هو مش مبلغ كبير بس أنا عايزة أردله القلم.

- اسمه إيه الطالب ده؟

- حسام علاء رشيد.

- بس أنا مش فاهم إيه المطلوب مني؟

- يعني مثلًا ممكن تسقطه أو ترفده من الكلية ... المهم أشفي غليلي.

قام من مقعده ثم اتجه إلى المقعد المقابل لها وجلس قبل أن يسألها: طب وأنا هستفيد إيه؟

فتحت حقيبتها وأخرجت بطاقة صغيرة قبل أن تجيبه: ده الكارت بتاعي وفي عنوان شقتي ... هستناك بكرا الساعة 12 بالليل عشان نقضي السهرة سوا.

لم يكن ليرفض مثل هذا الطلب الذي يعني الحصول على جائزة نوبل أو ذهبية كأس العالم .... التقطت حقيبتها ثم ودعته: باي يا تيفا ... متنساش الساعة 12.

- 12 إلا ربع هتلاقيني بخبط على باب بيتك يا غزال.
بعد يومين، جلس حسام بمفرده في الركن الهادئ للمقهى ذاته على غير عادته .. كان غاضبًا ينفث دخان شيشته في الهواء.
رجع بخف حنين، لم تفلح خطته في عرقلة د. توفيق المصري وسقوطه في المصيدة ... عن غير عمد منه حالفه الحظ حين عارض مدام فاتن في إلحاح على عدم بدء الجلسة الكهربية المتفق عليها إلا بغرفة النوم ... وليس الريسبشن وبالطبع لم تعارضه حتى لا ينكشف أمرها.
أخرج حسام هاتفه وأجرى مكالمة سريعة مع صديقه أيمن ... طلب منه أن يأتي للمقهى ليجلس معه.
يلجأ كل واحد منهما للآخر حين تضيق به الحياة، يتسامران ويتبادلان النكات والضحكات وسرد القصص والمغامرات حتى تتبخر الهموم خلال فترة جلوسهما على الأقل. وافق أيمن العائد للتو من عمله مع الشيخ حمدي الذي أعطاه مبلغًا مضاعفًا عن المُتفق عليه بسبب ميته داخل المنزل المراد دهانه ليومين متتاليين لإنجاز العمل في الوقت المحدد.
شحن هاتفه وجدد باقته وابتاع قميصًا جديدًا وعلبة كريم جيل وزجاجة عطر صغيرة بما تبقى معه من نقود.
دقائق معدودة ووطأت أقدامه داخل المقهى ... مسح المكان بعينيه حتى وقعت على حسام الجالس في أقصى اليسار. اقترب منه ثم سحب كرسيًا وجلس بعد مصافحة وقبلتين.
- أخبارك إيه يا حس؟ عاش من شافك.
- تمام .... أنت عامل إيه؟
- الحمد لله.

- عمال أرن عليك من حوالي ساعتين مرديتش ليه يا ابني؟
- مسمعتش التليفون .... كنت في الميكروباص ولسه جاي من مدينة نصر.
- كنت بتعمل إيه؟
- كنت في شغلانة كده مع الشيخ حمدي النقاش اللي ساكن قدامنا.
- والعه يابا مهندس ونقاش في نفس الوقت.
- نقاش مرة واحدة .... ده يدوبك هو كان بيلقط بالمعجون وأنا بسنفر وراه.
أدار حسام رأسه موجهًا حديثه للنادل: هات حجر تفاح تاني يا أبو وليد واتنين شاي على بسطة.
- اسكت مش هتصدق شوفت مين امبارح وأنا في مدينة نصر.
- مين؟
- كنت مطبق في الشغل وصحيت بالليل على الساعة اتناشر ونص ... وقفت قدام الشباك شوية لاقيتلك توفيق المصري في أوضة النوم مع مراته في العمارة اللي قصادي.
بتلقائية ممزوجة بشغف وبدون تصحيح للخطأ سأله حسام: ها وبعدين؟ صورتهم؟
- كنت متردد ومش عارف إيه اللي خلاني أطلع التليفون وأزوم بالكاميرا عليهم ... سجلتله عشرين دقيقة.
- يا ابن اللذينة ده أنت جيت في وقتك ... الفيديو ده يلزمني.
- هتعمل بيه إيه؟
- كل خير.
- أعرف الأول.

- من الآخر هقايضه ... يا أنجح يا أفضح.
- طب افتح بلوتوثك.
بعد مرور أسبوع على حفل تكريم د. توفيق في غرفة نوم مدام فاتن ... ذهب إليها كما اتفقا معًا لإقامة المباراة الثانية للأسبوع الثاني من دوري أبطال السرير.
وبالطبع ألغيت المباراة بسبب سوء الأحوال الجوية التي لم يعلم د. توفيق عنها شيئًا إلا بعدما دلف إلى داخل المنزل حين وجد الباب مواربًا. توغل حتى أخذته قدماه إلى شاشة التلفاز المُعلقة على أحد حوائط الريسبشن تعرض فيلمًا له .. لم تكن فيه فروة رأسه فقط هي الصلعاء.
اتسعت عيناه في ذهول .. كادت أن تصل إلى أذنيه حين جاءه حسام كاشفًا عن أسنانه بابتسامته الصفراء: بالرفاء والبنين ... هتجيب توأم إن شاء الله.
ناوله د.توفيق لكمة تلقاها دون ردة فعل ... بل ظل محتفظًا ببروده وابتسامته: ليك حق تعمل أكتر من كده يا تيفا.
- ليه عملت كده؟
- طباخ السم بيدوقه.
- قصدك إيه؟
- يعني اللي بيعقد الطلبة في عيشتها ويصور الستات في الجيم من غير ما ياخدوا بالهم لازم يجي يوم وتتردله، وجاي تقول ليه عملت كده!!
- متعملش فيها مصلح اجتماعي ... عايز إيه من الآخر؟
- أجيب امتياز في الرسم.

- اعتبره حصل ... لايمني ع الفيديو وكل النسخ اللي معاك.
- لا يا دكتور أنا مش داقق عصافير .. الفيديوهات هتفضل معايا لغاية ما أتخرج وأنضم للنقابة كمان.
جز د.توفيق أسنانه ولم يتفوه بكلمة ... غادر المنزل بعد موافقة لم تكن أمامه غيرها خشيةً منه على زوال منصبه وضآلة وضعه الاجتماعي أمام الأقارب والأصدقاء.

(18)

بعد مُضى عامان ونصف من كفاح ونضال وفحت وردم انقضت خمس سنوات عجاف ... حصل بعدها أيمن على تقدير عام جيد جداً وتبعه إعفاء نهائي من الخدمة العسكرية لعدم وجود أشقاء من البنين لديه. تقديم أوراق ملونة ومعطرة للمصانع والشركات محملة بكورسات وشهادات واجتياز اختبارات جعلت من السيرة الذاتية كامرأة حامل في شهرها التاسع إلا أن الحظ ووزارة القوى العاملة لم يقرعا بابه حتى الآن ولم يعرفا له طريق.

استغرق أيمن أسبوعين في تنظيف وإعادة ترتيب منزل والده بعد ترميمه وتجميله بسكينتي معجون ودهان أصفر كناريا .. لونه المفضل.

لم يضف شيئًا إلى أثاث المنزل المهجور منذ أعوام والذي كانت تسبح بداخله الفوضى وكأن أحدًا من اللصوص داهمه في إحدى الليالي. سرير ودولاب عمولة من الخشب الزان لم يأكلهما الدهر بعد ومروحة سقف بالية لم تؤدِ وظيفتها لبرودة الجو وتلفاز صغير ١٤ بوصة بالإضافة إلى الكمبيوتر الخاص به.

يعمل من حين لآخر في مجال الطلاء والدهانات مع الشيخ حمدي كلما سنحت له الأمور.

أما عن علاقته ومحادثاته مع نورا فكان الوضع كما هو عليه ... طلب منها مرارًا وتكرارًا بأن يرى صورتها أو أن يلتقيها أو على الأقل مكالمة هاتفية تلتقي بها أذناه مع صوتها لكن كل محاولاته قوبلت بالرفض وأحيانًا التهديد بعمل حظر نهائي.

ارتمى فوق مرتبة سريره المهترئة بعد يوم شاق أخذ عقبه دشًا ساخنًا دام لساعتين حاول فيهما إزالة الألوان الملتصقة بيديه وباقي جسده.

تذكر التمثال الذي وجده في تجويف صغير بالحائط حين أزاح البرواز الزجاجي الذي يحمل الجملة المأثورة .. (عساها تكون المنجية) .. وقف فوق سريره وأمسك بأسفل طرف البرواز ثم رفعه ببطء قبل أن يلتقط التمثال ومذكرة صغيرة أوراقها ناصعة البياض وجد بداخلها ورقة جرنال باهتة اللون تحتوي على خبر سرقة التمثال من المعبد بتاريخ 22 فبراير1996 ... قرأ المانشت ولم يهتم بقراءة الخبر وما يحتويه.

وضع المذكرة مكانها وهبط مسترخيًا على ظهره فوق السرير يتأمل التمثال وهو يخاطب سريرته: معقول يكون أبويا هو اللي سرقه! بس إزاي دي عمتي مبتبطلش حكاوي عن أخلاقه وطيبته وفدائيته لما اتطوع في حرب الخليج اللي استشهد فيها ... طب أسأل عمتي عن التمثال ده حكايته إيه؟ بس أكيد مش هتعرف عنه حاجة وإلا مكانش هيفضل مكانه لحد دلوقتي ...

لم يقطع حديثه سوى نغمة Proxima التي طرقت أبواب هاتفه، نغمة استلام رسالة على تطبيق Facebook messenger وبالطبع كانت من نورا، رسالة ينتظرها يوميًا في التاسعة مساءً إلا أنها في تلك الليلة جاءته متأخرة عن موعدها بساعتين.

كانت عبارة عن ملصق لوجه أصفر مبتسم تريد به إخباره بأنها وصلت إلى أرض الموقع ... ترك التمثال من يده وأمسك بهاتفه قبل أن يقوم بالرد: مساء الجمال على ميرفت ونوال.

- ميرفت ونوال! مين دول؟

- ميرفت تبقى ملكة جمال الحسين ونوال تبقى الوصيفة وحاليًا متشحتفين بعيالهم في محكمة الأسرة ... سيبك منهم وقوليلي مفتحتيش في ميعادك ليه النهارده؟

- أبدًا أصل عيد ميلادي كان النهارده وبابا وأختي وصاحباتي كانوا بيحتفلوا معايا وجابولي تورت وهدايا آآآآآد كده.

- بجد .. كل سنة وأنتي طيبة، مش كنتي قولتيلي عشان أجيبلك هدية أنا كمان.

- وأنت طيب ... عادي بقى تتعوض المرة اللي جاية.

- لأ هي المرة دي .. أنا مش ضامن أعيش للمرة اللي جاية.

- يعني إيه؟

- يعني نتقابل في أي يوم تحدديه .. وأجيبلك هدية ولو سمحتي مترفضيش طلبي زي كل مرة ... بقالي أكتر من سنتين هموت وأشوفك.

توقفت عن الكتابة حوالي خمس دقائق ... فأرسل هو علامات استفهامه، حتى شرعت في الكتابة بعد تفكير طال لعشر دقائق أخرى: بوص يا أيمن .. أنا عارفة إنك معجب بيا وبشخصيتي من غير ما تشوفني، بس في حاجة عايزاك تعرفها ويمكن هيا اللي تخليك تطلع الموضوع ده من دماغك. أنا عندي إعاقة في رجلي من وأنا صغيرة بسبب حادثة حصلتلي، وبعرج وأنا بمشي وطبعًا

ببقى مكسوفة من نظرات الناس ليا .. ياريت بقى يا أيمن تنسى حكاية المقابلة والإعجاب من أساسه.
- بقى هو ده بس اللي مخليكي مش عايزة تقابليني .. بوصى يا ست نورا يا مدوخاني ومطيرة النوم من عيني ... أنا لما حبيتك وأعجبت بيكي كان عشان شخصيتك وروحك الحلوة، وموضوع المقابلة ده كنت بطلبه عشان أشوفك مرة واحدة بس وده حقي إنما بقى تطلعي حلوة تطلعي حلوة بردو ☺ أو فيكي أي عيب خلقي ودي طبعًا حاجة بتاعة ربنا .. أنا مش هغير رأيي وهفضل معجب بيكي وهفضل وراكي لحد ما أوصل لبيت أبوكي وأشرب معاه الشاي.
ترقرقت عيناها بدموع الفرح وابتسمت في ارتياح على الرغم من شعورها بشيء من الشفقة عليها .. لم تكن تتوقع بأنها ستتلقى مثل تلك الكلمات من أحد في يوم من الأيام ... غمرتها السعادة وأحاطها القلق في آن واحد لعدم درايتها بصدق كلماته.
التزمت الصمت في الكتابة فأكمل هو: ها هتتقابل امتى بقى يا نونتي؟
- مش عارفة .. أنا متوترة ناو وهقفل.
- لأ اوعي تقفلي إلا لما نتفق على معاد نتقابل فيه.
- حدد أنت .. أنا أعصابي بايظة ومش قادرة أفكر.
- إيه رأيك نتقابل بعد بكرا الساعه 9 الصبح في النايل كانتري؟
- أوك .. معنديش مانع، يلا بقى سلام.
- استني بس أنت مستعجلة ليه .. قوليلى إيه نوعيات الهدايا اللي بتحبيها.
- بحب الهدايا المجنونة اللي بيبقى فيها لِعب ومقالب وكده.

- خلاص إشطة رقمي في صفحتي ياريت تاخديه وتتصلي بيا.
- أوك ... سلام بقى.
- سلام يا نونتي.

أنهى محادثته الكتابية ثم أغلق هاتفه وعاد ينظر إلى التمثال مبتسمًا بعدما رفعه في مستوى عينيه المثقلتين اللتين انسدلت ستائرهما قبل أن يسقط التمثال من يده ليرتمي بجواره وينامان معًا تلك الليلة على فراش واحد.

...

أما عن حسام فنال تقدير عام جيد وبراءة من الخدمة العسكرية بموجب خدمة مقدمة من مدام فاتن ... خدمة لم تكلفها سوى زيارة رسمية لأحد المعارف ومن بيدهم الأمر. مبادرة قدمت يوم سبت لكي ترد يوم خميس!

قلت الزيارات كذلك المناظرات بينهما منذ أن زحف حسام متجولًا العديد من المحافظات .. خاصة محافظات الوجه القبلي وذلك للترويج لسلعه واستدراج عملاء جدد يوسع بهم قاعدة هرم التسويق الشبكي بالنسبة له، رحلة أسبوعية أو شهرية تستغرق يومين أو ثلاث في إحدى المحافظات على حسب ترتيب جدوله.

كان على بُعد دقائق من منزلها بعدما تجول ما يقرب من ساعتين بعد وصوله إلى محطة مصر تفقد فيهما بعض أحياء القاهرة بدراجته النارية التي اشتراها حديثًا .. هارلي Fc6 التي يتركها قبل سفره مع أحد معارفه بالقرب من رمسيس على أن يتم مصافحته بريال (فئة عشرون جنيهًا) حين يعود من رحلته ليستقلها.

قادته إلى محلات النبيذ والمشروبات الكحولية ليبتاع منها زجاجة بلاك ليبل سيكون لها الفضل في قضاء ليلة من طراز ليالي هوليود التي انقضت سريعًا في تلك الأمسية.
جلس على مائدة الطعام بمنزلها بعد أن تبرأ من جريمته بدش ساخن أراح أعصابه من برودة شتاء لم يأتِ مثله من قبل.
جلست بجواره بعدما وضعت أمامه طبقًا مُتخمًا بقطع الدجاج والبطاطس المقرمشة أحضرها منذ لحظات أحد عمال توصيل الطلبات إلى المنازل ... شرع في التهام وجبته كقط في شادر سمك قبل أن تسأله: إيه مفيش جديد؟
- عن إيه؟
- عن أي حاجة.
- آه صحيح افتكرت .. ناوليني الشنطة بتاعتي كده من جانبك.
فردت ذراعها بلهفة ثم التقطت الحقيبة وناولته إياها .. ظنته جلب لها هدية أو ما شابه لكنها فوجئت حين رأته يُبرز ورقة جرنال عليها بعض بُقع الزيت. ناولها الورقة ولم يعقب .. لم تكن مدام فاتن بحاجة إلى تفسير حين رأت صورة في المنتصف لشخص تعرفه جيدًا رغم غيابها وانشغالها عن زيارته منذ أعوام .. رفعت عينيها أعلى الصفحة لترى تاريخ الخبر فلم تتبينه بسبب قطع وتمزق أصاب أعلاها.
سبحت وتجولت داخل المقال قبل أن يبهت لونها وتزيح بأناملها خُصلة انسدلت على عينها، أمسكت علبة سجائرها بيد مرتعشة .. وسحبت واحدة استضافتها شفتاها قبل أن تسطرد: أنا ميهمنيش كل اللي حصل معاه، المهم أنا طالعة في السيديهات دي ولا لأ.

- أنا مش فاهم أنتي إزاي مدريتيش بخبر زي ده بقاله أكتر من 3 سنين . .. لولا إني شوفت الخبر بالصدفة وأنا باكل عند عربية الكبدة مكانش زمانك عرفتي.
- ما أنت عارف أنا لا بقرا جرايد ولا بتابع أخبار خالص.
- أنا قلت كده ... المهم وأنا جاي في الطريق عديت على واحد اسمه سيد كولكشن بجرش عنده الماكنة لحد ما أرجع من السفر، الراجل ده معاه صفقات سيديهات البورنو من الستينيات لحد دلوقتي.
- ها وبعدين؟
- ولا قبلين، فرجنى على 4 فيديوهات للعنتيل ومتلعطيش فيهم.
تنفست الصعداء في ارتياح فأكمل هو: بس قال إن مش دي كل الفيديوهات بتاعته، لسه في شوية حلوين عند واحد حبيبه في الغربية وقال احتمال يجيبهم بعد أسبوعين.
عادت إلى ما كانت عليه من توتر: أسبوعين إيه احنا لسه هنستنى أنا جوزي طالع من السجن كمان يومين والسيديهات دي لو وقعت في إيده مش بعيد يقتلني ... أنت لازم تنزل الغربية بكرا أو بعده بالكتير وتجيبلي كل السيديهات اللي عنده يمكن أكون في واحد منهم.
- مفيش مشكلة، بعد بكرا هكون في الغربية وأشوف الموضوع ده ... بس أنا سمعت إنه بيبيع السي دي بـ100 جنيه.
- مش مهم الفلوس ... نطقت بها ثم نهضت واتجهت إلى غرفة نومها قبل أن تعود إليه وهي تضم بين إبهامها وسبابتها حزمة من العملات الورقية فئة مائة جنيه وضعتها أمامه قبل أن تُضيف:

دول3000 جنيه خليهم معاك ولو صرفت فلوس تاني هديهوملك لما ترجع.
أومأ برأسه إيجابًا ثم التقط منشفة صغيرة مسح بها شفتيه ويديه ثم أمسك بالحزمة الورقية ودسها في حقيبته. نهض واقفًا ولثمها في رقبتها قبلة الوداع قبل أن يتجه نحو الباب ويدير مقبضه ربع لفة ويرحل صافعًا باب المنزل بقوة غير متعمدة كانت سببها رياح شديدة.

...

بعد يومين .. استيقظ أيمن في تمام السابعة والنصف صباحًا ... فتح جفنيه وفرك عينيه قبل أن ينهض بحماس إلى دورة المياه ومنها إلى المطبخ الخاوي على عروشه إلا من شعلة صغيرة وثلاجة متهالكة وبعض الأواني .. من بينها طبق صغير مُغطى يحوي بداخله ربع دجاجة متبقية من وجبة غداء أمس أتت بها عمته بالإضافة إلى ملابسه الشتوية التي جاهدت في تنظيفها وكيها، دسها في نصف رغيف بعدما أخلاها وسحقها في عجالة.
غسل يديه وتمشى إلى غرفة نومه .. فتح دولابه واستعار بنطالًا أسمر وتيشيرت بولو أبيض بالإضافة إلى فيست أسود اللون قفز بداخلهم قبل أن يركب حذاءه الأسود اللامع.
وقف أمام مرآة صغيرة مُعلقة على الحائط ثم بسط راحة يده اليسرى وضغط باليمنى على كيس جيل أفرغ نصفه ثم فرك كفيه وغرغر شعر رأسه بأصابعه حتى تخللت خصلاته لتزيدها ثباتًا ولمعانًا .. أنهى مراسم أناقته بسبع رشات من زجاجة برفان تركيب لم تُكلفه سوى عشرة جنيهات.

في الخارج أوقفته السيدة العجوز الهارمة (الحاجة روحية) حين وضع إحدى قدميه على أول درجات السلم، كانت تجلس كعادتها فوق عتبة بيتها فسألته: أنت مين يا ابني؟

التفت للخلف قبل أن يُجيبها بحنق: يا حاجة ما أنا قولتلك مية مرة قبل كده أنا أيمن فتحي اللي ساكن في الشقة اللي قصادك.

ضيقت عينيها مدققة النظر في ملامحه: هو أنت بقى ابن فتحي؟ طب تعال سلم عليا يا واد.

كظم غيظه وهو ينظر إلى ساعته ليجدها الثامنة والنصف ... لم يتبقَ سوى نصف ساعة تفصله عن لقاء من هواها بدون أن يراها!

اقترب ليصافحها وشبح ابتسامة مصطنعة يطل من بين شفتيه ... نهضت من جلستها في ثلاث دقائق كانت كفيلة بنفاذ صبره، قبَّلته فوق خديه مستطردة: كان شبهك ومحترم زيك كده .. الله يرحمه مات ظلم ... ينتقم منهم ربنا ولاد الحرام قتلوها وهو اللي خد إعدام فيها.

- هي مين دي اللي قتلوها؟ ومين ده اللي خد إعدام؟ شكلك تقصدي حد تاني.

- لأ هو فتحي وأنا هتوه عنه، كان بيقعد معايا ويحكيلي على كل حاجة.

نظر إلى ساعته ثانيًا فوجدها التاسعة إلا الثُلث فأنهى حديثه: آآآه هو صح اللي أنتي بتقوليه ده يا حاجة ... بعد إذنك بقى عشان ورايا مشوار.

عادت إلى جلستها وهي تهبط ببطء ثم أكملت: مع السلامة يا حبيبي وابقى سلملي على أبوك، وبلغه إن أنا زعلانة منه عشان بطل يجي يزورني زي زمان.

فر من أمامها وهو يداري ضحكات لم يطلقها إلا بعدما تدلى إلى أسفل وهو يضرب كفًا بكف محدثًا نفسه: ربنا يشفيها ويعافيها أو ياخدها ويريحني بدل ما هى مستقصداني في الطالعة والنازلة.

(19)

التاسعة صباحًا .... درجة الحرارة 17 c

كانت تجلس نورا تنتظره في الركن الهادئ البعيد خلف طاولة داخل Nile Cuntry Club كما اتفقا. كانت تجلس مولية ظهرها للوافدين إلى الداخل .. ترتدي تنورة حمراء اللون وبلوزة بيضاء اللون وطرحة جيل حمراء أيضًا كما أخبرته في الهاتف بعد مُكالمة صوتية دامت لنصف ساعة .. وكعادته أتى متأخرًا بعد ما يقرب من النصف ساعة عن الموعد المحدد. ربت على كتفها من الخلف وتفوه مداعبًا: لو سمحتي متعرفيش شارع الشهيد سبونج بوب فين؟

التفتت برأسها للخلف جهة اليسار فتحرك هو جهة اليمين وبخفة جلس أمامها ... أدارت رأسها وعلى شفتيها شبح ابتسامة بعدما شعرت به وهو يجلس .. تيبس للحظات شاردًا يتأملها.

كانت تُشبهه في ضآلة تكوينها البنياني ... وجدها كما تخيلها في أحلامه ويقظته، بشرة بيضاء ووجه طفولي تزينه شفتان ورديتان تناضل في سبيلهما وأنف دقيق تعلوه عينان عسليتان وحواجب ليست بالسميكة ولا الرفيعة ... تزين إحدى وجنتيها شامة زادتها جمالًا فوق جمالها.

لم تسمح يومًا للميك أب بتلطيخ وجهها إلا في بعض الأعياد والمناسبات.
لم تستطع إخفاء ابتسامتها وهي تنظر له باحتقار مصطنع: في الداون تاون يا خفيف، تسمح تقول اتأخرت ليه؟ ومالك بتبوص كده ليه؟
- زي ما اتخيلتك بالظبط .. بس مكنتش الحسنة دي موجودة في وشك .. وبعدين أنا اتأخرت عشان قعدت ألف أد كده على ما جيبتلك هدية.
- بجد؟ طب فين الهدية وريهاني وريهاني.
- هوريهالك بس بشرط.
- إيه هو؟
- نطلع برا النادي حالًا.
- ليه بقى إن شاء الله؟
- من غير ليه .... لما تشوفي الهدية هتعرفي.
- ماشي يلا ..... زهقتني.
كانت تسير بجواره بخطوات مضطربة من أثر حادثة سقوطها من الطابق الرابع بأحد العقارات شاهقة الارتفاع في سن العاشرة من عمرها.
تخطيا البوابة قبل أن يفتح الحقيبة ويخرج منها علبتين ... ناولها واحدة فالتقطتها ثم فتحتها بغير لهفة. اتسعت عيناها فرحًا حين رأت هديته: الله باتيناج، أنا بحب اللعبة دي أوي.
لم تلبث أن تذكرت إعاقتها فدبلت عيناها وطأطأت رأسها ... ثم أكملت: بس للأسف مش هقدر ألعب بيها.

ثنى سبابته ووضعها أسفل ذقنها ورفع رأسها لأعلى: بوصي بقى يا أنثى القمر أنتي، أنا جيبت اللعبة دي مخصوص عشان أخليكي تكسري حاجز الخوف والخجل اللي جواكي .. محدش ليه عندك حاجة، والناس مش هتنفعك بحاجة، وعلى فكرة أنا جيبت باتيناج ليا أنا كمان عشان نلعب ونجري بيه مع بعض عشان متبقيش مكسوفة.

حركت رأسها نفيًا: مستحيل ألبسها في رجلي وأجري بيها، الناس هتضحك عليا.

- يادي الناس اللي عاملالهم حساب، ع العموم براحتك أنا هلبس الباتيناج بتاعي وهلعب وهنبسط .... خليكي واقفة بقى.

قالها وانحنى ليرتدي حذاءه ذا الأربع عجلات .. انتصب واقفًا وبدأ في السير .. كانت السحب والغيوم تعُم الأجواء فما لبثت لحظات إلا وانهمرت الأمطار بغزارة ليزداد معها أيمن في التزلج والسير مسرعًا بذراعين مفرودتين .. تعلو ضحكاته تارة ويُخرج لسانه ليستفزها تارة أخرى.

- يا مجنووووووووون.

أطلقتها نورا بعدما أحست بالغيرة وأقنعتها كلماته .. فما الجدوى من أقاويل بعض البشر. انحنت لترتدي حذاءها فاتجه نحوها مسرعًا ثم أمسكها من معصمها وسحبها لأعلى وهو يلهث: اوقفي وأنا هلبسهولك ... اوعي توطي تاني في الشارع.

نظرت إليه بعينين صافيتين وبدوره أطال النظر إليها متأملًا وجهها الدقيق الذي تزايدت جاذبيته مع سقوط حبات المطر فأردف مازحًا: تتجوزيني وأغسلك المواعين خميس وجمعة؟

ضحكت قبل أن تجيبه: ماشي موافقة بس لبسني البتاع ده بقى عايزه أجربه.
أمسك بيدها بعدما ساعدها على ارتدائه ليسيرا في بطء. أفلتت يدها وحاولت السير بمفردها لكن الرهبة والخجل جعلاها تختل في توازنها وكادت أن تسقط .. فأسندها حتى عادت لتوازنها قبل أن تهوى على الأرض العائمة بمياه الأمطار.
- سلامتك ..... أنتي كويسة ولا في حاجة وجعتك؟
- لأ أبدًا أنا كويسة، بس رجلي وجعتني شوية.
- سلامتك يا نونتي.
- تاني نونتي ... يا ابني أنا بكره الاسم ده إياك تقوله تاني!
- طب أقول إيه يا نونتي.
- قول يا نورلدين.
- نور الدين!
- نورلدين يا رخم.
على بُعد بضع خطوات منهما توقف فتيان يتقدمهما رجل ثلاثيني قوي البنية، أسمر البشرة، أفطس الأنف، مجعد الشعر، لو رأيته لحسبته زنجيًا أبًا عن جد .. كان يرتدي بنطالًا جينز وجاكيت أسود، وضع كلتا يديه حول خصره وأدار وجهه مخاطبًا زميليه: إيه رأيكم يا رجالة نقلبه في الفلوس بس ولا نقلبه في الفلوس والمُزة اللي معاه ؟
أجابه أحدهما: اللي تشوفه يا جنيرال.
في المقابل أمال أيمن برأسه مقتربًا من أذنها وهمس: أنتي إيه رأيك؟ يقلبوني في الفلوس ولا ياخدوكي معاهم فوق البيعة؟

نغزته قبل أن تتشبث بذراعه: هو ده وقت هزار، اديلهم الفلوس وخليهم يغوروا.
أزاح يدها وبثقة لا يعلم من أين أتته: أديلهم إيه أنتي اتجننتي ... ده بعينهم.
تقدم خطوة واحدة باتجاههم محذرًا: اتكل ع الله يا نجم أنت وهو ... النمرة غلط.
لم يتفوه أحد منهما وكذلك قائدهم الذي اكتفى بإشهار مطواته في وجه أيمن الذي باغته بلكمة أسفل عينيه .. لكمة لم يظفر إلا بها في تلك المشاجرة. أمسكه أحدهم من الخلف قبل أن يلكمه الآخر ويناوله الثالث ركلة أسفل بطنه ... ليختمها بغرس نصل مطواته في بطن أيمن.
كانت نورا تصرخ مستغيثة حين رأت أيمن يهوى بجسده دفعة واحدة على الأرض ... وضع يديه فوق نزيف الدم المنهمر من جرحه وهو يتأوه من فرط الألم في حين هرول الفتيان وتبعهم قائدهم مشيًا قبل أن تقف سيارة مرسيدس سمراء اللون بفرملة عنيفة ... تدلى منها رجل ستيني ذو لياقة بدنية عالية رغم تأخره في السن.
اتجه مسرعًا نحوهما فرفع أيمن رأسه قليلًا مُلقيًا بنظرة أخيرة إلى الرجل بعينين زائغتين مشوشتين قبل أن ينسدل جفناه وينقطع عنه الإرسال والاستقبال والطوارئ أيضًا.

...

على أحد المقاهي الشهيرة بمدينة المحلة الكبرى جلس حسام فتلقاه عامل المقهى بحفاوة: أوامرك يا باشا، شاي قهوة حاجة ساقعة؟
- لأ تشكر بس أنا كنت عايز.
بتر العامل كلمات حسام مبتسمًا بخبث: آآه فهمت قصدك .. عايز صوباع ولا فرش ولا شريط؟ كله موجود عند أبو مسعود.
أشار إليه حسام أن اقترب فانحنى العامل في مستوى رأسه: لأ أنت فهمت غلط يا أبو مسعود، أنا عايز السيديهات بتاعت العنتيل.
التفت العامل يمنة ويسرة وبخفوت: سيديهات إيه ولامؤاخذة؟
أخرج حسام عُلبة سجائره ثم لفحه بسجارتين مُضيفًا: طب سيبك من السيديهات. أنا عايز أروح لواحد اسمه سعيد عبقرينو، أوصل إزاي؟
بعدم فهم مصطنع أراد به العامل حلب واستنزاف المزيد: سعيد عبقرينو مين ده كمان؟
لم تفلح معه رشوة السجائر فانتشل حسام ورقة مالية من جيبه وناولها له في الخفاء: سعيد عبقرينو يا أبو مسعود ... وبطل الحركات دي.
رجع العامل برأسه قليلًا وبتنهيدة طويلة: آآآآآه أنت تقصد سعيد عبقرينو اللي فاتح محل سايبر.
أومأ حسام إيجابًا ولم يعقب فأكمل العامل وهو يشير بسبابته: بوص يا باشا أنت هتمشي في الشارع ده وتاني ناصية على إيدك اليمين هتلاقي جامع كبير .. السايبر بتاعه بقى بعد الجامع بحوالي أربع محلات.

- تمام ... هات بقى حجر قص وقهوة مظبوط بس في السريع عشان عايز أطير وأقضي المصلحة.
- من عنيا يا باشا ... مينت إلا مينت وطلبك يكون قدامك.
كانت ساعة الحائط بالمقهى تشير إلى الثانية عشر ظهرًا حين لمحها حسام .. شرب قهوته وخبا لهب شيشته ... غادر المقهى ومشي حيث أرشده العامل.
مر أمام المسجد الكبير فأتاه صوت الإمام يخطب بصوت جهور مرتفع ... كان يوم جمعة وكانت الشوارع هادئة إلا من بعض المارة وكانت المحال المتراصة على خط مستقيم بجوار بعضها البعض مُغلقة ومن بينهم محل سعيد عبقرينو الذي وقف أمامه حسام منتظرًا يضرب كفًا بكف مُتعجبًا من ذلك الشخص الذي لم يره بعد.
بعد دقائق شعر حسام بمؤشر مثانته قد امتلأ .. لجوء اضطراري ليس في الحسبان أرغمه على دخول المسجد .. اتجه إلى دورة المياه ليفرغ ما بجعبته .. استشعر الحرج بعدما قضى حاجته فلم تُطعه قدماه على الفرار خارج المسجد. توضأ ثم اتجه إلى ركن بعيد داخل المسجد وجلس مستندًا بظهره إلى الحائط .... رأى بعض الأشخاص يرفعون أكف الضراعة لله بعد انتهاء الخطبة الأولى فقلدهم دون دراية لفعلتهم كعويل وسط زفة.
نهض الخطيب من جلسته ليكمل خطبته: الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن لا إله إلا الله، علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما كان لو كان كيف كان يكون، أما بعد .. فيا أخوة الإيمان والإسلام ... نكمل حديثنا اليوم عن شرب الخمر، لكن دعوني قبل أن أخبركم

عن الخمر وتحريمه بأن أخبركم بقصة الملكين هاروت وماروت، يقول المولى عز وجل: (وإتبعوا ما تتلو الشياطين على مُلك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعملون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) .. إن أصح ما ذُكر من الأثار في تلك القصة هو ما أخرجه أحمد في مسنده وابن حيان عن عمر رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن آدم عليه السلام لما أهبطه الله إلى الأرض قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك .. قال إنى أعلم ما لا تعلمون، قالوا: ربنا نحن أطوع لك من بنيى آدم.

فقال الله تعالى للملائكة .. هلموا ملكين من الملائكة حتى نهبطهما إلى الأرض، وإني لمبتليكم بشهوة واحدة مما ابتلي به بني آدم من شهوات فننظر كيف يعملون ... قالوا: ربنا هاروت وماروت، فأهبطهما إلى الأرض فمُثلت لهما كوكب الزهرة امرأة من أجمل البشر، فجاءتهما فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الإشراك فقالا: لا والله لا نشرك بالله شيئًا أبدًا .. فذهبت عنهما ثم رجعت بصبي تحمله .... فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تقتلا هذا الصبي. فقالا: لا والله لا نقتله أبدًا. فذهبت عنهما ثم عادت بقدح خمر تحمله فسألاها نفسها فقالت: لا والله حتى تشربا من هذا الخمر .. فأغواهما الشيطان وشربا من الخمر وسكرا ثم وقعا عليها وقتلا الصبي ... ولما أفاقا قالت المرأة: والله ما تركتما شيئًا أبيتماه إلا وقد فعلتماه حين سكرتما.

فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الآخرة.

نعم يا أخوة الإيمان والإسلام ... إنه الخمر فضلًا عن المخدرات التي أفسدت أبناءَنا وجعلتهم عُصاة مبتعدين عن ذكر الله وإقام الصلاة. فمتى سترجعون إلى الله (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله).

قالها الإمام بصوت مرتفع بث الرهبة في قلب حسام فضلًا عن المُصلين فاقشعر جلده ودمعت عيناه لا إراديًا.

شعر حسام وكأن الخطيب يقصده هو فأغمض عينيه الدامعتين للحظات مرت أمامه العديد من فواحشه ما ظهر منها وما بطن.

انقضت الصلاة وتزاحم المُصلين عند أبواب المسجد الثلاثة حتى أصبح فارغًا يسوده السكون إلا من بعض الأشخاص المنتشرين في أرجائه من بينهم حسام الجالس يبكي وهو يضم ركبتيه إلى صدره دافنًا وجهه بين كفيه منكس الرأس.

رفع رأسه برهة لأعلى حين أتاه صوت الإمام: السلام عليكم ورحمة الله ...

رد السلام قبل أن يجلس الإمام بجواره ويتنهد: باين عليها كتيرة أوي يا ابني صح؟

- قصدك ذنوبي؟

هز الإمام رأسه إيجابًا بدون تعقيب فأكمل حسام: أكتر من ذنوب إبليس.

- يبقى لازم تتوب.

- هو إبليس ينفع يتوب؟

- أولًا يا ابني أنت مش إبليس ومتشبهش نفسك بيه، وثانيًا إبليس ينفع يتوب ويرجع الجنة تاني.
- إيه اللي بتقوله ده يا شيخ؟! إبليس مستحيل يرجع الجنة.
- اللعين راح في يوم من الأيام لسيدنا موسى وقال: يا نبي الله، إن الله فضلك واصطفاك من بين جميع أنبيائه بالتحدث إليه بدون حجاب ولا وحي من السماء، فأنا أرجو منك أن تُخبر الله بأنني أريد أن أتوب وأن أرجع إلى الجنة.
وافق موسى وبلغ رسالة إبليس لربه عز وجل .. وربنا من رحمته وافق بس كان فيه شرط واحد .... إن إبليس يروح عند قبر آدم عليه السلام ويسجد له.
طبعًا إبليس رفض وقال أنا مسجدتلهوش وهو عايش هسجد له وهو ميت .... الشاهد في القصة إن ربنا سبحانه وتعالى كان هيقبل توبة إبليس فما بالك بقى بتوبة عبد ضعيف زيي وزيك .. ها ناوي تتوب ولا لسه متردد؟!!
- ناوي أتوب يا شيخ.
- بارك الله فيك .. أهم حاجة عدم التسويف وتجديد النية .... أنا هدعي وأنت ردد ورايا.
رفع الإمام سبابته لأعلى داعيًا: تبت إلى الله، ورجعت إلى الله .. وندمت على ما فعلت .. وعزمت على أن لا أعود إلى المعاصي أبدًا.
كان حسام يردد خلفه حتى أنهى الإمام دعاءه ثم سأله: أنت اسمك إيه يا ابني؟
- حسام علاء رشيد .... وحضرتك؟

- سالم أو أبو رقية .. أنت ساكن هنا قريب؟ ملامحك غريبة عليا مشوفتكش هنا قبل كده.
- أنا مش من هنا فعلًا، أنا من القاهرة بس جيت هنا عشان موضوع كده.
بالطبع قص عليه حسام حكايته منذ أن تعرف بمدام فاتن وحتى اللحظة وهما في طريقهما إلى منزل الإمام الذي دعاه لتناول وجبة الغداء معه ومع أسرته.

...

على مائدة الطعام جلس حسام وإمام المسجد وزوجته المُنتقبة وطفلهما صاحب العشرة أعوام ... كانت المائدة مُتخمة بالطعام لا ينقصها شيء سوى زجاجة الماء التي أتت بها ابنته رقية تحملها بين قبضة يدها.
كانت تنظر إلى الأرض بحياء، ترتدي جلبابًا واسعًا أنيقًا مُنسدل فوقه خمار فضفاض، وجهها دقيق الملامح، تسكن مُقلتيها عينان عسليتان تلتف حولهما رموش طويلة كأشعة الشمس.
تبسم حسام حين رآها .... أبت عيناه عدم التملي من وجهها المضيئ، شيء ما جعل قلبه يخفق مضطربًا، أما جسده فأصابه السكون وكأنه على رأسه الطير .. وضعت الزجاجة ثم دلفت إلى الداخل بخطوات مسرعة.
أمسك حسام ملعقته وهو يتابعها وهي تغادر: هي الآنسة تبقى بنتك يا شيخ سالم؟
هز الإمام رأسه مبتسمًا أن نعم في حين تدخلت زوجته: آه دي رُقية بنتنا ولسه مخلصة دراسة السنة دي.
- معاها مؤهل إيه؟

- أخدت بكالوريوس تجارة من جامعة الأزهر.
- اللي عندنا في مدينة نصر ولا اللي في المنصورة؟
- لأ يا أخويا اللي في مدينة نصر ... كانت مُقيمة هناك في سكن الطالبات.
سكت الإمام دهرًا ونطق كفرًا: جرا إيه يا أم رُقية ... هتفضلي تتكلمي مع الراجل وتلهيه عن الأكل. كُل يا حسام يا ابني ونبقى نكمل كلامنا بعد الأكل ... أداب الطعام بتقول كده.
- حاضر يا مولانا ... معاك حق.
قالها واندس بوجهه في طبق الأرز محاولًا تذكر ملامحها التي بدأت أن تتطاير من ذاكرته شيئًا فشيئًا.
في غرفة الجلوس أغلق الإمام الباب بعدما دلفا داخلها ... جلسا يتسامران في انتظار المشروب الشعبي الأول في مصر.
(الشاي) .... لحظات وقرعت ابنته باب الغرفة فأذن لها والدها بالدخول. كعادتها دخلت وهي تنظر إلى الأرض باستحياء تحمل كوبين من الشاي.
اتجهت نحو أبيها الذي التقط كوبه ثم إلى حسام الذي نطق بفحيح لا إراديًا: يا ذات الخمار .. قد فاق جمالك القمر!
ارتعدت خجلًا وتوردت وجنتاها .. وبيد مرتعشة وضعت الصينية الصغيرة فوق المنضدة ثم ولتهما ظهرها مدبرة بخطوات سريعة إلى الخارج.
ارتشف الإمام رشفة من كوبه قبل أن يستطرد: وناوي تعمل معاها إيه لما ترجع يا ابني؟
- أول ما هوصل هروح على طول أديلها فلوسها وأقطع علاقتي بيها.

- إن شاء الله .. وربنا يهديك يا ابني وتبعد عن السكة دي خالص وتلتزم في الصلاة .. أهم حاجة، وهي هتنهيك عن المعاصي والفواحش.

بإذن الله يا شيخ ... قالها ثم أخذ رشفة من كوبه قبل أن يُكمل: كنت عايز أسألك سؤال يا شيخ.

- اتفضل يا ابني اسأل زي ما أنت عايز.

- زي ما حكيتلك كده يا شيخ واحنا تحت .. إن أنا اتعرفت عليها عن طريق الفيسبوك ... صح؟

- مظبوط يا ابني.

- الفيسبوك بقى حرام ولا حلال؟

ابتسم الإمام وصمت لحظات قبل أن يُجيبه: والله يا ابني .. مخبيش عليك، مشيخة الأزهر ودار الإفتا أصدروا فتوى بحرمانيته، بس من وجة نظري المتواضعة إنه عامل زي البلد الصغيرة اللي جوا دولة كبيرة. وزي ما الدولة الكبيرة فيها خير وفيها شر وأقصد الإنترنت عمومًا. بردو البلد الصغيرة فيها الخير وفيها الشر وأقصد الفيسبوك.

لم تتضح الرؤية لحسام كما أراد فأعاد عليه سؤاله: يعني حلال ولا حرام؟

- يعني يا ابني .. حلاله حلال وحرامه حرام، فهمت قصدي ولا لسه؟

- آه فهمت قصدك يا شيخ .. يعني تقصد مثلًا زي ما في صفحات مليانة معجبين بسارة جاي .. بردو في صفحات مليانة معجبين بالشيخ مصطفى حسني.

ضحك الإمام بعفوية: آه يا ابنى .. حاجة زي ما بتقول كده .. ولو إني معرفش مين اللي ذكرت اسمها في الأول.
- أفادكم الله يا شيخ .. هستأذن أنا بقى عشان لسه قدامي سكة سفر.
قالها حسام بعدما وضع كوب الشاي فوق المنضدة ... وهمَّ بالنهوض واقفًا ... مد يده مصافحًا للإمام الذي بادله المصافحة وقاده إلى الخارج حتى باب المنزل.

(20)

على الملاءة البيضاء بإحدى غرف مستشفى القوات المسلحة، بلونها الأبيض وأعلامها المرفرفة أعلاها .... أحدهما المصري والآخر الهلال الأحمر .. كان يرقد أيمن بلا حراك من تأثير بينج حُقن به فور وصوله إلى المشفى بعد عمل تحاليل وفحوصات قبل إجراء عملية جراحية.

كانت تجلس إلى جواره عمته شاحبة الوجه تتمتم بالدعاء له ... حين استفاق من خدره، فتح عينيه متجولاً بهما أرجاء الغرفة حتى وقعت على عمته التي ظهرت ابتسامتها بعد غياب: حمد لله ع السلامة يا حبيبي.

بلل شفتيه قبل أن يسألها: نورا فين؟

فاطمة: نورا! نورا مين؟

سؤال لم يكن في الحسبان فلم يجد له إجابة .... التزم الصمت بينما أكملت هي: في واحد ابن حلال جابك المستشفى وعمل محضر والظابط بلغنا إنه هيجي ياخد أقوالك لما تفوق .. ده غير إنه دفعلك كل التكاليف كمان.

- مين الراجل ده؟

فتحت دُرج الكومدينو والتقطت بطاقة صغيرة، ثم قرأت الاسم المطبوع عليها: اسمه عادل التلاوي، وساب الكارت ده وقال لما تفوق تبقى تكلمه.
في تلك اللحظة طرقت باب الغرفة إحدى الممرضات ودلفت.
كانت تحمل بين يديها وجبة الغداء .. اقتربت من عمته وناولتها إياها قبل أن تطمئن على حالته. اتجهت نحو الباب فأوقفها أيمن:
هو أنا هخرج من المستشفى امتى لو سمحتي.
أدارت وجهها إليه وبابتسامتها الروتينية أجابته: الجرح مش عميق يوم ولا يومين بالكتير وتخرج إن شاء الله.
غادرت الغرفة بعدما أخبرتهما بأن الطبيب سيأتي بعد سويعات للاطمئنان على حالته.

...

نزل المساء ونزل معه أيمن من فوق سريره متجهًا إلى الشرفة المُطلة على النيل والممتدة على جميع الغرف المتراصة بجوار بعضها البعض كغرف عربات قطار النوم.
سمحت له عمته بأن يقف داخلها عشر دقائق لا غير نظرًا لبرودة الجو فلم يعارضها. وقف يتأمله كعصفور حبيس داخل قفصه .. النيل .. ذلك الشريان الساحر الذي كانت تقدسه الفراعنة.
أما نحن فنقدسه أيضًا! .. المُسمى واحد، أما التقديس فيختلف باختلاف الأشخاص فضلًا عن الأزمنة ... عقد ذراعيه أمام صدره الذي دغدغه الهواء المرتطم به ونسماته المتوغلة حتى الأعماق.

الهاتف المطلوب مُغلق أو غير متاح، لإرسال رسالة صوتية عن طريق إضافة نجمة قبل الرقم وإعادة الاتصال ... تلقاها أيمن للمرة الثالثة بعد الخمسين التي يحاول فيها الوصول إلى نورا.

لم تأتِ نورا لتطمئن عليه حتى اللحظة، تذكر البطاقة الصغيرة المطبوع عليها اسم عادل التلاوي ... ورقم هاتفه، فأخرجها من جيب جلبابه وضغط على زر الاتصال بعدما نسخ رقمه وانتظر الإجابة التي جاءت على الفور: ألو.. حمد لله على السلامة يا بطل.

- الله يسلم حضرتك .... ومتشكر أوي ع اللي عملته معايا.

- لا شكر على واجب ... أي حد مكاني كان لازم يعمل كده ... أخدوا أقوالك في المحضر ولا لسه.

- آه، الظابط جه من شويه وسألني كام سؤال ووصفته شكلهم وقال هنكلمك لو وصلنا لحاجة.

- ولا هيوصلوا لحاجة ... معظم المحاضر اللي زي دي بتتأيد ضد مجهول ... المهم أنت أحسن دلوقتي ولا لسه تعبان؟

- آه أحسن الحمد لله.

تردد أيمن قبل أن يسأله: هو لما حضرتك أنقذتني مشوفتش حد تاني معايا؟

- حد! زي مين؟

- خطيبتي.

- لأ مشوفتش حد معاك ... هسيبك ترتاح بقى ولو احتاجت أي حاجة كلمني على طول ... سلام.

- إن شاء الله وشكرًا لحضرتك تاني مرة .... سلام.

أنهى مُكالمته بلمسة وبمثلها ضغط فوق الأيقونة الزرقاء، تطبيق الفيسبوك ... فُتح بريده على الفور ولم يلبث أن كتب اسمها في مربع البحث (ana nona) لحظات وظهرت له تلك اليد الملفوف إبهامها بشاش أبيض تحمل معها كلمات لزجة فاقعة للمرارة (عذرا، هذه الصفحة غير متوفرة قد يكون الرابط الذي تبعته معطلًا أو تمت إزالة الصفحة)، نعم هكذا أصبح الحب في زماننا، يبدأ بطلب صداقة وينتهي بحظر نهائي.

ظل يرمق شاشة هاتفه وهو يعتصره بين قبضة يده في عدم تصديق .. عاد إلى غرفته بعدما أتاه صوت عمته من الخلف: كفاية كده وادخل يا حبيبي، الجو برد والدكتور قال الوقفة الكتير غلط عليك.

جلس فوق سريره شاردًا ساهمًا، ضيق يقتحم صدره وهواجس بداخله تأبى الرحيل، هل حدث لها شيء؟! .. هل علم أحد من عائلتها فضيق عليها الخناق؟! أم رحلت وتركتني كما فعلتها امرأة لوط ... ضغط على الصفحة الرئيسية فتلقاه بالأحضان وكان هو أول من تقع عليه عيناه، سؤال حامض، فضولي، متطفل مُكون من كلمتين .. (بم تُفكر) لم يجد أيمن له إجابة سوى كلمة واحدة (فيها) كتبها ثم ضغط على كلمة نشر قبل أن يُغلق هاتفه وينزلق أسفل لحافه ليتوارى خلفه هاربًا في طريقه إلى سُبات عميق لن يصل إليه إلا بعد ساعات من الحزن والتفكير.

...

صعد حسام سلم العقار ببطء كسلحفاة بلغت من الكبر عتيا .. كانت تُحلق فوق رأسه عشرات الأسئلة .... كيف يخبرها عن ما حدث معه .. كيف سيبدأ سرد روايته لها .. هل سيقوى على إقناع من علمته فن الرماية فوق سريرها .. كان جائعًا فأطعمته ... ظمآنًا فأسقته .. محرومًا فأشبعته .. وحيدًا فآنسته.

أخذته قدماه حتى الطابق التاسع بعد مرور ما يقرب من الخمس دقائق .... اتجه نحو باب منزلها ثم أخرج نسخة مفتاح بحوذته منذ حين.

في الداخل كان السكون هو سيد المنزل الذي تفوح منه رائحة عطرها المنتشرة في أرجائه .. اتجه نحو حوض سمك صغير لم يره من قبل .. كان موضوعًا فوق منضدة تتوسط الريسبشن.

أصغى بأذنيه للحظات استمع خلالها إلى موسيقى هادئة كانت تتبع سابقًا من شاشة التلفاز .. طالما سمعها في ذلك المنزل.

نظر إلى الحائط فلم يجد شاشة LCD معلقة مكانها، تتبع صوت الموسيقى حتى سحبته قدماه أمام غرفة النوم بعد اجتيازه الممر الطويل المؤدي إليها ... أمسك بمقبض الباب ودفعه للإمام قبل أن يتدفق الأدرينالين في عروقه كسيل عرم ... سقط فاه واتسعت حدقتاه حين رأى ما رآه .. كانت تقف مدام فاتن مُرتدية بيبي دول بينك، يحتضنها زوجها من الخلف .. واضعًا يديه حول خصرها.

على ما يبدو أنها كانت تُعلمه أساسيات رقصة البطريق. نظر إليه زوجها بدهشة مُختلطة بغضب: إيه ده أنت مين وإزاي دخلت لحد هنا؟

- مليكش فيه .... أنت اللي مين؟

كانت تقف مدام فاتن جاحظة العينين ... تضع راحة كفيها على رسغها استعداداً للطم وعويل حين لمحت زوجها وهو يفتح خزانته ويلتقط منها مسدسه الصغير شاهرًا فوهته باتجاه حسام وهو يُجيبه: أنا أبقى جوزها يا ابن ال....

عقبت جملته ضغطة من سبابته على زناد مُسدسه لتنطلق من فوهته رصاصة أعلنت استقرارها في منتصف جبهة حسام الذي سقط أرضًا على دُفعتين .... هوى على ركبتيه قبل أن يعانق جسده أرضية الغرفة.

لم يستيقظ حسام من غفوته إلا على صوت فرملة عنيفة تبعها ذلك الصوت الصادر من سائق الميكروباص: مبتعرفش تسوق راكب أمها ليه يا بني آدم.

على الفور تدخل أحد الركاب الجالسين بجواره لتهدئته: معلش يا أسطى حصل خير، وبعدين الراجل معذور بردو ... حد يركب جانبه فورتيكا زي دي ويعرف يركز في الطريق.

كانت تلك الكلمات موجهة إلى من بداخل سيارة مرت بجوار الميكروباص الذي يجلس بداخله حسام في الاتجاه المُعاكس منذ لحظات، والتي تستقلها مدام فاتن وزوجها، كانا في طريقهما إلى الفورسيزون .... لقضاء سهرة حافلة بمناسبة انتهاء فترة عقوبته.

زفر حسام لاعنًا في سريرته السائق ومن يجاوره ودراجته البخارية التي تعطلت في منتصف الطريق.

ترجل من الميكروباص ومشي بضعة أمتار حتى وقف أمام الحارس الجديد للعقار الذي يبدو صعيديًا .... كان يجلس فوق كرسي خشبي يضع قدمًا فوق الأخرى.

يرتدي جلباباً وعمامة وتجاوره عصا يتكئ عليها، كان يتحدث في هاتفه المحمول بلهجته السوهاجية: له لازم تردعي بيتك يا بتي ده مهما كان دوزك وواد خالك .... كيه معيحبكيش إيه الكلام الماسخ ده .... طب يا بتي ما كنتي تلبسيله جميص زين .....

قطع حسام حديثه: سلامو عليكو يا بلدينا.

- وعليكم السلام ... خير؟

- أنت مستلم حراسة جديد هنا يا حاج صح؟

- صُح يا ولدي .... خير؟

قالها ثم عاد إلى مُكالمته لينهيها: ألو .... طب سلام يا بتي دلوك وهكلمك بعدين.

- تعرف مدام فاتن اللي ساكنة في التاسع.

- آه أعرفها .... مرت الأستاذ حسين .... توهم نازلين.

- طب أنا معايا أمانة وعايزك تسلمها لمدام فاتن شخصياً.

- أمانة! .... أمانة إيه؟

دس حسام يده في جيبه وأخرج الحزمة الورقية ثم أردف وهو يُعطيها له: الفلوس دي تديها لمدام فاتن في إيديها، وتقولها دي الفلوس اللي دفعتيها من يومين في الفستان السواريه ... وقولها الشحنة اتحجزت في المينا ومش هتيجي تاني خالص .. ماشي.

أخذها البواب من يده وهو يومئ إيجاباً: ماشي يا ولدي ... في حادة تاني؟

- لأ هو بس كده .... تشكر يا بلدينا .... سلامو عليكو.

- سلام ورحمة الله.

...

شهران قضاهما أيمن وحيدًا في حالة شبه اكتئاب منذ أن تبخرت نورا وهاتفها وبريدها من حياته .. ظهرت فجأة وهكذا غابت.
يعيش على أمل أنها ستعود يومًا، جملة واحدة يرددها قلبه قبل لسانه: عساها تحن ... عساها.
سافرت عمته وزوجها منذ أسبوعين إلى السعودية في زيارة لبيت الله الحرام لأداء مناسك العمرة ... عمرة شهر شعبان التي قاربت على الانتهاء.
جلس أمام جهاز الكمبيوتر بعدما وضع مشروب البارلي ميكس أمامه وفتح بريد الفيسبوك بعدما ضغط تسجيل الدخول.
بين الإشعارات وطلبات الصداقة كانت تضيء العلامة الحمراء .. علامة استلام الرسائل، نقرة واحدة عليها كانت كفيلة بأن تجعل قلبه يزغرد ويخفق فرحًا ... كانت من (ana nona) ولكن من بريد حديث الولادة على الموقع، عادت من جعلته يبكي يأسًا من الوصول إليها. كانت فحوى الرسالة: أخبارك إيه يا أيمن وحشتني آآآد البحر وسمكاته ... أنا عايزة أقابلك ضروري بس بشرط مش تعاتبني على اللي فات. عارفه إنك زعلان بس أول ما تشوفني هتعرف كل حاجة من غير ما أحكيلك كمان. وآدي رقمي الجديد أهو وهستنى تليفونك أوك ... سلاااااام.
لا إراديًا أمسك هاتفه والتهم رقمها من جوف الشاشة ... انتظر لحظات تسارعت فيها نبضات قلبه حتى جاءه الرد: ألو مين؟ أكيد أيمن صح؟
أبعد هاتفه ونظر إليه متعجبًا ثم أدناه ثانيًا من أذنه: آآه أنا أيمن، بس أنتي مين؟ ده مش صوت نورا.

- لأ ده صوتي بس تلاقيك نسيته عشان بقالنا فترة مش اتكلمنا مع بعض.
- ممكن بردو .... المهم أنتي أخبارك إيه؟
- أنا تمام ... فاضي بكرا نتقابل؟
- آه .. ولو مش فاضي أفضيلك نفسي هو أنا عندي كام نورا ... هنتقابل فين؟
- في أي حته .. ولا أقولك خليها في النايل كانتري زي المرة اللي فاتت بس الساعة 8 بالليل.
- النايل كانتري تاني .... ما بلاش.
- متخافش مش هيحصل حاجة المرة دي.
- ماشي يا ستي مش هقول لأ .. بكرا هتلاقيني هناك 8 بالظبط.
- أوك باي باي.
- باي باي يا مدوخاني.

(21)

مساء اليوم التالي .... وعلى غير عادته وصل أيمن أمام النايل كانتري قبل الموعد المُحدد بربع ساعة تقريباً.
فى الداخل اقترب من منضدة في المنتصف ثم جلس موليًا وجهه للوافدين إلى الداخل في انتظار نورا التي أتت للتو .. كانت تلوح له بيدها من بعيد.
بعد ابتسامة تدرب عليها لأجلها عقد حاجبيه اندهاشًا حين اقتربت واتضحت له الرؤية. كانت تسير بخطوات ثابتة غير مضطربة فضلًا عن خصلات شعرها الناعم المنساب على منكبيها والميك أب الذي لم يتهاون في أخذ جميع حقوقه من وجهها بدايةً من أحمر الشفاه مرورًا بالبودرة المائية والأيشادو الذي اعتلى ظهر جفنيها والخرزة الفضية (الاسترس) المستقرة يسار أنفها، والمسكرة التي تركت بصماتها على رموش عينيها التي تحوي بداخلها على عدسات لاصقة خضراء اللون، بالإضافة إلى بنطال جينز اختنقت له أرجلها وبادي جسد منحنياتها الجذابة.
اقتربت وجلست أمامه فلم ينحني ليصافحها واكتفى بهزة واحدة من رأسه أن أهلًا .....
- إيه رأيك في النيولوك الجديد يا موني؟
- موني! .... ده النيولوك الجديد بتاع اسمي كمان ولا إيه؟

- آه إيه رأيك؟
- وحش والنيولوك بتاعك أوحش ... الحسنة اللي كانت في خدك راحت فين! كانت أحلى من البويا دي كلها.
- أنا زعلانة منك هه.
لم يعر دلالها الذي كان يعشقه انتباها: ممكن أعرف كنتي فين الفترة اللي فاتت دي كلها؟
- إيه ده أنت مش أخدت بالك من المشية بتاعتي وأنا جاية عليك من شوية!
- أخدت بالي طبعًا .... بس عايزك توضحيلي أكتر.
- كنت مسافرة ألمانيا بعمل عملية في رجلي والحمد لله نجحت. وطبعًا قفلت موبايلي وإيميلي وبعد ما رجعت مصر تاني غيرتهم. بس هو ده كل اللي حصل.
- ع العموم حمد لله ع السلامة .. ومبروك على نجاح العملية.
- الله يبارك فيك.
سكتت لحظات أطالت فيها التفكير قبل أن تتنهد: أيمن .... أنا كنت عايزة أعرفك بنفسي أكتر وأقولك على حاجة لازم تعرفها.
أراح ظهره للخلف قليلًا: اتفضلي اتكلمي ... أنا سامعك.
- أنا اسمي نورا مجدي .. وفي سنه 5 صيدلة زي ما أنت عارف طبعًا، بس بابا مجدي ده مش بابايا الحقيقي .. ده يبقى جوز خالتو ... واتبناني هو وخالتو بعد ما ماما وبابا ماتوا وأنا عندي شهرين.
- ربنا يرحمهم .... أكيد حادثة مش كده.
- بوص هو أنا كل أما أسأل خالتو أو جوز خالتو هما ماتوا إزاي مش بيجاوبوني بصراحة وبيقولوا ماتوا في حادثة .... بس أنا

سمعتهم في مرة من غير ما ياخدوا بالهم .. وعرفت هما ماتوا إزاي.
- إزاي .... كملي أنا سامعك.
- هو أنا مش كنت ناوية أقولك ع الحكاية دي ... بس خوفت تكتشفها في يوم من الأيام وتزعل.
صمتت برهة ثم أكملت: اللي عرفته إن بابا قتل ماما وبعد كده أخد إعدام.
- ومعرفتيش قتلها ليه؟
- مش عارفة أقولهالك إزاي.
- خيانة مش كده؟
- لأ، بابا كان على علاقة بماما قبل ما يخلفوني، وبعد ما اتولدت ماما راحتله وطلبت منه إنه يعترف بيا ويكتبني في شهادة الميلاد باسمه، راح رفض وهددها بالقتل لو حاولت تفضحه .... وبعدها بكام يوم راح قاتلها واتمسك بعدها واتحكم عليه بالإعدام.
- كان شبهك ومحترم زيك كده ... الله يرحمه مات ظلم ... ينتقم منهم ربنا ولاد الحرام، قتلوها وهو اللي خد إعدام فيها.
طرقت ذاكرته كلمات المرأة العجوز حين كانت تقبع على عتبة المنزل المواجه له.
نفض الغبار عن رأسه مستبعدًا أن تكون كلمات تلك العجوز غير ملوثة بالتخاريف والهرطقة ... فأكمل حديثه: وباباكي كان اسمه إيه؟
- مش عارفة مسمعتهمش قالوا اسمه قدامي قبل كده .... بس أعرف اسم ماما ... كان اسمها سماح.
- على فكرة أنا كمان أبويا وأمي ماتوا وأنا صغير.

- بجد! .... طب احكيلي بقى عن نفسك أكتر.
- أنا يا ستي أيمن فتحي أنور، من مواليد أربعة وتسعين وبعشق حاجة اسمها صيد .. خلصت دراستي من سنة وعملت مشروع تخرج عن Penetration and control.
- تحكم واختراق؟
- بالظبط كده.
- ده اللي هو إزاي؟

أخرج من جيب بنطاله جهاز في حجم علبة الكبريت له شاشة صغيرة: شايفة الجهاز الصغير ده؟

التقطته من يده: آه ... ماله؟

- ده عبارة عن جهاز بيتركب في العربية وبيقدر يخترق السيستم بتاعها وبيقدر يعرف أكواد العربية حتى لو العربية دي فيها جهاز إنذار ... يعني ببساطة أقدر أتحكم في العربية وأنا مش قاعد جواها ... أشغلها وأوقفها وأنورها وأزود السرعة وأحود يمين وشمال وأرجع مرشدير .. كل ده عن طريق أبلكيشن معين على اللاب بتاعي ... غير كده بقى قدمت أوراقي في شركات ومصانع ومحطات كهربا كتير حتى السد العالي قدمت ورقي فيه.

كنت عايش مع عمتي وجوز عمتي من وأنا صغير بعد ما أمي اتوفت بمرض معين، ووالدي اتوفى بعدها بكام شهر في حرب الخليج ومات في الكويت .. وحاليًا عايش في شقة أبويا لوحدي.

- ربنا يرحمهم.
- يا رب.

أتى إليهما النادل وتوقف على بعض سنتيمترات فطلب أيمن منه لاتيه بينما طلبت هي عصير ليمون فريش. ذهب في الحال وعادا يكملان حديثهما.

- أنا حكيت لعمتي عنك النهارده الصبح.

- وقالتلك إيه؟

- قالتلي إنها عازماني أنا وأنتي عندها على الفطار أول يوم في رمضان.

- أوك معنديش مانع.

ساد الصمت للحظات .. جاهد أيمن فيهما عدم التملي من وجهها الذي أصبح أجمل وأروع من سابقه إلا أنه لا يريدها هكذا، بل يريدها فقط كما رآها بالأمس القريب.

قطعت الصمت باستنتاجها المباغت له: على فكرة يا أيمن .. أنت فيك حاجة غريبة.

- اللي هي؟

- يعني طول ما أنت قاعد عينيك مش ثابتة في حتة معينة ... كل أما أبصلك ألاقيك باصص في مكان غير اللي قبله ... أنت عليك طار ولا كان نفسك تبقى مراقب لجان ومجموعك مكملش.

لم يضحكه الإفيه ... فأجابها ببرود: بحلل شخصيات الناس اللي حوالينا.

- إيه ده ... أنت بتعرف في تحليل الشخصيات ولغة الجسد والحاجات دي؟

- يعني ...

- طب إيه تحليلك لشخصيتي؟

- وسخة.

- نعم! هي مين دي اللي وسخة إن شاء الله.
- الكوباية الفاضية اللي قدامي، عليها تراب ومش هعرف أشرب مياه بيها.
- آآه بحسب ...
- أنا همشي .. هتطلعي معايا أركبك تاكس ولا هتقعدي شوية.
- والعصير اللي طلبناه!
- هقوله يلغيه.
- مالك بس في حاجة ضايقتك.
- مفيش حاجة مضيقاني .... هتمشي ولا؟
- خلاص همشي .. معاك يلا بينا.

التقط هاتفه ومفاتيحه من فوق المنضدة قبل أن يسحبها من يدها برفق .. تمشيا قليلًا في الخارج بعدما عبرا البوابة.

أشار إلى تاكس لم يلطخه إعلان، توقف على مقربة ففتح أيمن الباب لها وأجلسها ثم صفع الباب وحاسب السائق قبل أن يلوحا بأيديهما أن إلى اللقاء.

...

قذف المدفع بارودة ورُفع أذان المغرب في أول أيام الشهر الكريم ... في تناغم موحد بين نورا وأيمن وعمته وزوجها، ابتلت عروقهم وذهب ظمأهم بعد تناول أكواب الماء وحبات التمر لتتوالى الهجمات والضربات الاستباقية على المعدة لتجعلها كبالون ممتلئ بالماء وليس الهيليوم.

بعد الانتهاء من وجبة الإفطار جلست نورا وعمته بغرفة المعيشة يتسامرن وذهب أيمن وزوج عمته للمسجد المجاور لأداء صلاة

العشاء والتراويح بعد احتساء كوبين من الشاي تبعهم طبقان من الكاستر.
بعد ساعة غادرا المسجد وعاد أيمن إلى المنزل بينما ذهب زوج عمته إلى مقهى (الزمن الجميل) للعب عشرتين طاولة مع رفاق الترابيزة وحجرين الشيشة.. سعيد أرابيسك وعبد القادر والزياني.
- تن تن تن.
ضغط أيمن بسبابته التي أبت ترك زر جرس المنزل حتى فتحت له عمته الباب ... تلقته بكلمة الشعب الروتينية: حرمًا.
- جمعًا إن شاء الله ... نورا فين؟
- واقفة في البلكونة.
- طب عن إذنك يا عمتي هدخل لنورا.
في الشرفة كانت تقف نورا تتأمل الجزء الأيمن المضيء من القمر ... لم يقطع شرودها سوى صوت فرقعة صادر من لعبة نارية رخيصة ألقاها أيمن بخفة إلى جوارها، فلم يستطع مضاد الصواريخ الخاص بها رصده وإبطاله.
شهقت بقوة وهي تُعاتبه: إخص عليك يا أيمن وقعت قلبي.
- سلامة قلبك يا نونتي .. لاقيتك بتبوصي لفوق وسرحانة قلت أخضك.
- رخم ... اوعي تكررها تاني، هزعل منك بجد.
- وأنا مقدرش على زعلك .. قوليلي بقى كنتي بتبوصي على مين فوق؟
- كنت بتفرج ع القمر ... أول مرة آخد بالي من هلال رمضان.
- بتحبي القمر؟
- ومين فينا مش بيعشقه.

- يعني لو أنا وأنتي طلعنا القمر هنقدر نعيش عليه؟
- أكيد هنمل ونزهق وهنرجع ع الأرض تاني.
- طب تخيلي كده إن احنا ع القمر فعلًا وزهقنا وقررنا إننا نرمي نفسنا من فوق بس من غير براشوت .. وعدينا لغاية تلاتة وأنتي رميتي نفسك وأنا ضحكت عليكي وفضلت واقف مكاني، تفتكري يبقى مين فينا اللي خاين؟
- أنت طبعًا.
- طب لو أنا بصيت عليكي وأنتي بتوقعي لاقيتك لابسة براشوت وبتخمسي في الجو ... ساعتها بقى يبقى مين فينا اللي خاين؟
- أنت بردو.
- أنا بردو .. تصدقي حلال فيكي الصاروخ اللي فرقعته جانبك والمرة الجاية هتبقى إزازة مولوتوف مشبرة.
- وأهون عيك بردو ... بجد إخص عليك.
- اسكتي مش أنا لاقيت تمثال دهب.
- بتهزر ... صح؟
- أبدًا والله ... لاقيت تمثال في شقة أبويا الله يرحمه.
- وناوي تعمل بيه إيه؟
- هبيعه وأطلع بفلوسه القمر.
- ماشي وأنا موافقة.
- لأ أنا هطلع لوحدي ... ومش هاخدك معايا إلا لو اتحجبتي زي الأول.
- هنتكلم في الموضوع ده تاني ... مش اتفقنا إني هتحجب بعد الخطوبة.

- اللي يريحك يا نورا ... بس يكون في علمك لو لاقيتك سايبة شعرك بعد قراية الفاتحة ... يوم واحد ساعتها كل واحد يروح لحاله.
- ماشي يا سيدي فوكها بقى ... ويلا عشان توصلني لحد تحت.
- لأ أنا هوصلك لحد البيت.
- لأ مفيش داعي ... التاكس بيوصلني لحد قدام البيت.
اصطحب أيمن نورا إلى أسفل بعدما ألقت السلام على عمته وودعتها .. أشار إلى تاكس متلكع يقوده رجل ستيني على عينيه نظارة طبية عديمة الفائدة. استقلته نورا بعد حوارات ومناوشات واتفاقيات بين أيمن والسائق بخصوص الأجرة.
ودعها أيمن وعاد إلى منزل عمته بعدما ابتاع وجبة السحور ... المهدئ قصير المدى لصراخ معدة تستغيث طوال ساعات النهار.
...
بغرفة المعيشة جلس أيمن فوق كنبة الأنتريه بجوار عمته ... ممسكًا بالريموت كنترول وأخذ يبحث بين القنوات الفضائية المُملة حتى أنهى جولته ورست سفينة بحثه على قناته المفضلة الجزيرة الوثائقية. ترك الريموت من يده قبل أن يتنهد: إيه رأيك فيها يا عمتي؟
- قناة الجزيرة .... مش بطالة.
- قناة الجزيرة إيه بس يا عمتي! أنا أقصد نورا ... إيه رأيك فيها؟
- هي طيبة ودمها خفيف بس مش مناسبة ليك.
- ليه بس يا عمتي؟

- يعني طريقة لبسها وطريقة تعاملها وشكلها .. كل الحاجات دي بتقول إنها بنت عز ومتربية ع الغالي واحنا زي ما أنت شايف يا حبيبي .. حالنا على قدنا.
- أولًا يا عمتي موضوع لبسها وشعرها ده احنا اتفقنا إنها تتحجب بعد الخطوبة .... ثانيًا حالتهم المادية قريبة من حالتنا، باباها كان موظف وطلع ع المعاش .. يعني مش بنت عز ولا حاجة زي ما أنتي فاكرة.
- خلاص يا حبيبى .. مدام عاجباك وبتحبها أنا معنديش مانع ... وقولها تاخدلنا معاد من أبوها ونروح أنا وأنت وعمك وحيد عشان نقرا الفاتحة.
- إن شاء الله ... هكلمها كمان شوية وأقولها.

ساد الصمت أركان الغرفة إلا من صوت التلفاز الذي بدأ للتو في عرض فيلمًا سجيليًا عن حرب الخليج. انسدل اللون الأسود ليحتل الشاشة التي كُتب في منتصفها (حرب الخليج1992).

نظر أيمن إلى عمته مشدوهًا حين وقعت عيناه على ما تعرضه الشاشة. أما هي فلم تفطن شيئًا .. كانت تنظر أيضًا إلى الشاشة ... لكنها كانت تسبح بمُخيلتها في حساب وجرد وتقسيم المبلغ المُتبقي من قيمة راتب يتقاضاه زوجها ... يدق ناقوس خطره معلنًا اقتراب نفاده.

- عمتي .. حرب الخليج كانت في92؟
- آه يا حبيبي ... أبوك مات فيها الله يرحمه.
- عمتي .. أنا من مواليد94 ... أبويا خلفني قبل ما يموت ولا قام من تربته جابني ورجع تاني؟!!

سؤال مُباغت لم ينضم لحسابات الميزانية .... توقف العقل عن التفكير .... أما اللسان فكان المُنقذ غير المُقنع على الإطلاق: ما هو أبوك الله يرحمه مات في حرب الخليج التانية .... عاصفة الصحراء بتاعت 98.

- عمتي أنا مش عيل صغير عشان أصدق ... لو سمحتي تقوليلي أبويا مات إزاي؟

- زي ما قولتلك يا حبيبي .. مات في حرب الخليج التانية.

ارتفع صوته وهو يُعيد عليها سؤاله: أبويا مات إزاي يا عمتي؟

في تلك اللحظة كان يقف زوج عمته خلف الباب يغرس مفتاحه في ثقبه .. فتحه ودلف واتجه إلى غرفة المعيشة حيث يجلسان: في إيه يا جماعة .. صوتكم جايب لحد الباب؟

- أهو عمي وحيد جه وهو اللي هيقول الحقيقة.

- يا ابني ما أنا قلت.

جلس وحيد بجوار زوجته: حقيقة إيه اللي عايز تعرفها يا أيمن يا ابني؟

- أبويا مات إزاي؟ أبويا مات معدوم مش كد.....

قاطعته عمته: مين قالك الكلام الفارغ ده؟

نظر وحيد إلى زوجته قبل أن يميل برأسه في اتجاهها وبصوت خفيض: أيمن كبر يا فاطمة ومن حقه يعرف الحقيقة ...

صمت هنيهة ثم تابع: روحي اعمليلنا كوبايتين شاي يا فاطمة وأنا هحكي لأيمن إيه اللي حصل مع أبوه الله يرحمه.

قامت من مجلسها واتجهت إلى المطبخ .. بينما أشار زوجها إلى أيمن أن اجلس بجواري ففعل .. وضع يده على كتف أيمن قبل أن يتنهد: بوص يا أيمن يا ابني أنت كبرت وبقيت راجل ومن حقك

تعرف كل اللي حصل مع أبوك الله يرحمه ... صمت لحظات ثم أكمل: بعد ما والدتك ماتت الله يرحمها عمتك طلبت من أبوك إنها تاخدك تعيش معانا وأبوك وافق، بعدها بحوالي أسبوعين تلاتة الحكومة قبضت على أبوك بتهمة قتل واحدة اسمها سماح.
بعدها اتحكم عليه بالإعدام عشان مكانش معاه أي دليل يثبت براءته ... بس اللي عايزك تعرفه يا أيمن يا ابني إن أبوك كان محترم ومستحيل يعمل كده أبدًا ... وأنت عارف ياما في الحبس مظاليم.
لم يكُن أيمن بحاجة إلى تفسير أو تقصي حقائق لمعرفة إن كانت من يُحبها شقيقته أم لا .... صمت مخيف لم تتبعه عاصفة وهواجس تتوغل إلى كل خلية في جسده: نورا طلعت أختي ... والست العجوزة كان عندها حق ... كان يُحدث بها سريرته التي ضاقت عليه بما رَحُبت.
قام من مجلسه وسار مترنحًا يتشبث بقدميه ثُقل حديدي لم يقوَ على جره. غصة التصقت بحلقه ودوار مفاجئ لفحه لفحًا أرغمه على السقوط أرضًا بعجلة جاذبية حددها من اشتهر أيمن باسمه (نيوتن).

(22)

مرت أيام الشهر الكريم سريعًا كقطار اليابان فائق السرعة (القطارالطائر) ... مضى ثُلث الرحمة وانقضى ثُلث المغفرة ولم يتبقَ سوى يوم على انتهاء ثُلث العتق من النار.

بناءً على طلبها .. نورا .. أخذتها فاطمة عمة أيمن إلى منزله بعد علمها بقصة مرضه (السكري) .. المرض المُلقب بالصديق غير الصدوق الذى تمتد جذوره إلى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد كما كشفته لنا ورقة البردي (كاهون).

قطع أيمن أخباره وأغلق هاتفه وهاجر بريده الإلكتروني .. سيل من الكآبة يغمره وحواجز تُعرقله وتُلجمه عن البوح لها بالحقيقة أو بالأحرى ما توصل إليه من معلومات.

رافقتها عمته حتى وصلتا أمام منزله .. فتحت عمته الباب بنسخة المفتاح تملكها. دلفتا إلى الداخل قبل أن تتجه عمته إلى المطبخ لعمل كوبين من العصير .. بينما ذهبت نورا إلى غرفته لتطمئن عليه كما أخبرتها.

طرقت باب غرفته فأتاها صوته: ادخلي يا عمتي .. الباب مفتوح.

دفعت الباب ودلفت وبشقاوة أردفت: أنا مش عمتك .. أنا نورا يا بيبي ... إيه رأيك في المفاجأة؟

كان نصف نائمًا فوق سريره فاعتدل جالسًا وبذهول: هه .. أنتي جيتي لحد هنا إزاي؟

- ده بدل ما تقول اتفضلي ودي أحلى مفاجأة .. عمومًا يا سيدي أنا جيت مع طنط فاطمة.

- اتفضلي طبعا ده بيتك .. بس عمتي فين مدخلتش معاكي ليه؟

جلست فوق كرسي بلاستيكي بجوار سريره قبل أن تُجيبه: في المطبخ بتعمل عصير.

- أخبارك إيه؟

- أنا تمام ... المهم أنت عامل إيه؟ وألف سلامة عليك.

- الله يسلمك ... الحمد لله على كل حال.

- حصل امتى الكلام ده؟ ومن إيه؟

- من كام أسبوع، الدكتور قال ممكن بالوراثة وممكن من الزعل.

- وبتاخد أنسولين ولا برشام؟

- جربت البرشام في الأول مجابش نتيجة ... راح الدكتور كتبلي أنسولين.

- الأنسولين أفضل طبعًا .... بتاخد أنهي نوع؟

- Mixtard.

- أنا قلت كده بردو .... ربنا يشفيك.

اتجهت أبصارهما نحو الباب حين دفعته عمته فاطمة التي تحمل بين يدها كوبين من العصير، قدمت لنورا واحدًا فتناولته: ميرسي يا طنط .... ثم أدنت الأخرى من أيمن فاعترض: عصير يا عمتي ومانجة كمان ... أنتي عايزه السكر يعلا عليا ولا إيه؟

- دي كوباية يا حبيبي .. هو أنا جايبالك چركن.

- لأ غلط عليا بردو ... ولا إيه يا دكتورة ما تقوليلها؟

- آه طبعًا غلط يا طنط، العصير مش يتشرب إلا في حالة الهبوط بس ع العموم متقلقش .. أنا معايا تركيبة كده بتخفف نسبة السكر وبتخلي العصير بيور .. جايباها عشان خالتو عندها السكر بردو .

قالتها ثم فتحت حقيبتها وأخرجت منها زجاجة صغيرة نسبيًا ... سكبت داخل الكوب ما يقرب من نصف الزجاجة قبل أن تناولها له.

- إيه ده كله ... أنتي حطيتي جوا الكوباية كتير أوي .. ليه كده؟

- هو كده لازم تتحط كمية كبيرة ... وبعدين مش تخاف يا سيدي مش هحاسبك على تمنها .... أنهت جملتها وهي تعيد الزجاجة داخل حقيبتها لتضعها فوق الكومودينو.

كانت عمته ما تزال واقفة فأردفت: طب عن إذنك يا نورا ... أنا هطلع أقعد برا قدام التلفزيون ... زمان المسلسل اللي متابعاه بدأ ... لو عوزتي أي حاجة اندهي عليا.

- أوك يا طنط .. اتفضلي.

انسحبت إلى الخارج وتركت الباب مواربًا .. وضع أيمن كوبه فوق الكومودينو بعدما تجرعه عن آخره .. نظر إليها لثوانٍ يتأملها لأول مرة كشقيقته.

ابتسم لها بحنان وشعور الأبوة وليس الأخوة فحسب يتسلل إلى قلبه .... يريد أن يحتضنها بقوة، يعطف عليها، يداعبها، يضربها ويتشاجر معها حتى ترتدي الحجاب من جديد، تزمجر وترفض ثم تتصاع لأوامره بعد علقة ساخنة ... فيصالحها بدبدوب صغير وجلاكسي حجم عائلي وهو يطبع قُبلة على جبينها ثم يهمس

في أذنها: كده بقيتي أعف وأجمل من الأول يا أحلى أخت في الدنيا كلها ....

قطعت نورا شروده متسائلة: مالك يا أيمن .. عايز تقول حاجة؟ حاسة إنك متغير النهارده؟

- الصراحة آه .. عايز أقول على موضوع مينفعش يستخبى أكتر من كده.

- موضوع إيه قلقتني؟

- موضوع .....

رعشة وغثيان وشعور بالقيء بالإضافة إلى خمول وارتخاء في الأعصاب مرورًا بضيق في التنفس وعدم انتظام ضربات القلب .. لم تكن سكرات الموت ولا لحظة خروج الروح بل كانت مؤشرات أولية لغيبوبة سكر في طريقها إلى أيمن .. كساه العرق وحُبست أنفاسه والتفت به أرض الغرفة حول محورها قبل أن ينكب على جنبه الأيسر فاقدًا للوعي مستعينًا بإسقاطه النجمي عابرًا به حاجز الأزمنة ليصل إلى هناك .... وما أدراك ما هناك.

على الكاردو المؤدي إلى مدخل الحفريات سلك أيمن طريقًا ساقه إلى ساحة كبيرة بعدما اجتاز تقاطع طرق ومبنى حمامات عامة .. نفذ من بوابة شاهقة الارتفاع بنيت بالرافعات تبعد أمتارًا عن بركة مياه مربعة، تخطاها قبل أن يسير في مدخل مقوس في نهايته ساحة واسعة سطرت جوانبها بأسطر من السفائف وأقواس مفتوحة تستند على أعمدة توسكانية تنفصل عن بعضها بأعمدة كورثينية تحمل أسطح متواصلة.

تسلل من بين الأعمدة حتى لاح له من بعيد جبل يحتضن كهفًا مضاءً بنور أحمر خافت يتصاعد منه دخان أبيض كثيف ... تعلوه

لافتة (معبد النوم الشفائي) ... سلك أيمن طريقًا سلكه والده من قبل حتى بات على بعد خطوة من الغرفة ... أزاح الستار بيده ليشاهد ماذا يحدث بالداخل .... كان يقف داخلها شابان في بداية الثلاثينيات .. أحدهما أبيض البشرة، مفلفل الشعر، ذو لحية بنية، يرتدي تونيك إغريقي ناصع البياض، ويدعى (فولويس).
والآخر أشقر ذو لحية خفيفة، وعينان خضراويتان، وشعر ناعم منسدل حتى الأكتاف يرتدي نفس ما يرتديه الشاب الآخر ويدعى (رودسي) .. كانا يقفان أمام الطبيب الأعظم.
لم يكن بدينًا كسابق عهده ... أكله المرض فأصبح نحيفًا كورقة بردي، كان ممسكًا عصا بإحدى يديه يتكئ عليها والأخرى يضعها فوق كتاب يحمل اسم (الأمور المقدسة) .. نظر إلى الشابين قبل أن يردف: إن الجود بالخير يجب أن يكون على كل أحد يستحقه، قريبًا كان أم بعيد ... لقد أصبحت هارمًا لا أقوى على فعل أي شيء .. أعلم أن أجلي يقترب وما أخشى عليه هو زوال مهنة الطب وفنائها، فكما تعلمون أن أهل جلدتنا لا يفقهون كثيرًا عن الطب وخباياه ... لذلك إني أعهد إليكم بقسم فرددوه ورائي بصوت جهور: (أقسم بالطبيب أسكليبيوس وهيجا وباتيكا وجميع الأرباب والربات وأشهدهم بأني سوف أنفذ قدر قدرتي واجتهادي هذا القسم وهذا العهد .. وأن أجعل ذلك الذي علمني فن الطب في منزلة أبتي وألا أعيش مخالفًا إياه، وإذا صار في حاجة إلى المال أن أعطيه نصيبًا من مالي، وأن أنظر بعين الاعتبار إلى ذريته كنظرتي إلى إخواني، وأن أعلمهم فن الطب والخيمياء إذا رغبوا في تعليمه، وأن لا أعطي عقارًا مميتًا لأي إنسان وأن لا أعطي اقتراحًا بهذا الشأن وأن لا أعطي لامرأة

دواءً مجهضًا وسوف أحافظ على حياتي في فن الطب بطهارتي وتقواي ... وألا أستخدم الموسى حتى مع اللذين يعانون من الحصوات داخل أجسامهم ... وسوف أتراجع لمصلحة الرجال المشتغلين بهذا العمل أيًا كانت الديار التي قد أزورها، فإنني سأدخل لنفع المريض على أن أظل بعيدًا عن جميع أعمال الظلم وجميع الإساءات وخاصة العلاقات الجنسية ... سواء مع الإناث أو مع الذكور أحرارًا كانوا أم عبيد .. فإذا وفيت بهذا القسم فسيستحق لي حينئذ أن أهنأ بالحياة وفن الطب الذي شرفت بالاشتهار به بين جميع أبناء جلدتنا، وإذا خالفت هذا القسم وأقسمت كاذبًا فسيكون .....

هنا سكت رودسي مدعيًا انشغاله بفحص أحد العقاقير .. ولم يكمل ترديد القسم .. زجره الطبيب واحتد صوته: لِمَ لَم تكمل يا رودسي؟ فابتلع ريقه خجلًا: حسنًا سأكمل.

عاد الطبيب حيث توقف: وإذا خالفت هذا القسم وأقسمت كاذبًا فسيكون الموت والهلاك هو جزائي ونصيبي ...

كانت تلك هي آخر ما تفوه به الطبيب حين دلفت فتاة بأنفاس متلاحقة وصدر يعلو ويهبط ومن خلفها رجلان بدو حارسين لها .. لولا أن الملائكة لا ترى لكاد الشابين يجزمان بأنها هبطت من السماء .. لكنهما يرونها رؤيا العين .. لم تكن سوى أنثى مضاءة انفردت بجوامع الحسن والكلم التي عجزت الكلمات عن وصفها.

- ما بكِ يا أميرة مارلين لماذا تركضين هكذا؟

سألها الطبيب الأعظم، وسط ذهول الشابين بمعرفة الطبيب لتلك الملائكية التي أجابته بعينين دامعتين: أبي .... أبي في حالة إعياء شديدة ويصرخ من فرط الألم.

- هلا قلتِ لي مما يشكو عظمة الأمير أوفسكو.
- لا أعلم ... لكنه يضغط بكفيه على جانبي رأسه ويصرخ.
- ولِمَ لَم تخبري طبيب القصر؟
- طبيب القصر ذهب إلى المعركة مع الجنود لإسعاف الجرحى.
- حسنًا لا تقلقي .. سأرسل معكِ على الفور رودسي وفولويس ليسعفاه في الحال.
مد يده في دولاب الوقاية من الأبخرة والتقط زجاجة من فوق حامل الزجاجات وأعطاها لأحدهم وهو يلقي بتعليماته: لا تضعا أكثر من خمسة نقاط من هذا الدواء داخل كوب مياه صغير، وعليكم بتقليبه جيدًا قبل أن تناولاه للأمير.
كما يجب فحص الأمير جيدًا، وإذا لزم الأمر تدخلًا جراحيًا فابعثا لي من يخبرني وسآتي إليكما في الحال.
...
بعد غياب عن الوعي دام لساعة ونصف ... عاد أيمن من رحلته عبر الزمن واستفاق من غيبوبته .. فتح عينين زائغتين جاهد بهما في معرفة وجوه الملتفين حوله. كانت تقف عمته وبجانبها بسمة طفلة الأمس وطبيبة اليوم .. لم تأتِ لتأخذ عروستها لكنها جاءت لإسعاف أيمن .. لم تكن نورا في الغرفة حين التفت برأسه يمنة ويسرة باحثًا عنها: إيه اللي حصل يا عمتي؟ وفين نورا؟
- نورا اتخطفت يا حبة عيني.
- اتخطفت! أنتي أكيد بتهزري صح؟
كان أيمن نائمًا فاعتدل في نصف جلسة: عمتي ... لو سمحتي تقوليلي إيه اللي حصل بالظبط ... ونورا اتخطفت إزاي؟
- طب افرد ضهرك واستريح وأنا هحكيلك على كل حاجة.

لم يلقِ لطلبها بالًا فأكملت: أنا كنت قاعدة برا بتفرج ع المسلسل وفجأة لاقيت نورا طالعة من الأوضة تجري ووشها مخطوف.
قالتلي إنك شربت العصير وأغمى عليك وجريت على تحت عشان تجيبلك حاجة من الصيدلية.
وأنا دخلت بسرعة عشان أطمن عليك لاقيتك نايم وقاطع النفس ولاقيت شنطتها محطوطة على الكومودينو .. خدتها وجريت على البلكونة عشان أحدفهالها يمكن تحتاجها .. وأول ما لاقيتها طالعة من مدخل العمارة لمحت اتنين بيجروا ناحيتها، مسكوها وركبوها بالعافية جوا عربية سودا ومشيوا.
- آه وبعدين؟
- وقفت محتاسة مش عارفة أروح فين ولا آجي منين ... لحد ما افتكرت الدكتورة بسمة وطلعت ناديتها عشان تيجي تشوفك ... وهي الله يباركلها متأخرتش ونزلت معايا على طول.
- طب متعرفيش الاتنين اللي خطفوها كان شكلهم عامل إزاي؟
- ما أنت عارف الدنيا ضلمة تحت عند المدخل وأنا نظري على أدي .. بس هما كانوا طول بعرض كده زي البوديجاردات.
في المقابل كانت د.بسمة ترفع قلمها للتو من فوق ورقة صغيرة كتبت عليها بعض أسماء الأدوية والمهدئات ... ناولتها إلى عمته: اتفضلي يا طنط ... الروشتة دي فيها شوية أدوية وياريت تجيبيها حالًا يكون أفضل وأنا هقعد مع البشمهندس أيمن لحد ما تيجي.
- حاضر يا حبيبتي .... هجيب الدوا وآجي على طول مش هتأخر عليكي.
أمسكت بالورقة قبل أن تضع طرحتها فوق رأسها وتذهب.

اقتربت د.بسمة من الكرسي البلاستيكي المجاور لسرير أيمن ثم جلست فوقه قبل أن تضغط بسبابتها في منتصف النظارة لتعدل من وضعيتها وارتكازها: عامل إيه دلوقتي يا بشمهندس؟
- الحمد لله يا دكتور ... ومتشكر جداً على اللي عملتيه معانا.
- لا شكر على واجب .. بس هو أنت شربت إيه مع العصير؟ أنا مش فهمت حاجة من اللي طنط قالته.
- هو كان عصير مانجة ومضافله تركيبة كده لونها أحمر ... نورا عملتها عشان تخفف نسبة السكر في العصير، أصلها في صيدلة.
- طب هي فين التركيبة دي ممكن أشوفها؟
التقط حقيبة نورا من فوق الكومودينو وفتحها ثم أخرج الزجاجة: أهي يا دكتور ... هي دي التركيبة.
كانت زجاجة صغيرة نسبياً مستديرة الشكل، مطبوع عليها رسمة لثور يحمل بين قرنيه دائرة صغيرة تعلوها كلمتان بخط واضح ويضع كلمات بخط صغير ... مسحتها د. بسمة مسحاً من أقصاها إلى أدناها تتفحص ما كتب عليها قبل أن: التركيبة دي خطر أصلاً وخصوصاً على مرضى السكر ... هي إزاي تديلك منها بالبساطة دي؟
- أنتي متأكدة يا دكتور؟
- Sure .. التركيبة دي اسمها Elixiro κόκκινο باليوناني .....
ومعناها بالعربي الإكسير الأحمر.
- قصدك إكسير الحياة؟
- لأ الإكسير الأحمر حاجة وإكسير الحياة حاجة تانية ... الإكسير الأحمر ده أو التركيبة دي غير مصرح بيها دولياً، ومفيش دولة بتصنعها غير اليونان وفي الدرا كمان ... تحت السلم.

- ليه يا دكتور؟!
- لأن التركيبة دي ليها أعراض جانبية كتيرو ... يعني ضررها أكتر من نفعها، ده غير إن التركيبة حيرت علماء كتير على رأسهم جابر ابن حيان أبو الكيميا.
- مش فاهم بردو!
- هفهمك .. ببساطة كده الإكسير ده اتطور على مر العصور ومر بمراحل كتير ... كل عصر وليه اعتقاد مختلف عن الإكسير ده ... تسمع عن قوم عاد؟
- أكيد طبعاً.
- تعرف ربنا ابتلاهم بإيه؟
- ريح صرصر عاتية.
- بالظبط كده ... ربنا خلاهم كأعجاز نخل خاوية، بمعنى إن اللي العذاب اللي اتعاقبوا بيه كان في عظامهم .. مش في أي جزء تاني في جسمهم .. هفهمك أكتر. قوم عاد كانوا بياخدوا جرعات من الإكسير الأحمر ده وكان مخلوط بنسبة دهب عالية، ولك أن تتخيل تفاعل الدهب مع الكالسيوم اللي موجود في العضم، كان بيدي الواحد قوة وصلابة أكتر فكانوا بيعيشوا فترات كبيرة.
اتحدوا ربنا وكان جزاؤهم في الآخر إنهم بقوا زي أعجاز النخل الخاوية .. ده بالنسبة لقوم عاد .. نيجي بقى للرومان واليونان ... كان ليهم رأي تاني خالص وهو إن كل إنسان ليه جرعة معينة من الإكسير ده على حسب جسمه، وده اللي كان بيحدده الطبيب ... أنت وزنك كام؟
- أنا !! ٦٥ كيلو.
- يبقى المفروض الجرعة المناسبة ليك ٦٥ ملليجرام .... وبعدها بتبقى سوري في الكلمة زي الطور، كأنك واخد حباية من إياهم.

- طب لو قل أو زاد عن كده؟
- هنا بقى المشكلة .. لو أخدت جرعة أقل من الحد الطبيعي بيجيلك والعياذ بالله كانسر في العضم ... وعلاجه سهل جدًا بس لو اكتشفوا المرض في بدايته .. يعني لو أخدت مثلًا ٣٠ ملليجرام الصبح وجالك كانسر .. تاخد ٣٥ ملليجرام بالليل وتخف منه، لأنك هتبقى وصلت للحد الطبيعي اللي بيظبط الدنيا عندك ... أما بقى لو أخدت جرعة زيادة عن الحد الطبيعي مش تخاف لأنه بيفقدك الوعي بس مش أكتر. نيجى بقى للناحية العلمية ....
الإكسير ده بيتكون من Three elements رئيسية ... أولهم السكروز، عشان كده قولتلك إنه غلط على مرضى السكر أصلًا، تاني element هو السيروتونين اللي هو هرمون السعادة والرغبة الجنسية .... وده طبعًا موجود بنسب ضئيلة في جسم الإنسان ... أخدت بالك من الطور المرسوم على الإزازة؟
هرب بعينيه إلى الزجاجة التي ما تزال في يدها: آه فعلًا مرسوم ع الإزازة أهو ... بس إيه علاقته؟
- علاقته إن هرمون السيروتونين اللي في التركيبة دي بياخدوه من الغدد الصنوبرية اللي موجودة في التيران .... لأنها من أكتر الحيوانات اللي بتفرز الهرمون ده.
نيجي بقى للعنصر التالت، الميلاتونين والتاورين وده أهم ما في الموضوع ... دي أحماض آمينية موجودة بردو في جسم الإنسان وتحديدًا في العضلات والدماغ وليها عدة وظايف بيولوجية .. ولو زادت في الجسم زي اللي حصل معاك كده .. بيؤدى إلى laxity في العضلات و disturbance في الدماغ ونتيجته إنه بيفقدك

للوعي تمامًا في الحال ما يقرب من ساعة، وعلى فكرة مكونات التركيبة دي قريبة جدًا من مكونات مشروب الريد بول لكن بنسب مختلفة طبعًا.

- أنا لحد دلوقتي معرفتلوش ولا ميزة ..... ونورا إيه اللي يخليها تعمل كده؟

- هو فاضل حاجة واحدة لسه مش قولتهالك ... ومش عارفة إذا كانت ميزة ولا مش ميزة.

- إيه هي؟

- نسبة Anesthesia الموجودة في التركيبة اللي بتطمس العقل الواعي وبتخلي العقل اللاواعي يشتغل أكتر من حوالي خمسين سنة كانت الحكومة اليونانية بتدي جرعات ضئيلة من الإكسير ده للمقبوض عليهم والمتهمين عشان يعترفوا بالحقيقة، حاجة كده زى التنويم المغناطيسي وجهاز كشف الكدب ... وفعلًا الموضوع ده نجح بنسبة كبيرة وقدروا يعرفوا مين اللي بيكدب ومين اللي بيقول الحقيقة، بس لغوا الموضوع ده بعد ما اكتشفوا إن اللي بيشربوا من الإكسير ده جرعات قليلة بيجيلهم كانسر ... وده اللي يخليني أسأل نفس السؤال ... هي ليه عملت كده إلا إذا كانت عايزاك تعترف بحاجة أنت مخبيها عليها.

- أنا فعلًا كنت مخبي عليها موضوع خطير وكنت ناوي أصارحها بكل حاجة ... لولا إنها في ضيقة كان هيبقالي معاها موقف.

- صحيح ناوي تعمل إيه في موضوع خطفها ده؟

- هروح أعمل بلاغ في القسم.

(23)

في تلك اللحظة دلفت عمته داخل الغرفة: الدوا أهو يا دكتورة بسمة .. شوفيه كده مظبوط ولا في حاجة ناقصة.
وضعت الحقيبة البلاستيكية أمام د.بسمة لتفحص محتوايتها قبل أن يسألها أيمن: إيه اللي أخرك كده يا عمتي؟ قلقتيني عليكي.
- أبدًا يا حبيبي أصل الفلوس اللي معايا مكفتش فروحت البيت عند عمك وحيد كملتها ورجعت الصيدلية جبت الدوا وجيت، وعمك وحيد تعبان هو راخر عشان كده مقدرش يجيلك.
- ربنا يشفيه، مكانش لازم تتعبي نفسك يا عمتي أنا بقيت كويس خلاص.
- لا تعب ولا حاجة صحتك بالدنيا، هروح بقى أعمل حاجة تاكلها.
- لأ متعمليش حاجة وبعدين ما أنتي عارفه إن أنا مبتعشاش.
نهضت د.بسمة بعدما كتبت عدد الجرعات ومواعيدها على علب الدواء: طب هستأذن أنا بقى، زمان ماما قلقت عليا، لو حصل أي حاجة لا قدر الله أنا موجودة في أي وقت.
- ماشي يا حبيبتي مع ألف سلامة .... وابقي سلميلي على ماما وقوليلها إني هاجي أقعد معاها شوية بكرا عشان أعيد عليها.
- Ok يا طنط تنوري ... عن إذنكوا.

أوصلتها عمته إلى الخارج بدعوات لم ترفع لها أكف الضراعة: ربنا يسعدك ويسترك دنيا وآخرة ويرزقك بابن الحلال اللي يسترك ويهنئك وأشوفك بالفستان الأبيض عن قريب إن شاء الله.

ثم عادت إلى الداخل فوجدته يفتح دولابه ويقوم بتغيير ملابسه، أحضرت له زجاجة مياه قبل أن تخرج قرصين من علبتين مختلفتين وتناوله إياهم: سمِّ الله يا حبيبي قبل ما تاخد الدوا ... قال أيمن البسملة بصوت خفيض قبل أن يبتلع القرصين.

- بالشفا إن شاء الله .... الله أكبر عليها الدكتورة بسمة .. شاطرة ومدردحة وجميلة ... بدر في تمامه ... ولا أنت رأيك إيه؟

- آه فعلًا معاكي حق يا عمتي.

- يا رب تكون من قسمتك ونصيبك.

- وده وقته يا عمتي .. مش لما نشوف المسكينة اللي اتخطفت دي راحت فين ونطمن عليها .... أنا نازل أعمل بلاغ في القسم وهاجي على طول.

...

الشيخ حسام .. هكذا أصبح يناديه أصدقاؤه وجيرانه بعدما أعفى لحيته وارتدى الجلباب القصير وأصبح من رواد المساجد بل ومن عمارها، هكذا تحولت حياته من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين .. بعد أكثر من صلاة استخارة قرر أن يفاتح والدته برغبته في الزواج من رقية ابنة الإمام التي ما زالت صورتها تعانق مخيلته منذ أن رآها.

بعد أداء صلاة العشاء بدون تراويح في آخر أيام الشهر الكريم اتجه حسام إلى منزله وهو يحمل علبتين بداخلهما صنفين من مخبوزات عيد الفطر ... الكعك والبسكويت.

في المنزل تجلس والدته أمام التلفاز تشاهد أحد المسلسلات ... جلس حسام بجوارها بعدما ألقى السلام ووضع ما بحوزته فوق منضدة صغيرة تتوسط الصالة.

- إيه ده يا حبيبي جايبلنا جاتوه ولا إيه؟ ده أنت عمرك ما عملتها.

- لأ يا أمي ده كعك وبسكويت.

- ليه بس يا ابني؟ احنا مش لسه عاملين من يومين .. جبت تاني ليه؟

- ده مش لينا احنا يا أمي.

- أومال لمين؟

- أنا نويت بإذن الله أكمل نص ديني وأتجوز .... استخرت المولى واستقريت على واحدة بنت حلال من الغربية.

- وملقتش غير الغربية يا ابني ما البنات هنا أكتر من السمك في البحر.

- يا أمي الجواز ده قسمة ونصيب .. وأنا نصيبي جه في الغربية.

- خلاص يا حبيبي اللي يريحك .. ناوي تروح تطلب إيدها امتى؟

- بعد بكرا بإذن الله .. وربنا يقدم اللي فيه الخير.

- بعد بكرا وجايب الجاتوه من دلوقتي؟

- ما أنا خوفت المحلات تبقى قافلة في العيد.

- المهم تطلع بنت حلال وتصونك.

- إن شاء الله ... بعد إذنك يا أمي أنا داخل أوضتي.

- اتفضل يا حبيبي.

هلعت والدته من طرقات قوية على باب المنزل بينما عاد حسام من على مشارف غرفته واتجه نحو الباب الذي كاد أن ينكسر.

مد خطواته قبل أن يفتح الباب ليجد أمامه نقيب واثنين من أمناء الشرطة وأربعة جنود من العمليات الخاصة ورجل بزي مدني ... بابتسامة سخرية أردف النقيب: كمان أنت اللي فاتح الباب بنفسك .. ده أنت سهلت علينا المشوار يا حسام، ولا تحب أقول يا شيخ حسام.

ابتلع حسام ريقه خوفًا قبل أن: خير يا باشا! هو إيه اللي حصل؟

كانت البرتيتة قد انتشرت داخل المنزل بعدما أمرهم بتفتيشه.

لحظات وتجمعوا أمامه: ملقيناش حاجة سعادتك .... أمرهم بأن يسوقوه إلى أسفل لضيافته في عربة الشرطة، ومنها إلى قسم الشرطة بعد تكبيله.

لم يقتصر دور والدته على اللطم والعويل فحسب .. بل جاهدت في استعطافهم والتحايل على كبيرهم لتركه وشأنه .... لكن ما فائدة الصفر حين يوضع على اليسار ... لم يلقوا لها بالًا وقادوه إلى أسفل قبل أن يتم شحنه داخل العربة بدون مقاومة تذكر.

على الجانب الآخر للطريق كانت تقف سيارة BMW يجلس بداخلها رجل في أواخر العقد الخامس من عمره يبدو عليه الوقار .. كان يرتدي بدلة كحلية اللون وقميصًا أبيض بدون رابطة عنق بالإضافة إلى نظارة سوداء رغم عتمة الليل. تحرك بسيارته خلف سيارة الشرطة التي توقفت أمام قسم شرطة المعادي.

وقف حسام في الغرفة ذاتها ... غرفة الضابط صلاح عبد التواب التي زارها من قبل .... كان يقف منكس الرأس محاولًا تفادي نظرات الضابط الذي لم يتذكره بسبب لحيته حتى اللحظة.

- ليه كده يا شيخ حسام .. ما أنت كنت ماشي كويس!!

- مش فاهم حضرتك تقصد إيه؟

أطال الضابط النظر إلى حسام قبل أن يفتح ملفًا أمامه ويقرأ اسمه: حسام علاء رشيد.
- مش أنته ياله بتاع خلصانة ومعاها حصانة ...!!
ازدرد حسام ريقه ولم يعقب .. فأكمل الضابط: أنت مش كنت famous يالا؟ إيه اللي شألب حالك؟
- ربنا هداني .. ممكن أعرف بقى أنا مقبوض عليا بتهمة إيه؟
- والله يا شيخ حسام أنت مقبوض عليك في تشكيلة قواضي لوز أقلها خمسة وعشرين سنة سجن.
مرت أمام حسام ومضات سريعة لبعض الأحداث الماضية لأيام (الشقاوة والكحرتة) فلم يجد سوى جرائم لا تتعدى الأسبوعين وثلاثة وثلاثين جنيهًا غرامة.
- تشكيلة قواضي! اللي هما إيه حضرتك؟
- الشروع في قتل أمين شرطة، وإتلاف المنشآت والممتلكات العامة، وحرق دبابة ومدرعتين، والانضمام لجماعة إرهابية.
- قصدك جماعة الإخوان؟ أهي دي محدش هيصدقها .. سيادتك عارف إنهم يا هروب يا سجون يا قبور.
- مش الإخوان ... داعش يا روح أمك.
- اللهم صلِّ ع النبي .. بقى أنا عملت الجرايم دي كلها لوحدي؟
- احنا هنتبلى عليك يعني يا روح أمك؟
قالها بحدة وصوت مرتفع أرهب حسام: العفو يا باشا ... بس أنا معملتش حاجة سعادتك.
- ما تحورش عليا يالا .. أومال بتروح تقعد مع الشيخ عبد الحفيظ وجماعته بالساعات ليه؟

- يا صلاح باشا احنا جماعة بنخرج في سبيل الله ومن عمار المساجد وملناش أي علاقة بالسياسة ولا التنظيمات الدينية.
- أنا هوجع دماغي معاك ليه؟ ما الأدلة جاهزة والقضية متأيفة وعلى مقاسك.
قالها قبل أن يضغط على زر بجواره .. ثانيتان ودلف جندي قبل أن يرفع يده بالتحية العسكرية، فأمره الضابط باصطحاب حسام إلى غرفة الحبس مع السجناء الجنائيين وليس السياسيين.
في الخارج كانت ما تزال تقف السيارة BMW التي تتبعت عربة الشرطة .... تدلى الشخص الذي كان يجلس بداخلها واتجه نحو سائق عربة الشرطة الذي التقط منه سيجارة أجنبية الصنع في امتنان: يدوم أول دور.
ابتسم له الرجل بعدما فطن بما تفوه به سائق عربة الشرطة فناوله علبة السجائر.
- من يد ما نعدمها .... أؤمر يا باشا؟
- الشباب اللي كانوا في العربية من شوية.
- مالهم يا باشا؟
- تهمتهم إيه؟
- علمي علمك يا باشا، بس باين سياسيين لأن معظمهم بدقون.
- أمممممم .... طب وإيه اللي هيتم معاهم؟
- هياخدوا أربع تيام بعد ما يتعرضوا ع النيابة.
- وبعدين؟
- على الأرجح بياخدوا تجديد في تجديد .... الواحد منهم يفضل محبوس على ذمة القضية ويا إما يتحاكم يا إما يخرج بكفالة ويفضل تحت المراقبة ... بس سعادتك بتسأل ليه؟

- لأ أبدًا ... أصل في واحد تبعي من ضمن الناس اللي كانت في العربية.

عاد الرجل إلى سيارته واستقلها ثم أمسك هاتفه بإحدى يديه وبالأخرى أمسك عجلة القيادة بعدما أدار المحرك وانطلق. بحث وتجول بين الأسماء حتى عثر على ضالته (أبو العزم المحامي)، ضغط زر الاتصال وانتظر: ألو .. أبو العزم باشا أخبارك؟ ... والله الشغل والمجلس واخدين كل وقتي.

بقولك صحيح كنت عايز منك خدمة، تسلم عينك بس كنت عايزك تسقط كده على قسم المعادي وتسأل على واحد يخصني اتقبض عليه .. اسمه حسام علاء رشيد .. آه ابن المرة الأولانية وياريت تلحقه قبل ما ياخدوا معاه أي إجراء قانوني، ولو عرفت تخلصلنا الحكاية بكفالة أو أي طريقة يكون أحسن وميهمكش أي فلوس .. مع ألف سلامة وأنا هبقى أتابع معاك بالتليفون ... مع السلامة.

أنهى مكالمته في اللحظة التي أبطل فيها محرك السيارة عندما وصل على مشارف منطقة المجمع!!

(24)

كان أيمن في طريقه إلى قسم الشرطة حين تلقى اتصالاً هاتفيًا من عادل التلاوي: بلاش تبلغ البوليس ... نورا عندي في الحفظ والصون.

- أنت اللي خطفتها؟ معقولة!

- هي مش مخطوفة ولا حاجة ... كل الحكاية إنها هتآنسنا شوية لحد ما تنفذ اللي هطلبه منك.

- اللي هو؟

- الأرض مقابل السلام .. يعني تديني التمثال أديلك نورا وفوقيها بوسة.

- ولو رفضت؟

- مش محتاجة سؤال ... هنقرا الفاتحة عليها بكرا سوا.

- وأنت عرفت منين موضوع التمثال ده أصلًا؟

- أنا ليا عيون في كل مكان وإلا مكنتش عرفت إنك رايح دلوقتي تبلغ في القسم.

- أنا موافق ... بس أضمن منين إنك مش هتغدر بيا.

- من غير ضمانات ... أنا كلمتي زي السيف .. تيجي بكرا الصبح الساعة ١٠ ومعاك التمثال ... هستناك في الڤيلا بتاعتي والعنوان هتلاقيه عندك في الكارت.

- ممكن أعرف سعادتك مهتم أوي بالتمثال ده ليه؟
- لو قولتلك مش هتصدق.
- لأ هصدق يا عادل باشا.
- سمعت عن أزمة الاقتصاد اليونانية اللي حصلت؟
- آه ... اشمعنى؟
- لعنة حلت ع البلد ومش هتتحل إلا لما التمثال يوصل اليونان ... ببساطة كده التمثال ده معمول من الدهب المشع يعني بيعادل منجم دهب بحاله وأنت سيد العارفين إن الدولة من غير دهب زي الراجل من غير عصب .. أنا عارف إنك مش هتقتنع بس هي دي الحقيقة.
- مصدقك يا عادل باشا وبكرا هيكون التمثال عندك.
أغلق أيمن هاتفه وأكمل في السير باتجاه القسم ... شعر بأحد يتتبعه فانحرف إلى شارع جانبي قبل أن يقف أمام كشك صغير ويبتاع علبة سجائر وهو لا يدخن من الأساس، سلك بعدها طرق وشوارع عدة فلم يستطع الهروب ممن يراقبه.
دلف إلى مقهى مزدحم إلى حد ما ثم اتجه مباشرة إلى مبولة صغيرة محجوبة بستار مهترئ في ركن بعيد داخل المقهى. وقف خلف الستار يترقب الشخص الذي يتتبعه .... كان يبحث عن أيمن بعينيه يمنة ويسرة حتى مسح أرجاء المقهى.
أخرج هاتفه وأجرى اتصالاً قبل أن يغادر المقهى من الباب الآخر لعله يجد أيمن الذي خرج من الباب الذي استقبله حين دخل المقهى.
نجح أيمن في إجهاض عملية التجسس، مشى بخطوات واسعة حتى دلف قسم الشرطة ولم يحالفه الحظ في تحرير بلاغ عن

اختطافها .. فحين سئل عن الاسم الثلاثي للمختطفة لم يتذكره.
أخرج هاتفه واتصل بعمته: ألو ... بقولك يا عمتي افتحي شنطة نورا كده ودوري جواها عن بطاقتها أو أي إثبات شخصية وملينيي الاسم بالكامل .. ها يا عمتي لاقيتي حاجة؟
ماشى دوري كويس بس بسرعة، أنتي متأكدة يا عمتي؟ ماشي يا عمتي سلام .. هتروحي البيت عند عم وحيد .... ماشي ابقي سلميلي عليه ... سلام.
خرج أيمن من قسم الشرطة بخف حنين .... مشى بقدمين لم تقويا على حمله حتى بات على مقربة من الكوخ .. كوخ (معتمد عبدالدايم) زيارة أسبوعية اعتاد عليها أيمن منذ أن عرفه .... بات في منزلة والده .. يجلس معه بالساعات ويحكي.
يحكى عن تفاصيل حياته وخباياه، ما يسعده وما يحزنه ... ما يخشاه وما يتمناه، ما يطمئنه وما يقلقه، ما يحبه وما يبغضه حتى أثقلت كاهله تلك الأحداث الأخيرة فلم يجرؤ على البوح بها لأحد، يصمت ويصمت فيظنونه حفيدًا لأبو الهول ... تداهمه دومًا حياته البائسة وما حملته من أسى، اليتم رغم وجود من يعوله ويرعاه، الضنك بالرغم من حصوله على بكالوريوس في هندسة القوى الكهربية .... حتى من أحبها وعشقها اتضح له أنها شقيقته في النهاية.
لم ينتبه من شروده إلا حين أضاءت سيارة BMW كشافها الأمامي في وجهه .. كانت السيارة على بعد أمتار من الكوخ.
يجلس داخلها شخص في أواخر العقد الخامس من عمره: تعال يا أيمن ... تعال.

بعينين ضيقة اقترب أيمن ليتبين الجالس أمام عجلة القيادة: نعم ... مين حضرتك؟
ترجل من سيارته قبل أن يقف أمام أيمن وجهًا لوجه داخل بقعة مضيئة صنعها كشافا السيارة الأماميان: أنا علاء رشيد.
بتعجب سأله أيمن: مش حضرتك حسين الرشيدي نائب دايرتنا؟!
- حسين الرشيدي ده الاسم الحركي .. إنما الحقيقي علاء رشيد.
- خير يا علاء باشا؟
- خير .. بس مينفعش نتكلم هنا .. أنا عازمك على كوباية شاي في مكتبي.
- نتكلم! ... نتكلم في إيه؟
- في حاجات كتير ... يالا تعال اركب.
لم يعارض أيمن .. ألقى نظرة سريعة إلى الكوخ قبل أن يستقلا السيارة ثم أدار محرك السيارة قبل أن ينطلق بها باتجاه مكتبه الذي يبعد قرابة الخمس كيلو مترات من حيث انطلقا.
...
بعد دقائق توقفت السيارة بميدان الشهداء .... نزلا منها وتقدمه علاء بخطوات واسعة. دلفا لعقار كسته لافتات لأطباء ومحامين ومحاسبين ... نقلهما أسانسير يعمل بكارت تحكم إلى الطابق الثاني ... أمام باب مكتبه كان في استقبالهما أحد أفراد الأمن فتنحى جانبًا ليفسح لهما الطريق.
في الداخل توجه إلى غرفة مكتبه وتبعه أيمن. فتح بابها قبل أن يضغط على مفتاح الإضاءة ... خلع بدلته وألقاها فوق كرسيه ثم التقط جهاز تحكم صغيرًا وضغط على زر تشغيل التكييف قبل أن يجلس فوق كرسيه الجلدي ذي العجلات الثلاث.

- اقعد يا أيمن ... واقف مكانك ليه؟
كان أيمن ملتزمًا الصمت طيلة الطريق، لم يسأله عن شيء ولم يدفعه فضوله لمعرفة ما يريده سيادة النائب ... اقترب ثم جلس:
خير يا علاء بيه؟
- تشرب إيه الأول؟
قالها وهو يضغط على زر صغير بجانبه.
لحظات ودخلت سكرتيرة في منتصف عقدها الثاني، أشبه بباربي يقف لها نبض قلبك وأشياء أخرى ....
- في حد جه أو اتصل يا نوال؟
- محدش جه، بس كريم أبو الفتوح اتصل بحضرتك، بيقول معاد المقابلة الجاية امتى؟
- قوليله بعد بكرا في لاتينو الساعة تسعة بالليل.
- ok ... حضرتك تؤمر بحاجة تانية؟
- آه ... ابعتيلنا اتنين شاي ومتدخليش أي حد مهما كان.
أومأت إيجابًا قبل أن تنسحب وتترك رائحة عطرها النفاذة.
- تعرف إن أنا وأبوك كنا صحاب ... زيك أنت وحسام كده.
لم يتفاجأ أيمن بجملته الأولى لكن فاجأته الثانية: هو سعادتك تعرف حسام كمان!
ثوان وتذكر أيمن الاسم الثلاثي لصديق العمر .. منذ أمد لم يلفظ ذلك الاسم.
- هو حضرتك تبقاا
- أبقى أبوه ... بس الموضوع ده بيني وبينك ... ميطلعش برا.
- زي ما تحب ... ممكن أعرف بقى إيه اللي فكرك دلوقتي بيا وبوالدي.

- أبوك الله يرحمه مات ظلم، خد إعدام في جريمة ما ارتكبهاش.
- الله يرحمه ... وينتقم من اللي عمل فيه كده.
- تعرفه؟
- لأ.
- ولو عرفته؟
- هشقه أربع تربع.
- مجاش في دماغك إنه ممكن يكون عادل التلاوي.
- أكيد جه في دماغي ... بس مفيش دليل.
نصف ساعة حكى له علاء ما حدث معه ومع والده منذ لقائهما الأول مع عادل التلاوي حتى لقاء والده مع الأخير بمفرده داخل مكتبه ... وتهديده لوالده بتحويل حياته إلى جحيم.
- وطبعًا بعد كده بعت حد عشان يقتل سماح وهي مع أبويا في الشقة ... سأله أيمن.
- بالظبط كده وممكن تكون سماح كانت متفقة معاه على حاجة تاني وهو غدر بيها.
- حاجة تاني إزاي يعني؟
- تجاريه مثلًا لحد ما ينام معاها أو تشربه أي حاجة وتدور هي ع التمثال براحتها واخد بالك معايا. أصل عادل التلاوي ده سفاردي ابن آحبة.
- ها وبعدين إيه اللي حصل بعد كده؟
- قبضوا على أبوك والتهمة لبسته ... طلب شهادتي في المحكمة أنا والحاجة روحيه اللي كانت ساكنة قصاده وواحد تاني اسمه أبو كريم .. وطبعا القاضي مش بيقبل شهادة اللي عندهم ربع ضارب، وأبو كريم اختفى، فص ملح وداب.

متبقاش ساعتها شهود غيري في القضيه .. قلت كل اللي أعرفه وقلت مستحيل فتحي صاحبي يعمل كده .. وزي ما أنت عارف القاضي بيحكم بالورق اللي قدامه وأبوك مكانش معاه أي دليل يثبت براءته.

- يعني عادل التلاوي كان هو السبب في موت أبويا ودلوقتي بيقايضني عشان التمثال .. ومش بعيد يكرر نفس السيناريو ده معايا.

- نصيحة مني ... لازم تتغدى بيه قبل ما يتعشى بيك.

بتر حديثهما نغمة الهاتف الشخصي لعلاء رشيد. أطال النظر إلى شاشة الهاتف قبل أن يضغط زر الاستجابة: مساء الخير يا مصطفى بيه كل سنة وأنت طيب، والله كان عندى حالة وفاة .. وده اللي منعني من حضور جلسة امبارح .. حياتك الباقية.

معلش اعذرني يا مصطفى بيه، أنا سبق وقلت لسعادتك إني مش هنضم لأي حزب في المجلس، كفاية اللي حصل معانا بعد الثورة ... خلاص معنديش مانع نتقابل بكرا بعد صلاة العيد ويا تقنعني يا أنا أقنع سعادتك ... سلام يا مصطفى بيه.

- هو حضرتك كنت عضو في الحزب الوطني؟ ... سأله أيمن.

- سنة واحدة ... وبعدها قامت الثورة بسلامتها.

- هو سعادتك وصلت للي أنت فيه ده إزاي؟

- آه ما أنا لسه مكملتلكش ... بعد ما أبوك الله يرحمه اتنفذ فيه حكم الإعدام أبو كريم ظهر وطلب يقابلني ... روحت أشوفه عايز إيه لاقيته محضر مفاجأة .... أبوك كان مديله تمثال نسخة طبق الأصل من التمثال الحقيقي.

أنا كنت عارف بموضوع التمثال المزيف ده بس مجاش في بالي إن أبوك إداه لأبو كريم، المهم أبو كريم قال أنا ناوي أبيع التمثال المزيف ده لعادل التلاوي .. مكنتش مصدقه في الأول أصله كان شغال معاه في الأثار ... كان عادل التلاوي بيجيبه في أي صفقة أثار عشان يشوفله التمثال أصلي ولا لأ ... المهم قال أنا هديلك التمثال ده وتروح تقول لعادل التلاوي إنك لاقيت التمثال اللي بيدور عليه وطبعًا هيجيب أبو كريم عشان يعاين التمثال وأبو كريم هيقوله التمثال سليم.

وفعلًا نصبنا عليه وبعناله التمثال بمليون جنيه وقسمناهم سوا ... بعدها بشهرين عادل التلاوي سافر اليونان عشان يبيع التمثال ... وطبعًا رجع أفاه يقمر عيش وحالف ينتقم مني ومن أبو كريم ... أنا غيرت اسمي وهويتي واختفيت فترة فمقدرش يلاقيني.

إنما أبو كريم طلع غشيم ومعرفش يختفي زيي ... عادل التلاوي خلص عليه برصاصتين وساب جانب جثته ورقة مكتوب عليها لكل جواد كبوة ولكل خاين لبوة ولا معرفش لهوة .. عشان الحكومة تقول إن سفاحة حلوان هي اللي قتلته .. بالمناسبة صحيح، كريم أبو الفتوح اللي هقابله بكرا في لاتينو يبقى ابن أبو كريم وكان عايز ينتقم لأبوه .. قابلته من كام يوم واداني دوسيه يودي عادل التلاوي سجن العقرب.

قالها قبل أن يفتح درج مكتبه ويخرج بلانشيتا تحوي بداخلها ملفًا. وضعه أمام أيمن الذي سأله: وقدرت تنسى صاحبك وتحط إيدك في إيد اللي كان سبب في إعدامه؟

- في مثل بيقول اللي يحتاجه البيت يحرم ع الجامع، وأنا ساعتها كنت يا مولاي كما خلقتني وبعدين أنا محطتش إيدي في إيده ولا حاجة ... أنا نصبت عليه وأكلته الأونطة.
- وهو سابك بالسهولة دي؟
- تعرف إن أنا اتحبست ٣ سنين في طره؟
- سمعت.
- أهو أنا اتحبست بسبب عادل التلاوي ... وز عليا ناس في المينا مسكوا شحنة قطع الغيار وأخدت فيها ٣ سنين .. زي ما أنت عايز تنتقم منه أنا كمان عايز أشفي غليلي وآخد بتاري.
- وناوي تاخد بتارك إزاي؟
- دى مهمتك أنت يا بطل ... معاك التمثال وهديلك الدوسيه اللي معايا كمان.
- طب ليه مسلمتش الدوسيه للحكومة .. مش قلت إن اللي فيه يودي عادل التلاوي في داهية؟!
- معاك حق بس هو ممكن يطعن بالتزوير والحكاية دي ممكن تقعد سنين في المحاكم.
- طب وأنت عايزني أعمل معاه إيه؟
- ممكن تيجي تقف جانبي.
- اشمعنى؟!
- تعال بس وهتفهم.

وقف أيمن واقترب منه حتى أصبح على بعد شبرين. أمسك علاء رشيد هاتفه المحمول والتقط صورتين (سيلفي) بكاميرا الهاتف الأمامية قبل أن يوضح: عادل التلاوي عنده شقة في عمارة

الصفوة جانب مستشفى النيل البدراوي ... بقاله زمن مش بيروح الشقة دي بس أنا هخليه يروحها بعد بكرا الساعة تسعة بالليل.
- هتخليه يروح إزاي؟
- دي مهمتي أنا، المهم الشقة في الدور السابع وهتلاقي يافطة صغيرة على بابها مكتوب عليها اسمه .... أنت هتبقى هناك ع الساعة سابعة بالليل وهتتنكر في لبس واحد من بتوع الدليفري وتطلع العمارة.
أخرج من درج مكتبه سلسلة مفاتيح وقداحة تعمل بغاز البيوتان قبل أن يكمل: هتجرب المفاتيح دي واحد واحد والمفتاح اللي هتلاقيه دخل في كالون الباب لحد الآخر تصدر عليه لهب الولاعة الچيت لايترز دي لمدة دقيقة وهتلاقي الباب اتفتح معاك على طول ... هتدخل تستناه جوا الشقة لحد ما يجي.
- وبعدين؟
- تشقه أربع تربع زي ما قلت ... ومتخافش أنا هبقى على اتصال بيك ولو حسيت بأي خطر متنفذش العملية.
- أيوه ... بس هقتله إزاي؟! أنا عايز أنتقم وفي نفس الوقت مخودش فيه يوم سجن.
- أنت راجل مهندس ودماغك توزن بلد، فكرله في موتة كلاسيك تليق بمقامه واوعى يصعب عليك ... اللي يصعب عليك يفقرك.
التقط أيمن سلسلة المفاتيح والقداحة والملف ثم فتحه وألقى نظرة إلى ما بداخله قبل أن يغلقه ويرحل.

(25)

داخل العوامة المهجورة التي شهدت لقاء أيمن الأول مع النيل ومحاولاته الثلاث الفاشلة لصيد الأسماك ... كان يجلس رجلان أحدهما أسمر البشرة ضخم البنية، والآخر ممشوق القوام، حليق الرأس، يشوه الشق الأيسر لوجهه حرق قديم من أثر حمض نيتريك (ماء نار) أُلقي عليه أثناء مشاجرة حدثت منذ أعوام، لم ينسَ فاعلها يومًا ولن يغفر له، ينتظر وينتظر حتى تسنح الفرصة ليأخذ بثأره.

أخرج صاحب الوجه المشوه دفتر بفرة زجزاج وليس أوتومان من جيبه ثم سحب ورقة وفردها أمامه قبل أن يلتقط سيجارة دانهيل ويفرك تبغها فوق الورقة .. أمسك نبتة قنب هندي (بانجو) قبل أن يسلخ براعمها الجافة فوق ورقة البفرة. وضع فلتر صغير على أحد طرفي الورقه قبل أن يرفعها إلى فمه ويبلل طرفها طوليًا بلسانه ويلفها برفق. مد يده بها إلى الجالس بجواره فنظر إليها باستحقار: إيه النيخرة دي؟ ارمي ارمي.

- أرمي إيه؟! هي محشية رز! ده دانهيل.

- صفر ع الشمال ...

قالها قبل أن يدس يده في جيبه ويخرج أنبوبة بلاستيكية حمراء اللون ... ألقاها قبل أن يضيف: اشعل الكوبي ده.

تلقفها بابتسامة وتأملها لثوان ثم نزع الغطاء البلاستيكي قبل أن يخرج السيجار ويمرره على أنفه: اسمه إيه الكوبي ده يا چنرال؟
- غوركا بلاك.
- ودي فأطها من مين يا چنرال؟
- هو شرب ولا بحلقة؟
- على رأيك ....
تمتم بها ثم أشعل السيجار وسحب نفسًا إلى صدره قبل أن يطلق دخانه في الهواء: سيجارة جحيييييم.
- تخيل الكوبي دي عاملة كام؟
- كام؟
- ١٥٠٠ بيزو كوبي.
- بيزو كوبي!
- آه ما هي دي العملة بتاعة كوبا .... أصل السجاير الكوبي دي مبتتعملش غير هناك.
- هي دي الناس اللي بتقدر الكيف مش احنا ... آخرنا كليوباترا بلاك.
هنا قام صاحب البشرة السمراء من مجلسه حين ضاقت مثانته بحملها: هنزل أدي جدر ميه وأجيلك .... ألقى جملته قبل أن يهبط درجات السلم المؤدي إلى الطابق السفلي للعوامة .. دلف إحدى الغرف الصغيرة ولم يغلق بابها.
فك حزامه وقبل أن يفرج عن أشيائه سمع صوتًا لأقدام تقترب .. التفت خلفه ومشى ثلاث خطوات قبل أن يقف عند باب الغرفة الحديدي. ألقى نظرة سريعة خارج الغرفة وأنصت فلم يستمع إلا السكون. أدار جسده وعاد إلى ما كان عليه قبل أن ينتفض حين

سمع الباب يصفع بقوة. شخص في الخارج أغلقه ثم قام بوضع عارضة حديدية ... لم يكن ذلك الشخص سوى صاحب الوجه المشوه الذي كان يجلس معه منذ لحظات.

هرع صاحب البشرة السمراء باتجاه الباب وجذبه من مقبضه فلم يستجب. كان يعلم من فعلها ويسأل نفسه: كيف غفلت عنه وآمنت له وأنا من فعلت في وجهه تلك العاهة؟

- سي يو لاتر يا جنرال ... نتقابل في جهنم سوا.

قالها من في الخارج قبل أن يصعد سبع عشرة درجة لسلم حديدي أشبه بسلم حمامات السباحة يفصله عن النيل.

كانت العوامه مائلة من الجهه الأخرى .... أما الجهة القريبة من اليابس فكانت معقودة بحبل سميك يمنعها من الغرق والغوص في مياه النيل. أخرج من جيبه مطواة (قرن غزال) قبل أن يقطع الحبل. ثوان وأعلنت العوامة عن قيام رحلتها والإبحار في أعماق النهر الخالد.

...

نصف ساعة قضاها أيمن في التفكير سيرًا بالشوارع والطرقات حتى وجد نفسه أمام كوخ معتمد عبد الدايم.

كان الباب مغلقًا ففتحه بطريقة سرية علمه إياها صاحب الكوخ. لم يكن معتمد بالداخل حين ناداه أيمن عدة مرات وهو يبحث عنه .. فاتجه إلى المركب الحديدي التي تستضيف مراسم هوايته في كل زيارة فلم يجده.

مشي حتى نهاية المركب حين لمح على بعد أمتار قاربًا صغيرًا يجلس بداخله رجل يجدف بكل ما أوتي من قوة ... أخرج أيمن

هاتفه وأضاء كشافه فلم يسعفه في معرفة من بالقارب. انتظر لحظات حتى دنا القارب من المركب الحديدي.
كان معتمد هو من يعتلي القارب ويرتمي خلفه جسد مسترخي لشخص ما .. فسأله أيمن: مين ده يا عم معتمد؟ وإيه اللي حصل؟
رمقه معتمد بنظرة متعبة حين التصق القارب بالمركب ثم أردف بأنفاس متهدجة: أيمن .. كوبس إنك جيت ... إيدك معايا نطلعه فوق ع المعدية.
ساعده أيمن على حمل ذلك الجسد الضخم ذي البشرة السمراء حتى أدخلاه الكوخ قبل أن يبدأ معتمد في نزع ملابسه.
كان أيمن يقف شاردًا في وجه ذلك المسجى على الأرض ... لم يكن لينساه ... الجنرال .. من كان سببًا في طعنه وإلزامه في الفراش لعدة أيام ... من كان سببًا في جعله هشًا وزعزع ثقته بنفسه .. من كان سببًا في جعله كريشة في مهب الرياح.
من كان سببًا في تعريته أمام من كانت تسكن قلبه .. لكنه الآن هو من يتعرى أمامه ويتجرد من ملابسه.
- اقلبه ونيمه على بطنه يا أيمن لحد ما أجيلك.
قالها قبل أن ينهض متجهًا إلى غرفه جانبية تملؤها الفوضى والكراكيب .... جلس أيمن على ركبته قبل أن يفتح فم الغريق ويدفع ذقنه لأسفل بسبابته وإبهامه .. وهو يضغط بهما على مفصل الفكين. أخذ شهيقًا واقترب برأسه قبل أن يضع فمه على فم الغريق وينفخ بقوة في اللحظة التي عاد فيها معتمد بعدما جلب قطعة جافة من القماش. اقترب منهما قبل أن يصرخ: أنت بتعمل إيه؟ مش قولتلك اقلبه على بطنه؟!

ابتعد أيمن قبل أن يجيبه: بعمله إسعافات الغرق يا عم معتمد.
- إسعافات إيه ونيلة إيه؟ ده كلام مدارس ... اوعى.
تفوه بها معتمد قبل أن يطرح الغريق على بطنه ويضع تحت رأسه منشفة صغيرة. جثا على الأرض قبل أن يباعد بين ساقي المطروح أرضًا .. ووضع قطعة القماش فوق خاتم مؤخرته قبل أن يضع إحدى قدميه عليها ويضغط بقوة.
لحظات وانسكب الماء من فم الغريق بغزارة .. عدل معتمد من جلسته ثم بدأ في تدليك ظهره وجانبي عموده الفقري ولوحي كتفه .. طلب من أيمن أن يساعده في إعادته كما كان مسجى على ظهره ففعل.
فرد معتمد ذراعي الغريق بجانب جسده وفرد ساقيه في وضع استرخاء ثم ألقى بثقله للأمام وهو يطرد الزفير ... وضع يديه فوق قفصه الصدري وبدأ يضغط بقوة. قلل ضغطه بالتدريج ثم قبض على مرفقيه وهو يرفعهما لأعلى لتوسيع القفص الصدري حتى يتثنى للهواء بأن ينساب إلى الرئتين لتتم عملية الشهيق.
- الحمد لله ... اتكتبله عمر جديد.
نطق بها معتمد حين وجده يلتقط أنفاسه ولم يفارق الحياة.
ألبساه ثيابه ثم حملاه معًا وجاهدا في رفعه ووضعه فوق سرير بدون مرتبة كان في الغرفة .. أراحاه وفردا جسده فوق السرير.
تنفس معتمد الصعداء: طول عمرك تاعبني معاك يا جنرال يا ابن الفقرية.
- أنت تعرفه يا عم معتمد؟
- إلا أعرفه .. ده الواد سيد جنرال .. أنا اللي مربيه على إيدي من أيام ما كان بيلم أزايز البيرة الفاضية في الأفراح وهو صغير، ولما

كبر مسيبتوش، أخدته يشتغل معايا في شقة الليالي الحمرا اللي كنت بديرها في التسعينيات، كنت بستعين بيه لما حد يعصلج في دفع الفيسيتا. زي ما أنت شايف الواد جرم عامل زي دلفة الباب، يرهب الشيطان.

- مش أنت لوحدك اللي تعرفه يا عم معتمد .. أنا كمان أعرفه.

- تعرفه! منين؟ ده عيل مسجل وأنت ابن ناس.

لم يجبه أيمن .. اكتفى برفع التيشيرت الذي يرتديه ليكشف عن جرح صغير على يسار سرته .. ففطن معتمد رسالته: هو اللي غزك؟

- كان معاه اتنين غيره بس هو اللي ضربني بالمطواة.

- أكيد عملتله حاجة ... الواد ده أينعم شبيح بس غلبان ومبيأذيش غير اللي بيأذيه.

- وهو أنا كنت أعرفه من الأصل؟! ما أنا حكيتلك قبل كده يا عم معتمد ع اللي حصل معايا عند النايل كانتري.

- آه حكيتلي قبل كده صحيح بس مكنتش أعرف إن الواد ده هو اللي ثبتك ... صبرك عليا بس لما يفوق هطلعلك سلسفيل أمه.

احتسيا أيمن ومعتمد كوبين من الشاي وتسامرا لدقائق .. تطرقا فيها إلى موضوعات جانبية بدون أن يقص له أيمن عن ما حدث معه في هذا اليوم المشؤوم. ذلك قبل أن يصطك السرير مصدرًا صوتًا حيث استيقظ الجنرال وحرك جسده محاولًا الاعتدال في نصف جلسة وهو يحاول استيعاب ما يراه قبل أن: عم معتمد؟!! أنت اللي أنقذتني؟

وضع معتمد كوبه فوق المنضدة وبتأني أردف: شايف الشاب اللذيذ اللي قاعد جانبي ده؟ ... كان يشير إلى أيمن الذي تفاجأ بما أضافه معتمد: هو اللي أنقذك.

ابتسم له الجنرال في امتنان مستطردًا: تشكر يا أبو الشهامة ... جميلك فوق راسي ومش هنسهولك أبدًا.

- الراجل ده ليه حق عرب عندك يا جنرال ... ألقاها معتمد الذي بدا جادًا إلى أقصى الحدود.

- حق إيه؟ رسيني يا عمونا.

- الراجل ده أنت ضربته في جانبه بالمطوة عند النايل كانتري .. وقليت قيمته قدام الناس.

- امتى الكلام ده؟

- من حوالي شهرين تلاتة.

هرب الجنرال بعينيه إلى وجه أيمن يتأمله قبل أن يرميه بسؤال: كانت الدنيا بتمطر ساعتها وكان معاك واحدة بتعرج في مشيتها صح؟

هز أيمن رأسه أن نعم: آه .... وأنت كان معاك عيلين واعترضتوا طريقنا عشان تاخدوا اللي معانا.

- السماح يا أبو الود ... أنا كنت بنفذ تعليمات الإدارة.

- تعليمات! من مين؟

- أصل البت اللي كانت معاك دي تبقى بنت عادل التلاوي، وكان مكلفني أراقبها أنا وجوز الخيل اللي كانوا معايا ساعتها، وقال لو لاقيتها مع أي شاب اتصل بيا وحاول تعطله لحد ما أجيلك .. أنا مكنتش ناوي أأذيك بس أنت اللي مديت إيدك الأول.

- بنت عادل التلاوي! أنت متأكد من اللي بتقوله ده؟!

- إلا متأكد ... حتى بالأمارة كان اسمها نورا.
تلقاها أيمن ولم يتفوه بشيء .... ألجمته الحقيقة وأخرسته عن النطق .. أبطأ الزمان من حوله وعجز اللسان عن الكلام. أصابه ذهول مختلط بعدم تصديق. أيصرخ فيه ليقول أنت كاذب ومنافق .. ولكن لماذا يكذب؟ يسأل نفسه ويجيبها في آن واحد ... ينفعل ويغلي من الداخل .. أما من الخارج فيبدو عليه الخمول من أثر الصدمة.
- ها يا بشمهندس، المسامح كريم؟ ولا تحب أرميهولك في البحر تاني.
لم يكن أيمن منتبهًا لما قاله معتمد ... كان وجهه شاحبًا وجسده ساكن كخيال مآتة .. يتخيل عادل التلاوي أمامه معلقًا في وضع أفقي فيسدد له اللكمات والضربات قبل أن يغرس سيخًا من الحديد في دبره ويشعل النار من تحته ثم يحرك الذراع ويسويه على نار هادئة كما يفعل أهل البدو في شواء الأغنام.
- الله غالب ... عن إذنك يا عم معتمد.
- رايح فين؟
لم يجبه أيمن ورحل دون أن يعره انتباها فالجرح ما زال مفتوحًا والقلب أصبح يقطر دمًا. كانت الشوارع مضيئة ومزدحمة كعادتها في تلك الليلة من كل عام .. ليلة العيد. مشى تائهًا في الطرقات كابن سبيل لا يعلم إلى أين تأخذه أقدامه.
يتذكر عشقه لنورا واللقاءات التي جمعتهما من قبل ... مداعبتها ومشاكستها، خجلها وحياءها في بعض الأحيان ... سعادتها وغضبها .. ضحكتها وتكشيرتها، لكنه سرعان ما يتذكر أنها لم تكن

إلا أكذوبة وأداة استخدمها أبوها لخداعه فيتوعد لهما بصب لعناته عليهما صبًا.

شيعته قدماه إلى منزله بعد عدة ساعات قضاها في الشارع.

أولج مفتاحه في ثقب الباب قبل أن يأتيه صوت الحاجة روحية من خلفه: إزيك يا أيمن يا ابني .. عامل إيه؟

أدار أيمن جسده فوجدها تتلقاه بابتسامة من فم خالي الأسنان وظهر أحناه الزمن وماكينة الحياكة.

- الله يسلمك يا حاجة ... إزي صحتك؟

- في النازل يا ابني من ساعة الشريط ما باظ.

- الشريط باظ!! قصدك شريط البرشام بتاعك خلص .... هاتيلي اسمه ولا علبته وأنا أجيبهولك يا أمه.

- شريط برشام إيه! ... أنا قصدي الشريط ده.

قالتها ودست يدها في صدرها .. ثم أخرجت قطعة قماش كانت معلقة في رقبتها بخيط رفيع، فتحتها وأخرجت منها أحد شرائط الكاسيت بيضاء اللون ... تلك الشرائط التي كان لها صيتًا منذ الستينيات وحتى بداية الألف الثانية، قبل أن تظهر موضة كروت الميموري والسماعات الصب وال(MB3)وغيرها من الإلكترونيات الحديثة.

- هو ده الشريط اللي باظ يا ابني ومن ساعتها وأنا تعبانة.

- وريهوني كده يا حاجة ..... التقطه من يدها وقرأ ما طبع عليه قبل أن يسألها: أنتي بتحبي تسمعي أم كلثوم يا حاجة؟!

- لأ بحب أسمع أبوك الله يرحمه.

لم يتفاجأ أيمن بما قالته، فقد تعود منها على تلك الأحاديث المبهمة غريبة الأطوار: قوليلي بس يا حاجة لو بتحبي تسمعيها أنا ممكن أجيبلك راديو تسمعي فيه أم كلثوم كل يوم.

- يا ابني أنا مش بحب أسمع حد غير فتحي .... صلحلي الشريط ورحمة الغالي.

- حاضر يا حاجة ... هصلحه وأجيبهولك من عنيا.

هم بالدخول فأوقفته: استنى مش تاخد الوكمان عشان تجرب عليه الشريط بعد ما تصلحه.

كانت تحمل في يدها مسجلًا صغيرًا (ووكمان) فناولته إياه. أخذه منها وبنفاذ صبر أردف: خلاص كده ولا في حاجة تاني؟!

- لأ خلاص ... تصبح على خير يا ابني.

- وأنتي من أهله ... عن إذنك.

(26)

أغلق أيمن باب المنزل واتجه إلى غرفته مباشرة ... خلع ملابسه قبل أن يُلقي بما في يده فوق سريره .. جلس مسترخيًا ثم فتح درج الكومودينو وأخرج زجاجة الإكسير، تأملها مليًا قبل أن ينزع عنها الغطاء. كان بحاجة إلى جرعة تنسيه ما حدث ... رفعها إلى فمه وشرب.

كان ذلك قبل أن ينفتح باب غرفته ببطء، هرب بعينيه ناحية الباب فوجدها تقترب منه مبتسمة.

- نورا! أنتي جيتي هنا إزاي؟

لم تجبه .. دنت منه حتى باتت على بعد خطوة.

ارتعدت فرائسه وتسارعت نبضات قلبه، صمتها يُخيفه .. يُرهبه .. تحجر حلقه وانحشرت به غصة منعت عنه الهواء ... استند على كيعانه في محاولة للنهوض فدفعته بقوة في صدره ليعود كما كان .. رماها بنظرة عتاب فقابلتها بابتسامة. قفزت فوقه برشاقة قبل أن تقترب برأسها من وجهه وتحك أنفها بأنفه .. همست في أذنه فابتسم وتسللت إلى وجهه السعادة.

أحاط خصرها بذراعيه واعتدل واقفًا مستعرضًا قوة عصبه الخلفي ... عانقت رقبته بذراعيها وتشابكت قدماها عند منتصف ظهره. ضمها، اعتصرها، اقتحمها .... تأوهت وهي تنطق باسمه

عله يرحمها .... لاحظ الألم على وجهها فتوقف عن دك أسوار قلاعها.

دس وجهه في منابت متصفحي (Google chrome & Mozilla firefox)المتدليين أمامها وتنفس عطرها وعبقها فاستغلت الهدنة وانسابت من بين يديه .. هرعت إلى الخارج فركض وراءها .. لم يلحق بها .. تبخرت في لمح البصر ... سمع صوتًا لموسيقى عذبة تأتي من غرفة مجاورة. غرفة لم تكن بالمنزل من قبل، لا يعلم متى بنيت وتأسست .. أدار مقبضها ودلف ... لم تكن غرفة كباقي غرف منزله.

كانت الغرفة ملكية على الطراز الروماني تجلس في ركنها البعيد فتاة تعزف على آلة موسيقية وهي تبكي ... فتاة رآها من قبل داخل معبد النوم الشفائي. أزاح ستارًا كان في منتصف الغرفة فوجد الشابين (رودسي وفولويس) يقفان بجوار سرير يعتليه أبوها الأمير الذي يصرخ ألمًا.

أمسك فولويس زجاجة الدواء وأمالها ببطء فوق كوب ماء صغير قبل أن يصرخ فيه رودسي: لا ... لا تضعه في هذا الماء.

- ولِمَ يا رودسي؟ ألم ينصحنا الطبيب الأعظم بذلك؟!

- نعم ولكن ليس هذا الماء .. اذهب في الحال إلى غرفة طبيب القصر وأحضر لي ماء مقطرًا.

- ماء مقطر! إنه يستخدم في حالات تسمم الجلد ... والأمير لا يعاني تسممًا.

- وما أدراك أنت .... أنا أعلم عنك في مجال الطب بمراحل يا فولويس ... هيا اذهب.

انطلق إلى الخارج ولم يجادل، فرتبته الطبية كانت أدنى من رتبة رودسي الذي أمسك بزجاجة أخرى، زجاجة الإكسير. أضاف منها خمس قطرات على زجاجة الدواء وحركها حتى امتزج السائلان.

نظر إلى ابنة الأمير فوجد ظلها من خلف الستار ... كانت سابحة في العزف والبكاء: مسكينة، لا تعلم عن والدها الكثير ولا تعلم ما فعله بي وبأبي، ظلمني وقهرني، استعبدني وأمر بحرق أبي، لن أقتله ولكنني سأجعله يشتهي الموت، سأسقيه إكسيرًا يأكل عظامه وينخرها، سيصبح مثل زوجته نائمًا بلا حراك، اهنأ في مرقدك يا أبتِ فالآن ستتحقق العدالة ..

حدث بها سريرته قبل أن يضع بضع قطرات في كوب الماء.

أدناه من فم الأمير وساعده في تناوله ... انسكب نصفه على ملابس الأمير والنصف الآخر في فمه ... كان الألم لا يحتمل فلم يقوَ الأمير على رفع عينيه ليتبين من يتولى إسعافه إلا حين سمعه يهمس في أذنيه: أتعرف من أنا؟

جاهد في فتح عينيه حتى تجلى له الشاب. صمت لحظات يتأمله قبل أن يومئ برأسه أن لا، فأكمل رودسي: أنا نجل المُعمر الذي أمرت بحرقه منذ أعوام .. ولم يكفيك هذا بل أمرت بعمل صك عبودية لى بعدما كنت حرًا طليقًا ... هل تذكرتني الآن؟

سعل الأمير بقوة ليسلك حنجرته: لست أنا من أمرت بحرق أباك.

- ومن إذًا الذي أمر بحرق أبي؟

لم يجبه الأمير ولم يقوَ على التفوه بشيء ... جحظت عينيه قبل أن تدبل وينزلق جفناه لا إراديًا.

كف عن الصراخ واستسلم جسده لإكسير انتشر في كل خلاياه ليتخذ منها منزلًا لأجل غير مسمى.

سكتت الموسيقى واقتربت نجلة الأمير بخطوات واسعة في اللحظة التي عاد فيها الشاب الآخر وهو يحمل بين يديه قارورة الماء المقطر ... وقف ساهمًا لحظات قبل أن يسأله: ما الذي حدث؟

- لا شيء .. أعطيته جرعة من الدواء ليسكن الألم ... سيستيقظ بعد عدة دقائق.

- ولِمَ استخدمت ذلك الماء وليس الماء المقطر كما أخبرتني؟

- أنت كنت على حق، لقد تذكرت أن الماء المقطر لا يستخدم إلا في أمراض الجلد.

- هل أبي سيكون على ما يرام بعدما يستيقظ؟ .. سألته الأميرة.

أفاق من وجهها الساحر ونبرتها الأخاذة قبل أن يجيبها: نعم يا أميرة مارلين، سأجلس أنا وفولويس بجواره حتى يستيقظ الأمير لنكمل فحصه وعلاجه.

قالها واتجه إلى أريكة في منتصف الغرفة وجلس ... تبعه زميله ثم جلس بجواره بعد أن طلب من الأميرة أن تكمل عزفها على آلة الموسيقى. ناوله رودسي زجاجة الإكسير التي كانت ما تزال في يده: ضع هذا الإكسير في الحقيبة يا فولويس.

التقطها من يده قبل أن يسأله: ولِمَ أخرجت زجاجة الإكسير وهو لا علاقة له بأمراض الرأس؟!

أجابه بثقة: لقد اختلط عليَّ الأمر ... كان مقصدي إخراج زجاجة أخرى والتقطتُ الإكسير بدلًا منها.

- هل تعرف قصة هذا الإكسير؟ وهل تعرف من أين يأتي؟

- يأتي عن طريق خلط الذهب مع الماء والنحاس الأحمر.

- هذا ما قاله لنا الطبيب الأعظم لكن هناك شيئًا آخر يتم تجانسه معهم.

- وما هو هذا الشيء؟

- منذ حولين ونصف وقفت أمام غرفة الطبيب الأعظم لأرى ما يفعل في الداخل .... وجدته يقوم بتكبيل ثور متوسط الحجم ثم قام بذبحه من رقبته، وبعدها بقر رأسه بالسكين ثم أخرج منها شيئًا صغيرًا بحجم قطعة البازلاء ووضعه مع خليط الذهب والماء والنحاس ... وعندما سألته ما هذا، أجابني أن هذه المادة هي سر السعادة والرغبة الجنسية، وأخبرني أيضًا أنه منذ قرابة عقدين ونصف من الزمان كانت هناك أنثى لثور برمائي .. تخرج من النيل ليلة في كل عام لتنجب وليدها على الشاطئ فيأخذه الطبيب الأعظم ويفعل به ما ذكرته لك .. ولكن في إحدى الليالي قام رجل بإصابة ذلك الثور وهذا ما جعل الطبيب الأعظم يناجي كبير الأساقفة في إعدامه حرقًا حين عقدوا له محاكمة تفتيش لاشتباههم في إبرشيته.

كان رودسي يستمع له في عدم اهتمام إلا حين أخبره بتلك الحادثة التي حضرها ورآها رؤيا العين. كان يعلم من هو ذلك الرجل الذي أصاب الثور لكنه كان يجهل من كان سببًا في إعدامه ولم يتوقعه يومًا.

- هل أخبرك عن اسم ذلك الرجل؟

- نعم ... كان اسمه المعمر.

اتضحت له الرؤية الآن ... فمن أمر بحرق أباه هو ذاته من رباه وعلمه فن الطب. من اعتبره في منزلة أبيه لم يكن إلا ذئبًا على هيئة إنسان.

قام من مجلسه كالملسوع وهرع إلى الخارج قاصداً معبد النوم الشفائي.
حين استيقظ أيمن من سباته العميق على صوت التكبير والتهليل استعداداً لصلاة العيد، وجد كل شيء ساكناً كما هو. ألقى نظره إلى المسجل الصغير بجواره وأطال النظر إلى شريط الكاسيت عندما حضرت بمخيلته جملة السيدة العجوز: يا ابني أنا مش بحب أسمع حد غير فتحي، صلحلي الشريط ورحمة الغالي.
أمسك بالمسجل وضغط على زر في الأعلى فانفتح بابه ... رفع الشريط أمام عينيه قبل أن يضعه داخل المسجل ويغلق الباب.
ضغط على زر التشغيل فأتاه صوت أم كلثوم مشوشاً ومتقطعاً، أخرج الشريط وأداره على الوجه الآخر ثم وضعه ثانياً ... ثوان وسمع صوت لشخص يسجل لحظات حياته الأخيرة .. شخص لم يسمع أيمن صوته من قبل ...
بعد نصف ساعة استمع فيها أيمن لذلك التسجيل الصوتي ثلاث مرات أمسك هاتفه وأجرى مكالمة بصديق: ألو أنت فين يا بوب؟
- في الميدان ... مجتش ليه؟
- ميدان! بتعمل إيه؟
- أنت أهبل ياله ... صلاة العيد فاضل عليها خمس دقايق.
- آه صحيح كنت ناسي والله.
- مش هتيجي؟
- لأ مش هلحق ... بقولك إيه أنت هتروح المحل النهارده؟
- آه هصلي وأروح أفتح ... ليه؟
- معايا شريط تسجيل عايز أحول اللي فيه على فلاشة، تعرف؟
- أعرف ... بس عليه إيه الشريط ده؟

- لما أقابلك هقولك ... نصاية وأكون عندك.
- إشطة ... متجيش وإيدك فاضية.
- ماشى هجيبلك فسيخ ورنجة ... سلام.
- سلام.

...

العاشرة صباحًا ... التجمع الخامس ... ڤيلا عادل التلاوي.
كانت الڤيلا غاية في الأناقة .... أشجار باسقة ونباتات على أكوام من الخشب أضفت على المكان هدوءًا موحشًا إلا من خروشة لأوراق الشجر المستسلمة لحركة الرياح.
كان يجلس عادل التلاوي على كرسي مبطن بريش نعام فوق بقعة خضراء تحيطها أشجار بونسيانه بزهورها الحمراء وشجرة واحدة من الكالبتوس الطاردة للناموس والحشرات الطائرة.
بقعة يهرب إليها دائمًا في الصباح .. كان يرتشف من فنجان قهوة كوبي لواك بعدما تناول وجبة الإفطار.
اتجه نحوه أحد حراسه بخطوات واسعة حتى أصبح على بعد خطوة .. كان يحمل ظرفًا أبيض في يده: الجواب ده واحد سابه لسعادتك ع البوابة من حوالي ساعة.
- جواب! من مين؟
- معرفش سعادتك.
انحنى الحارس وناوله الظرف قبل أن يرجع بظهره في خشوع، نزع اللاصق وأفرغ محتويات الظرف.
صورة سيلفي صغيره لأيمن فتحي مع علاء رشيد وورقة مطوية تحمل: عزيزي عادل التلاوي .. تحية منيلة وبعد، أكيد عرفت مين

الواد اللي معايا في الصورة، الواد ابن فتحي اللي أكلته الأونطة. قابلته امبارح وحاكيتله كل حاجة .. مش ده المهم.
المهم إن التمثال معايا .. آه معايا ... قولتله هشتريه منك بمليون جنيه .. الواد فرح ومكدبش خبر .. راح جابهولي وقبض تمنه.
بردو مش ده المهم .. الأهم بقى إن أنا عارض التمثال للبيع واللي هيدفع أكتر هيرسى عليه المزاد ... أنا عارف إنك مستحيل تفرط في التمثال وتضيع الفرصة دي من إيدك بسهولة عشان كده أنا عايز أقابلك في أول مكان اتكلمنا فيه بخصوص التمثال، في شقة المعادي .. هجيلك النهارده الساعة ٩ بالليل بس مش هجيب التمثال معايا .. يا ريت ألاقيك في انتظاري ولوحدك .. أنا جاي أحل مش أربط وعايز أفتح معاك صفحة جديدة.

علاء الحراء

مزق الجواب قبل أن يكوره ويلقيه: ابن الوناش مش عايز يجيبها لبر، غلطاته كترت معايا ونهايته قربت بس أتلايم ع التمثال الأول.
حدث بها نفسه قبل أن يمسك بغليون ٢ فلتر مصنوع من جرانيت حراري ... أشعله وسحب نفسًا إلى رئتيه قبل أن ينفث دخانه في الهواء بحرفية الخواجة ويليام.

(27)

في تمام السابعة مساءً توقفت عجلات دراجة بخارية أمام إحدى العقارات بحي المعادي. كان يعتليها شاب على رأسه كاب أحمر. يرتدي تيشيرت من نفس اللون وبنطال كحلي ... نظر إلى ورقة صغيرة كانت في يده ثم نظر لأعلى باحثًا عن لافتة معلقة على أحد الطوابق.

ترجل من فوق دراجته ثم أخرج علبة مستطيلة من صندوق عليه شعار أحد المطاعم ... اتجه بخطوات واسعة نحو العقار فتلقاه الحارس: على فين يا أستاذ؟

- معايا أوردر للأستاذ محمد عبدالله المحاسب.

- الدور العاشر ع اليمين ... والأسانسير عطلان.

- كلكوا بتقولوا كده.

قالها الشاب قبل أن يصعد درجات السلم قفزًا حتى وصل إلى الطابق التاسع. اتجه إلى باب شقة عليه لافتة صغيرة تآكلت حروفها بفعل الزمن (ال هند / ع دل ا تلا ي) ... أخرج من جيبه سلسلة مفاتيح تحمل أكثر من عشرين مفتاحًا.

جرب أربعة مفاتيح لم يستقبلهم ثقب الباب قبل أن يستجيب الخامس ... أزاح غطاء القداحة فصعد لهبها الأزرق ذو درجة الحرارة التي تصل إلى1300 درجة سيلسيزية ووجه اللهب أسفل

المفتاح وانتظر دقيقة. ارتدى بعد ذلك قفازًا وبحرفية لص منازل أجبر الثقب على الخُشوع ففُتح الباب. لم يكن ذلك الشاب سوى أيمن الذي التفت يمنة ويسرة ثم دلف وأغلق الباب بهدوء.
كان المنزل نظيفًا ومنظمًا على الرغم من عدم وجود من يعيش داخله منذ أمد، إلا أن صاحبه أرسل إحدى الخادمات لتنظيفه وترتيبه.
اتجه أيمن إلى غرفة النوم في عجالة .... ألقى نظرة سريعة متفحصة في أنحاء الغرفة حتى عثر على خزانة صغيرة من طراز الستينيات بدون أرقام سرية ... كرر ما فعله مع باب المنزل حتى فُتح باب الخزانة. فتح الحقيبة البلاستيكية وأخرج منها العلبة رفع غطاءها قبل أن يلتقط تمثال الثور الذهبي.
رفعه في مستوى عينيه ليودعه بنظرة أخيرة .. نظرة كانت كفيلة بانتقاله إلى معبد النوم الشفائي ليلتقي به من وراء حُجب ... رودسي .. الشاب الذي لم تخبُ نار انتقامه حتى اللحظة .. وجده يقف أمام دولاب الوقاية من الأبخرة.
فتح الدولاب بحذر ثم التقط منه إناءً معدنيًا صغيرًا ومثقاب نار قبل أن يتجه إلى غرفة الطبيب الأعظم ... كان الطبيب نائمًا حين فتح رودسي الباب ودلف.
مشي على أطراف أصابعه حتى أصبح على بعد مترين .. جلس على ركبتيه ثم وضع الإناء المعدني الفارغ فوق مثقاب النار ... كان المثقاب عبارة عن قوس مثبت بسيور تحتوي على اثنى عشرة ثقبًا محفورة ومملوءة بالراتنج. أدار القوس يدويًا بسرعة عالية حتى احتك مع الراتنج الذي أصدر شرارة كانت كفيلة بأن يلتقطها الفتيل لإشعال النار.

انتظر لحظات حتى تسللت الحرارة إلى الإناء قبل أن يمسك قنينة صغيرة تحتوي على ملح آمون (آمونياك). أمالها بحذر حتى تساقطت بعض الحبيبات داخل الإناء المعدني.

وضع قطعة قماش على أنفه وانسحب ببطء خارج الغرفة قبل أن يغلق بابها بإحكام ليترك حرية الانتشار لغاز النشادر السام داخل الغرفة حتى يعلن عن إزهاق روح من كان سببًا في إعدام والده حرقًا.

لم ينتبه أيمن من غفوته إلا عندما رن هاتفه ... كان مُلقى على الأرض وبجاوره التمثال. اعتدل في جلسته قبل أن يلتقط الهاتف من جيبه. كان علاء رشيد يطمئن على آخر التطورات.

لم يُلقِ أيمن له بالًا وضغط على زر عدم الاستجابة. أغلق هاتفه نهائيًا ثم أعاده إلى جيبه ... نهض من مجلسه ثم أمسك التمثال ووضعه داخل الخزانة وأغلقها تاركًا المفتاح معلقًا في ثقبها.

وجد ورقة متوسطة الحجم عليها قلم فورمايكا فوق الخزانة ... أمسك القلم وخط عبارة من ست كلمات فوق الورقة قبل أن يلصقها على باب الخزانة. أعاد كل شيء كما كان وألقى الحقيبة البلاستيكية والعلبة داخل سلة صغيرة بالمطبخ قبل أن يخرج مسرعًا ويغلق باب المنزل.

هبط سلالم العقار عدوًا بعدما أنهى مهمته في خمس وعشرين دقيقة مما جعل الشك يتسلل إلى حارس العقار: إيه يا عمدة ... ده كله بتطلع الأكل؟

- أنا طلعت ونزلت على السلالم ودي فيها عشر دقايق لوحدها .. ده غير إني قعدت أخبط أد كده لحد ما فتحلي الباب واديته الأكل وحاسبني.

- خلاص خلاص ... لف وخف ربنا يستر طريقك.
تركه أيمن وركب دراجته، انطلق بها ثم انحرف إلى أحد الشوارع الجانبية وأبطل محركها أمام أحد الكافيهات المجاورة للعقار ... ترجل من فوقها ودخل المقهى لينتظر حتى تدق الساعة التاسعة مساءً.

...

بعد ساعة .. وصلت سيارتان مرسيدس أمام العقار. تدلى عادل التلاوي من السيارة الخلفية بعدما فتح بابها الخلفي أحد حراسه. مشى بخطوات واثقة ثم دلف العقار وتبعه حارسان بينما تبقى اثنان أسفل العقار.
كان أيمن يجلس داخل الكافيه متابعًا للمشهد من خلف الزجاج. أخرج هاتفه قبل أن ينزع منه الشريحة ويبدلها بأخرى.
ضغط على زر الاتصال وانتظر الإجابة من عادل التلاوي الذي ناول المفتاح لحارسه الشخصي ليفتح باب المنزل قبل أن يقوم بالرد: ألو ... مين؟
- كنت فاكرك هتيجي لوحدك يا باشا.
- مين معايا؟ ده مش صوت علاء!
- ادخل أوضة النوم وأنت تعرف ... أنا قاعد مستنيك من بدري.
حرك رأسه بإشارة لأحد حراسه أن افتح باب الغرفة ففعل. تبعه عادل التلاوي ثم وقف عند بابها: احنا هنهزر ... لو مقولتش أنت مين هقفل السكة وهجيبك بطريقتي.
- هدي أعصابك يا عادل باشا ... أخدت بالك من الورقة الملزوقة ع الخزنة؟!

اقترب من الخزانة حتى بات على بعد شبرين قبل أن ينزع الورقة ويقرأ ما كتب عليها (لكل جواد كبوة ولكل خائن طعنة). لم ينبس بكلمة فأكمل أيمن: افتح الخزنة يا باشا هتلاقي مفاجأة ... بس افتحها بشويش عشان متزعجش الطور اللي جواها.

في تلك اللحظة كانت عربات الشرطة تزغرد بصافرات إنذارها أمام العقار ... هبطوا منها ثم دخلوا العقار وارتقوا السلالم في عجالة بعدما اصطحبوا حارس العقار معهم.

كان عادل التلاوي يتأمل التمثال بين يديه: التمثال ده وصل لحد هنا إزاي؟

- العيال بتوع الهكر يا عادل باشا مش سايبين حد في حاله ... بيخترقوا أي حاجة تيجي على بالك ... سلام بقى يا باشا قبل ما ندخل ع الدقيقة الخامسة أصل أنا مش خط بيزنس زي سعادتك وأهو بالمرة أسيبك تستقبل هوجة عرابي وتعمل الواجب.

أحس عادل التلاوي بأن هناك مكيدة مدبرة له فأمر حارسيه بتأمينه حتى يغادر المنزل ... فتح أحدهما الباب في لمح البصر ليجدوا أمامهم عددًا لا بأس به من رجال الشرطة في استقبالهم بصدر رحب وفوهات لأسلحة في وضعية الاستعداد.

...

في الثانية بعد منتصف الليل كان أيمن على مشارف شاطئ المجمع بعدما أعاد الدراجة النارية إلى صديق له يعمل بأحد المطاعم. أصبح كائنًا ليليًا كمصاصي الدماء، أدمن السهر وعشقه عشقًا .. ينام نهارًا ويسهر ليلًا كحيوان الليمور المهدد بالانقراض.

وقف أمام الكوخ ثم مد يده إلى مقبض سري بجانب الباب. أدار المقبض ببطء ففتح باب الكوخ.

في الداخل وجد معتمد عبد الدايم نائمًا يسبح في ملكوت آخر .. مر بجواره على أطراف أصابعه تجنبًا لعدم إزعاجه قبل أن يدلف غرفة جانبية ملأتها الفوضى .. استعار منها حقيبة الصيد وعياشة صغيرة قبل أن يدخل إلى المركب .. كان عليه أن يمارس هوايته فمن غيرها ينتشله مما هو فيه.

جهز سنارته قبل أن يدلي خطافها بوضعية السقوط الحر بجوار المركب مباشرة .. لم يقذفه بعيدًا تلك المرة.

كان الجو ليلًا والإضاءة شبه معدومة فأخرج أنبوب الفسفور من الحقيبة ... قضمه نصفين قبل أن يضعه في الجزء العلوي من الفاير ليساعده في رؤية رأس السنارة عندما تهتز. أراح السنارة على حافة المركب وتركها تقوم بمهمتها ... استند بكيعانه على حافة المركب قبل أن يخرج علبة سجائر من جيبه ويلتقط منها واحدة.

أشعلها وسحب نفسًا قبل أن يلقي بيتين شعر من تأليفه: حين تنزف الجراح فتملأ كؤوسًا ... ويصبح الفؤاد منكسرًا منكوسًا ... فما الضرر من تبغ للشفاة ملموسًا؟!

كان معتمد عبد الدايم يقف خلفه بعدما أيقظته تحركات أيمن داخل المركب: إيه الحلاوة دي! صلاح چاهين يا أخواتي.

التفت أيمن خلفه: عم معتمد ... معلش قلقت منامك.

- أنا متعود أصحى كل ليلة في المعاد ده، مين اللي علمك شرب الهباب ده؟

- دي حاجة تفاريحي كده ... لما ببقى مضايق بس.

- وإيه اللي مضايقك؟ لازمن السنارة لسه مغمزتش.

هرب أيمن بعينيه إلى أعلى السنارة فوجدها تهتز بقوة. أمسكها وأدار ذراع البكرة في عجالة حتى تجلى له ما انتشله خطاف سنارته.

كانت سمكة روبيان بدون أعين .. ضلت طريقها بين عالم البحار والأنهار حتى انتهت رحلتها في عياشة صغيرة تقيها شر اليابس .. كان أيمن يتأملها بشيء من الذهول: طب ما النيل فيه جمبري أهو يا عم معتمد!!

- أنت اللي ابن حلال ومرزق .. مع إنها طلعت عامية يا فقري.

- يا بختها ... يا ريت الواحد كان اتولد أعمى زيها كده عشان ميشوفش الشياطين اللي في صورة بشر.

- عايز تبقى أعمى؟

- ..... !

- خد أول طيارة طالعة على بلد العميان.

- بلد العميان! فين دي؟

- أبويا الله يرحمه حكالي عن قصة كتبها واحد بريطاني من زمن الزمن .. كان في جماعة أسبان رحالة بيعيشوا فوق الجبال وفي يوم حصلت انهيارات صخرية في الجبال دي فعزلتهم في وادي صغير وانفصلوا عن العالم كله ... بعد شوية انتشر بينهم مرض السيلان ومسابش حد فيهم إلا أما صابه العمى ... أصلهم كانوا نجسين مبيسيبوش خرم إلا أما يزوروه .... المهم فضلوا عايشين على دا الحال جيل بعد جيل بعد جيل ... لا حد بيزورهم ولا هما بيزوروا حد.

وفى يوم من الأيام جه شوية عيال من اللي بيتشعبطوا ع الجبال دول عشان يتسلقوها .... المهم واحد منهم اتزحلق ووقع من

مسافة بعيدة ومحدش من أصحابه قدر ينزله، افتكروه مات بس هو مماتش من الوقعة عشان نزل على كومة تلج. بعدها بشوية قام ومشي على رجليه عادي لحد ما وصل للوادي .. لقى البيوت ألوانها فاقعة ومن غير شبابيك. قعد يصرخ وينادي لحد ما الناس اتلمت حواليه ... لاحظ إن محدش من الناس دى بيبى ناحيته فعرف ساعتها إنه وقع في وادي العميان اللي سمع عنه في الحواديت. فرح وقالك الدنيا هتفتحلي أبوابها وهبقى ملك عليهم.
كان عندهم مثل بيقول (الأعور ملك في بلد العميان) زي ما احنا بنقول عندنا (أعرج في حارة المكسحين) .... راح الشاب لمهم حواليه وقعد يشرحلهم هو جه لحد هنا إزاي من بلد تانية الناس بيشوفوا فيها ... الناس مفهمتش يعني إيه كلمة بيشوفوا ... كلمة جديدة أول مرة يسمعوها.
قعدوا يحسسوا على وشه ويغرسوا صوابعهم في عينيه وطبعًا ظهرلهم عضو جديد غريب عليهم ... شالوه هيلا بيلا وخدوه على كبير القبيلة. كان فاكر نفسه هيقدر يحكم الناس دي بسهولة بس لقى إن الموضوع صعب مش زي ما كان متخيل .. كان بيحكيلهم عن اللي بيحصل قدام البيوت عشان يثبتلهم إنهم اتحرموا من نعمة كبيرة، فطلبوا منه إنه يحكيلهم عن اللي بيحصل جوا البيوت فمقدرش طبعًا.
لما لقى الموضوع صعب كده حاول يهرب بس معرفش ... كانوا بيمسكوه بطريقة العميان المخفية .... يسمعوا صوته ويشموا ريحته فيعملوا دايرة حواليه لحد ما يمسكوه ... حاول يهرب مرة واتنين وتلاتة لحد ما نجح وهرب ... بس رجعلهم تاني عشان مقدرش يستحمل الجوع والعطش والبرد.

اعترفلهم إنه كان غلطان فسامحوه ... بعد كام يوم الشاب ده شاف بت وعجبته راح طالب إيدها من أبوها بس أبوها مرضيش بيه لأنهم اعتبروه أقل من مستواهم ... بس البنت كانت ميالة ليه بردو ولما أبوها لقى نفسه في مشكلة راح طلب رأي الحكما في الموضوع ده وكان رأيهم إن الشاب ده عنده عضو غريب وهو السبب في تلفان مخه ولازم يشيلوا العضو ده عشان يرجع لعقله تاني وبكده يقدروا يتجوزوا عادي.

الشاب هاج عليهم وقال مستحيل أضحي بعيني مهما كان التمن، البت حطت دماغها على صدره واترجته إنه يقبل لو بيحبها. محن حريم بعيد عنك.

الشاب وافق ع الصفقة، عينيه مقابل إنه يتجوزها ... وفي نفس الليلة خرج الشاب عشان يشوف الدنيا للمرة الأخيرة ... شاف الفجر بيغمر الوادي بلونه الجميل ... المياه والزرع والأزرق في السما ... وقف وراجع حساباته إزاي يودع كل ده عشان خاطر واحدة .. قرر يمشي ويسيب البلد باللي فيها .. مشي ناحية حاجز الجبال وطلع الجبل .. وبمجرد ما الصبح شقشق لقى نفسه بعيد عن بلد العميان ... مع إنه نزف دم من إيديه ورجليه وهدومه اتقطعت ومع كل ده كان فرحان ومبسوط.

الخلاصه يا بشمهندس بدل ما أنت عايز تتنيل تبقى أعمى سيب البلد اللي أنت فيها .. سافر .. اعرف بشر تانية وعاشر ناس تانية.

- فعلًا الواحد لازم يسافر، بس في دين لازم يترد لصاحبه الأول.

- ومين فينا مش عليه ديون ... عايز فلوس؟

- عايز أرتاح.

- الراحة للحريم بس يا بشمهندس، احنا اتكتب علينا الشقا طول ما احنا فيها.
صمت أيمن وتظاهر بالانشغال في لم وتجميع أجزاء السنارة وهو يتأمل ظلمة النيل.
لاحظ معتمد الحزن في عينيه فأراد إخراجه من تلك الحالة: من يومين روحت مشوار لحد منشية الصدر ولاقيت شاب قاعد جانبي في المترو مكشر زي حالاتك كده، سألته مالك؟ قال عايز أتجوز .. قولتله وإيه اللي مانعك .. قال أنا محتكمش غير على عشرة جنيه في جيبي. قلتله بسيطة، اطلع على أقرب فكهاني واشتري منه كيلو عنب بناتي ... وامسك واحدة واحدة وانزل فيها بوس ومزمزة لحد ما تشبع.
- طب ما يشتري غزل بنات أحسن!
- غزل البنات بيسيح بسرعة إنما العنب هيطول معاه ... يتلذذ بيه واحدة واحدة.
- والله يا عم معتمد أنت خسارة في البلد دي.
- أنا هدخل أقعد جوا .. مفاصلي نقحت عليا الروماتيزم مبهدلني.
- طب استنى .. عايز منك خدمة قبل ما تدخل.
- خدمة إيه؟
- متعرفش تتصرفلي بكرا في عربية ملاكي ساعتين زمن؟
- ليه عايز تفسح المزة؟
- لأ أبدًا بس بكرا دخلة واحد صاحبي وعايز أجيبله عربية تزفه ... هدية فرحه يعني.
- بسيطة ... هكلملك ابن أختي يجيبلك عربية.

أمسك معتمد هاتفه المحمول المهدد بالانقراض وأجرى اتصالاً:
ألو.. كل سنة وأنت طيب يا قليل الأصل، بقى متتصلش تعيد على خالك يا أبو دقن .. هي دي صلة الرحم يا شيخ محمود. أمك الله يرحمها مكانتش بتفوت مناسبة إلا أما تيجي تزورني.
وأنت بالصحة والسلامة .. بقولك إيه، كنت محتاج العربية بتاعتك بكرا عشان عندي زفة ... لأ مرجعتش للكار ولا حاجة بس دي لواحد عزيز عليا ... خلاص ماشي بكرا هبعتلك واحد ع البيت تديله العربية .. لأ متزينهاش احنا هنزينها بمعرفتنا .. ماشي سلام يا شيخ محمود ... مع السلامة.

(28)

حين عاد أيمن إلى منزله قام بتشغيل حاسبه الشخصي ليجد رسالة على بريده الإلكتروني، تحمل دعوة عمل من محطة توليد الكهرباء بالسد العالي ...

الطرف الأول : شركة .....

الطرف الثاني : السيد / .....

الرقم القومي : .....

الجنسية : .....

الوظيفة : .....

تم التعاقد بين الطرف الأول والطرف الثاني على أن يقوم الطرف الثاني بالعمل لدى الطرف الأول بوظيفة ..... براتب شهري وقدره ..... جنيه مصري، تدفع له أول كل شهر ميلادي، وتعتبر مدة هذا العقد سنتين يعطى في نهايتها إجازة قدرها شهر، وتعتبر الشهور الثلاثة الأولى تجربة لمعرفة مدى نشاط الطرف الثاني وجديته في العمل، ويلتزم الطرف الثاني بالعمل في المكان الذي يحدده له الطرف الأول، وبالأسلوب المطلوب منه وضمن عدد الساعات التي يحددها له الطرف الأول، وبما يتفق مع نظام العمل والعمال بجمهورية مصر العربية، ويعتبر سريان هذا العقد من تاريخ مباشرة الطرف الثاني للعمل.

الطرف الأول شركة .....
الطرف الثاني السيد/ .....
المدير العام .....
قرأها أيمن عدة مرات قبل أن يقوم بالرد: طب أقدر أستلم الوظيفة امتى يا فندم؟
انتظر ما يقارب النصف ساعة حتى تم الرد: بعد انتهاء إجازة عيد الفطر مباشرة.
شكره أيمن وأغلق حاسبه قبل أن يأوي إلى فراشه، على الرغم من انتظاره لتلك الرسالة على أحر من الجمر لعدة أشهر إلا أنه لم يكن سعيدًا .. بات الحزن صديقًا له في كل أوقاته، لا يفارقه إلا عند النوم الذي تسلل إليه في الحال، فما حدث معه تلك الليلة كفيل بإغراقه في بحار السبات العميق.
في الثامنة والنصف مساءً من اليوم ذاته كان أيمن يجلس داخل سيارة ڤيرنا موازية للرصيف بجوار كافيه لاتينو الشهير.
انتظر دقائق داخل السيارة قبل أن يلمح سيارة BMW تهبط من أعلى كوبري أكتوبر وتنحرف في اتجاه جراج سيارات تابع للكافيه ضغط أيمن على دواسة البنزين ولحق بها بعد عشر دقائق.
ألقى بالتحية على عامل مراقبه يجلس أمام شاشه LCD ترصد السيارات داخل الجراج عن طريق كاميرات المراقبة. في الداخل أبطل أيمن محرك السيارة قبل أن يفتح اللاب توب الخاص به ... ضغط على تطبيق خاص باختراق نظام كاميرات المراقبة، وقام بتثبيت صورة الفيديو على شاشة ال LCD ولحسن حظه لم تكن هناك حركة داخل الجراج مما جعل عامل المراقبة لا يشعر بثبات

الصورة. ترجل من سيارته واتجه إلى سيارة ال BMW التي كان يعتليها علاء رشيد منذ دقائق.
أخرج من جيبه ريموت إلكتروني يعمل بالأشعة تحت الحمراء ... ضغط على زر في منتصفه فقام بتحويل صوت نغمة التنبيه التي تصدرها السيارة عند لمسها إلى سماعة بلوتوث صغيرة كانت في أذنه.
وقف أمام السيارة ورفع غطاء الحماية (الكابوت)، أمسك جهازًا صغيرًا في حجم علبة الكبريت له شاشة صغيرة وأربع وصلات بألوان مختلفة تتصل به.
قام بتوصيل الطرف الأحمر بموجب البطارية والطرف الأسود بسالب البطارية والطرف الأصفر بطلمبة البنزين والطرف الأبيض ببادئ الحركة (الكونتاكت) الخاص ب GPS Tracker.
قام بتسجيل الأكواد الخاصة بنظام السيارة على ذلك الجهاز ثم نزع الوصلات وأغلق غطاء الحماية ... مشي حتى باب السيارة وفتحه بطريقة القداحة التي تعمل بغاز البيوتان ثم جلس أمام عجلة القيادة. فتح التابلوه ووضع بداخله فلاشة صغيرة ثم وضع جهاز المراقبة في مكان سري داخل السيارة بعدما وضع شريحة محمول داخل الجهاز.
استغرق أيمن في تلك المهمة عشر دقائق لا غير، قبل أن يتجه إلى داخل الكافيه ليتلقاه شخص مهذب: في حجز سابق ولا لأ؟
- لأ مفيش.
- خلاص اتفضل حضرتك في ال Center View.
- ممكن أقعد هناك في الترابيزات اللي ع النيل؟

- للأسف مينفعش تقعد في Nile view إلا لما تحجز قبلها.

اتجه أيمن إلى ترابيزة في المنتصف وجلس موليًا ظهره للنيل حتى لا يراه علاء رشيد الجالس مع أحد الأشخاص منشغلًا في حديث ما.

اقترب النادل من أيمن وأحنى رأسه قليلًا: أجيب لحضرتك إيه يا فندم؟

- هات عصير ميكس فريش.

بعد نصف ساعة ... ودع علاء رشيد الشخص الذي كان يجلس معه ثم اتجه بعدها إلى الخارج في اتجاه الجراج ... ركب سيارته في اللحظه التي رن فيها جرس هاتفه .. كان الاتصال من أيمن: هابي عيد يا علاء بيه.

- أيمن ... أنت فين؟ وتليفونك مقفول من امبارح ليه؟

- التليفون عطل فجأة امبارح.

- منفذتش اللي اتفقنا عليه ليه؟

- البوليس سبق عزرائيل وطب ع الشقة قبل ما أنفذ.

- ومين اللي بلغ البوليس؟

- ما أنا اتصلت بيك عشان أسألك نفس السؤال.

- من غير كدب ... بلغت البوليس ليه؟

- الصراحة ... صعب عليا.

- وأبوك اللي اتعدم ظلم ... مصعبش عليك؟

- بمناسبة أبويا ... مش لاقيته سايبلي ميراثي مع الحاجة روحية.

- ميراثك؟!

- آه هتلاقيه عندك في التابلوه ... افتحه كده.

فتحه علاء رشيد والتقط جهاز تخزين ونقل البيانات: دي فلاشة!

- آه .. ما هو ده الميراث.
- فيها إيه الفلاشة دي؟ ووصلت لحد هنا إزاي؟
- مش هقدر أقولك فيها إيه .. هسيبك أنت تعرف بنفسك، هيلب يور سيلف يا علاء بيه.
قالها أيمن ثم أنهى المكالمة على الفور وقام بفتح اللاب توب خاصته .... قام بالاتصال على الشريحة الموجودة داخل الجهاز المختبئ داخل سيارة علاء رشيد عن طريق تطبيق المراقبة والتحكم الخاص به.
لحظات وتم الاتصال بالصوت والصورة ليتمكن أيمن من التحكم في سير السيارة وكأنه يجلس بداخلها أمام عجلة القيادة.
في المقابل كان علاء رشيد يخمد الفلاشة في تجويف ال USB ليستمع إلى تسجيل صوتي لصديق لم يسمع صوته منذ أمد بعيد:
أصدر قاضي العدالة الناجزة بإجماع الآراء حكمه بإحالة أوراقي إلى مفتى الديار المصرية لكي أحصل على تأشيرة الإعدام في جريمة لم أرتكبها، فقررت أن أسجل آخر لحظات بل سويعات في حياتي. أسجلها بالفصحى التي لم أكن أتخيل يومًا أن أتحدث بها لولا الأستاذ عبد الجليل مدرس اللغة العربية، ورفيقي في محبسي ... سألوني ما تشتهيه قبل أن ترحل عن عالمنا، فطلبت شريط كاسيت ومسجلًا صغيرًا ثم لقاء لا يزيد عن خمس دقائق مع الحاجة روحية لتحمل عني عبء هذا الشريط وتعطيه إلى فلزة كبدي بعدما يستوي عوده. فضلت ألا أمنحه لشقيقتي لأنني أعلم بأنها لن تعطيه لك يا ولدي، وهذا ما دفعني لإعطائه إلى الحاجة روحية، رغم علمي بأن وصوله إليك عن طريقها محتمل بنسبة واحد في المليون.

لم يعاقبني قاضي الأرض في جريمة اقترفتها، ولكن سيعاقبني قاضي السماء .. سيصليني سقر وسيسألني خزنتها ما سلكك في سقر وسأجيبهم أنني كنت من المصلين، ولم أكذب بيوم الدين، ولكن كنت أخوض مع الخائضين.

سأعض على يدي وسأبدي حسرتي ... يا ويلتي، ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ...

انقطع الصوت لحظات استمع فيها الصمت قبل أن يكمل صاحبه: ظننت أن صدمتي الكبرى هي موت زوجتي، ونسيت أن كل من عليها فان، ولكن كانت صدمتي الكبرى حين زارني ضيف عزيز في منزلي دون سابق استئذان. كان ملثمًا فلم أتبين إلا عينيه ... قتل ضحيته بدم بارد ثم لفحني ضربة في منتصف جبهتي بعصا كانت في منزلي ثم أمسكني إياها وأمسكني عقبها السكين بعد سقوطي أرضًا ليجد الطب الشرعي بصماتي عليهما فيعلم أنني من قتلت المجني عليها ثم أصبت جبهتي لأكون موضع اتهام.

حيلة شيطانية من ضيف ظنني لم أعرفه ولكن كيف وأنا من كنت رفيقه وساعده حين أجرى عملية جراحية فشلت وكانت سببًا في إجهاض عينه اليسرى .. جاهدت في إقناع نفسي أن هذا الضيف ربما يكون شخصًا آخر لا أعرفه لكن لم تتشنى لي صحة اعتقادي إلا حين طلبته شاهدًا في قضيتي، وهنا كانت الفاجعة.

من ظننته طوق نجاتي لم يكن إلا ثقلًا حديديًا تسبب في غرقي، فبدلًا من أن يشهد معي ولصالحي رأيته يشهد ضدي ليكون سببًا في التفاف حبل المشنقة حول رقبتي، طعنها بسكين بارد واليوم جاء ليطعنني بنفس السكين ... مكرني ضيفي وغفل عن مكر العدل في عليائهِ.

لم يكن مقصدي من هذا التسجيل يا ولدي سوى أن تدرك أنني لم أكن الجاني يومًا وإنما أنا من جُني عليه.
عشرون دقيقة استمع خلالهم علاء رشيد إلى التسجيل الصوتي قبل أن ينتبه إلى وجود شريانين على جانبي الطريق ... أحدهما ترعة تحمل رائحة كريهة مقززة، وأمراض لا حصر لها، والآخر قضبان حديدية تسير عليها القطارات ... لا يعلم كيف انحرف في هذا الاتجاه وسلك ذلك الطريق المتعرج.
حينها لمح شخصًا يرتدي جلبابًا، ويعتلي دراجة نارية في الاتجاه المعاكس أشار له أن قف فاستجاب لطلبه: بقولك يا بلدينا .. هي المنطقة دي اسمها إيه؟
- دي البدرشين.
- طب أنا عايز أعدي الناحية التانية شرق النيل .... عايز أروح المعادي.
- بوص يا باشا، أنت هتسيب مزلقان والتاني تعدي من فوقيه ... هتمشي شوية أد مية متر هتلاقي نفسك بقيت على طريق مصر أسيوط ... هتمشي شوية وأول بنزينة تلاقيها على إيدك الشمال تروح كاسر في الشارع المتقاطع معاها ... هتنيك ماشي لحد ما تلاقي معدية بتنقل ناس وعربيات وكله .. هتركب فيها وهتحدفك اليامة التانية.
- ماشي ... تشكر يا بلدينا.
انطلق بالسيارة وتجاوز أحد المزلقانات قبل أن يصل إلى المزلقان الذي يليه .. أدار عجلة القيادة على أقصى اليسار لكي يعبر من فوق القضبان في اللحظة التي ضغط فيها أيمن على كود إيقاف تشغيل السيارة، وأعقبها بضغطة أخرى على كود

الإغلاق المركزي لأبواب السيارة (سنتر لوك). صعق علاء رشيد وجن جنونه حين توقفت السيارة فوق القضبان.

حاول فتح الأبواب بهستيريا بعدما ضغط على دواسة البنزين وبالطبع لم تفلح محاولاته المستميتة ... التقط هاتفه حين جاءه اتصال آخر من أيمن فعلم أنه من وضعه في ذلك المأزق المهلك: أيمن ... بلاش أبوس إيدك.

- العين بالعين يا علاء بيه.

- أنا مستعد أديك أي مبلغ تطلبه بس سيبني أعدي قبل ما القطر يجي.

- والله يا سيادة النايب الموضوع ده خرج من إيدي وبقى في إيد الجهات المختصة .... يا إما الشركة تشم خبر باختراق السيستم وتعالج الموضوع يا إما يجي قطر الإكسبريس ياخدك بالأحضان.

- بلاش يا أيمن القطر بيقرب أنا سامع صوته ... شغل العربية أنا في عرضك.

- حقيقي الموضوع خرج من إيدي يا علاء بيه ... يلا أسيبك بقى تستمتع بسكرات الموت ... سلام.

كان هناك بعض الأشخاص يلتفون حول السيارة ويصرخون في علاء رشيد الجالس داخلها أن تحرك أيها المجنون .. لم يعرهم انتباهًا ورجع بظهره مسترخيًا في استسلام تام ثم أغمض عينيه متفاديًا النظر إلى مقدمة القطار التي باتت على بعد أمتار.

(29)

بعد يومين حمل أيمن حقيبة سفره قاصداً كوخ معتمد عبد الدايم بعدما ودع عمته التي أبت رحيله إلا بمعدة ممتلئة وحقيبة متخمة بالطعام والشراب. حين وصل أيمن أمام الكوخ فتح الباب ودلف كعادته.

في الداخل كان معتمد عبد الدايم يجلس على كنبته ممدداً في وضعية استرخاء وهو يتصفح أحد الجرائد المحلية. طوى الجرنال حين اقترب منه أيمن وانحنى ليضع الحقيبة على الأرض .. اعتدل معتمد في جلسته قبل أن يسأله: على فين العزم؟

- جالي عقد سنتين في السد.

- ألف مبروك يا بشمنهدس ... عقبال الشهادة الكبيرة.

- الدكتوراه!

- الجواز ... ولا ناوي تبقى زي عمك معتمد.

- يعني حاجة زي كده ... الأمر بقى معقد.

- شوفت كاتبين إيه في الجرنان؟

- إيه؟

- فاكر حسين الرشيدي اللي حكيتلك عليه قبل كده.

- آه ... ماله؟

- انتحر.

- بجد! ... إزاي الكلام ده؟
- كاتبين إنه وقف على شريط القطر بالعربية بتاعته واستنى لحد ما القطر فرمه هو والعربية.
- طب ليه واحد زي ده معاه ملايين ينتحر؟
- تعددت الأسباب والموت واحد. يعني هما كاتبين في آخر الخبر إن في احتمال لوجود شبهة جنائية، أصله كان راكب BM 2016 والعربيات دي حديثة بتقدر تعرف العربية اتهكرت ولا لأ في خلال ربع ساعة، وحتى لو عرفوا مش هيقدروا يوصلوا للشخص اللي عمل كده لأنه مجهول الهوية بالنسبالهم إلا بقى لو الشخص ده كان سايب وراه أي دليل.

اتسعت حدقتا أيمن حين تذكر الفلاشة التي تركها في تابلوه السيارة وجهاز التتبع والمراقبة أيضًا: طب هما مش كاتبين لقيوا حاجة جوا العربية ولا لأ؟؟

- لأ .. وعمرهم ما هيلاقوا حاجة .. العربية لما اتخبطت الحمض اللي في البطارية قام بالواجب وخلى العربية فحمة بعد عشر دقايق ... ما أنت مهندس وعارف الكلام ده.
- آه طبعًا يا عم معتمد، إلا صحيح هو ورق الجرايد بيبقى كبير أوي كده ليه يا عم معتمد؟

سأله أيمن في محاولة لتغيير مسار الحوار.

- ده قرار طلعته الحكومة البريطانية من حوالي ٣٠٠ سنة .. وزير الاقتصاد بتاعهم فرض ضرايب على عدد الصفحات اللي بتنطبع، راحوا رؤساء تحرير الجرايد قرروا إنهم يزودوا حجم الصفحات عشان عددها يقل .. ومن يوميها والحكاية دي انتشرت في الدنيا كلها لحد وقتنا هذا.

تسامرا لعدة دقائق وتطرقا إلى أحاديث جانبية حكى فيها معتمد عن زياراته لاثنى عشرة محافظة وعلى رأسهم زهرة الجنوب التي سيسافر إليها أيمن.

كما حكى له عن مغامراته مع الفتاة التي أعجبت به حين أنقذها من أحد التماسيح في جزيرة التمساح الواقعة في منتصف بحيرة النوبة (ناصر سابقًا) ... وعن تكليفه بوضع حجر الأساس لمدينة ملاهي بكار لاند بعد اعتذار المحافظ لأسباب صحية وعن محطة الإذاعة التي ترجته لعمل لقاء صحفي معه قبل أن يغادر وعن نادي أسوان الذي حلت عليه البركات بعد زيارته له ... فأصبح يشارك في الدوري الممتاز لعدة مواسم.

...

في السابعة مساءً كان أيمن في قلب محطة مصر حيث الخليط المصري الممزوج بالصخب والحياة على الأعصاب.

صوت الميكروفونات المزعجة التي تعلن عن قدوم القطارات كل بضع دقائق، وأناس يهرولون على الأرصفة وممرات الأنفاق وداخل القطارات لمعرفة أماكن مقاعدهم، وأشخاص يفترشون الأرض بحقائبهم في انتظار القطار المميز (الإكسبريس) الذي يعتليه بسطاء الشعب والكادحين وعادة ما يأتي ممتلئًا قبل أن يقلع من مكان تخزينه، والأكشاك المنتشرة على طول الأرصفة كجنود الأمن المركزي، ودورات المياه المختلطة بروائح السجائر والتي لا يجوز زيارتها إلا بجوز جنيهات ذهابًا أم إيابًا ... وعمال المحطة وحاملو الحقائب الذين يعانون من إصدار قانون جديد ينص على العمل بدون مقابل.

تلك هي اللقطات البسيطة للمشاهد المتكررة في كل يوم بل في كل ساعة في ذلك المكان الذي لا يعرف معنى للهدوء.
جلس أيمن في كافيتريا المحطة في انتظار قطار القاهرة .. أسوان (توربيني) درجة ثانية مكيفة الذي سينطلق به بعد ساعة من الآن بعدما ابتاع جرنال ورواية من مكتبة المحطة سيوآنسا وحدته طوال تلك الرحلة المملة.
أشار إلى النادل حين مر بجواره: واحد ميرندا تفاح لو سمحت.
أحضرها النادل في عجالة وانصرف ... رفعها أيمن إلى فمه في اللحظة التي وضع فيها شخصًا يده على كتفه: الحاجة الساقعة حرام يا أخي ... منتج أمريكي ويجب مقاطعته.
أدار أيمن رأسه قليلًا ونظر لأعلى بعينين ضيقتين ليتبين ذلك الشخص ذا اللحية التي لم تغير كثيرًا في ملامحه: حسام! عاش من شافك يا أبو الندالة.
بعد حضن وقبلتين أجلسه أيمن بجواره: إيه يا ابني فينك .. وفين أراضيك ... وحصل امتى الكلام ده؟ ... كان يشير إلى لحيته.
- ده موضوع يطول شرحه، لينا قاعدة تاني مع بعض وهحكيلك على كل حاجة .. بس أنت بتعمل إيه هنا؟ مسافر ولا إيه؟
- آه مسافر أسوان ... عقبالك، جالي عقد عمل سنتين في السد، وأنت رايح فين كده؟
- مسافر المحلة ... رايح أنا والحاجة نقرا فاتحتي ... عقبالك.
- بجد والله .. ألف مبروك يا صاحبي وربنا يتمملك على خير .. ولو إني زعلان عشان لو مكنتش شوفتك النهارده مكنتش عرفت حاجة.

- والله الحكاية جات فجأة كده .. وبعدين أنت حد عارف يوصلك، من كام يوم كنت في مشكلة كبيرة وحاولت اتصل بيك بس كان موبايلك مقفول.
- مشكلة؟! مشكلة إيه خير!
- قال إيه الحكومة قبضت عليا واتهمتني إن أنا تبع داعش.
- عادي بتحصل ... وبعدين؟
- واحد محامي اسمه أبو العزم جه القسم ولم الحكاية قبل ما أتعرض ع النيابة.
- بمقابل ولا دي خدمة للإرهاب والإرهابيين.
- قال فاعل خير هو اللي وكلني ... بس أنا عرفت هو مين.
- مين؟
- أبويا الله يرحمه ويسامحه ... متجوزش عليه غير الرحمة.
- هو مات ... البقاء لله.
- سبحان من له الدوام .... المحامي كلم أخويا الكبير عشان الإجراءات وإعلان الوراثة وتقسيم الورث وكده ... بس تعرف إيه اللي صدمني في الموضوع ده؟
- إيه؟
- فاكر مدام فاتن اللي حاكيتلك عنها.
- اوعى تقول إن أبوك كان متجوزها.
- هو كده فعلًا .... بصلي وبدعي ربنا ليل نهار عشان يغفرلي ويسامحني.
- بإذن الله ... وأهو كويس عشان تقدر تجهز نفسك بنصيبك في الميراث.

- معاذ الله .. كل ما نبت من حرام فالنار أولى به، عن إذنك بقى لحسن الحاجة لوحدها على الرصيف التاني وكمان القطر فاضله خمس دقايق.
- ماشى يا شيخ حسام تسافر بالسلامة .... وابقى خلينا نسمع صوتك.
- بإذن الله ... السلام عليكم.
- وعليكم السلام ... في رعاية الله.
تجرع أيمن زجاجة المياه الغازية قبل أن يفتح حقيبته ويلتقط منها جرنال بتاريخ اليوم ... في الصفحة الثانية وقعت عيناه على مانشت لخبر لم يكن ليصدقه (تعافي الاقتصاد اليوناني وسط ذهول مؤسسات البنك الدولي ..... وخبراء اقتصاد يتنبئون بامبراطورية يونانية جديدة).
طوى الجرنال ولم يتعمق في تفاصيل الخبر .. فالمانشيت كان كفيلًا بإحباطه وندمه على وطن يسكنه مئات بل آلاف من أمثال عادل التلاوي، فالفساد ضارب حتى النخاع.
أمسك هاتفه حين جاء الاتصال الخامس على التوالي من عمته فقام بالرد: قلتلك أول ما أركب هطمنك، القطر فاضل عليه يجي نص ساعة.
- تعال البيت بسرعة يا أيمن .... عمك وحيد وقع من طوله في الحمام.
- امتى الكلام ده؟
- من حوالي ربع ساعة.
- طب مروحتيش للدكتورة بسمة ليه؟
- روحت وملقيتهاش في الشقة.

- طب أنا جايلك على طول ... سلام.
لملم متعلقاته وغادر المحطة بعدما باع تذكرته لأحد الأشخاص بنصف ثمنها .... فالوقت لا يسمح بالفصال والمجادلة في سعر بيعها.

(30)

ساعة كانت كفيلة بأن يصل أيمن إلى منزل عمته بعد شجار بالألسنة مع السائق ومن يجاوره في الكابينة .. ألقى حقيبته عند الباب واتجه إلى غرفة المعيشة ليجد عمته جالسة أمام التلفاز تتابع أحد المسلسلات: عمي وحيد فين؟

- في القهوة مع أصحابه.

- ولما هو في القهوة ومش تعبان ولا وقع من طوله اتصلتي بيا ليه وجبتيني على ملا وشي؟!!

- عشان في حاجة مهمة لازم تعرفها.

- إيه هي؟

- نورا.

- مالها ....

- كانت عندي من كام ساعة.

- وليها عين تيجي لحد هنا؟!

- متظلمهاش ... أنت فاهم الموضوع غلط.

- وإيه هو الصح؟

مدت يدها وأمسكت بصورة كانت بجوراها .... ناولته إياها وهي تجيبه: البنت اللي على اليمين دي تبقى نورا واللي على الشمال تبقى منار ... أختها التوأم.

كانت الصورة لفتاتين توأم تقفان في حفلة تخرج دفعة جديدة في كلية الصيدلة. كانتا نسختين طبق الأصل لا يفرق بينهما سوى الحجاب.

أطال أيمن النظر إلى الصورة وتداخلت الأحداث في مخيلته .... تعثرت ذاكرته، تشتت عقله وتوقف عن التفكير كطالب لم يسعفه الوقت في الامتحان ... تسلل الشك إلى قلبه لكنه آثر المماطلة عله يجد تفسيرًا يقنعه: أنتي بتصدقي الكلام ده يا عمتي! ... دي أكيد لعبة جديدة عشان تنتقم لأبوها.

- لأ يا ابني متظلمهاش ... ده بمجرد دخول أبوها السجن قدرت تشم نفسها وتاخد حريتها .... فاكر يوم الحادثة اللي نورا كانت معاك فيه؟

- .....!

- فاكر اليوم اللي أبوها نقلك المستشفى فيه؟

- فاكره وبعدين؟

- اليوم ده أبوها كان مراقبها وهو اللي سلط عليك الصيع اللي ضربوك، ولما أبوها اكتشف صدفة أنكم تعرفوا بعض طلب منها إنها تفضل معاك وتجاريك لحد ما يوصل للتمثال ... ولما رفضت طلبه حبسها في القيلا واستغل الشبه بينها وبين أختها منار ... وخلاها تعمل اللي أختها رفضت تعمله.

طبعا الباقي أنت عارفه .... عنوان الصيدلية بتاعتها هي وأختها مكتوب عندك في ضهر الصورة.

ظل صامتًا شاردًا خارج النطاق للحظات .. ثم اتسعت ابتسامته تدريجيًا وسبح متأملًا كل مثقال ذرة في وجهها ... تخيلها تقف أمامه فخفق قلبه في نشوة ذهول. عادت من تضيء حياته بعد

ظلمة ... من ستحتويه بعد وحدة .. تلك التي لا يجرؤ قلبه على النبض لغيرها ولا يملك عقله التفكير بأخرى وإن كانت تفوقها جمالًا .. استأذن عمته وانطلق إلى الخارج بقلب يتراقص استيقظ بعد موت.

...

وسط عوادم السيارات وصخبها وزحام الباعة وإزعاجها توغل أيمن داخل شارع قصر العيني مخترقًا محال الميديكال المنتشرة على جانبي الطريق حتى وصل أمام إحدى الأجزخانات التي تحتل أعلاها لافتة مضاءة بثلاث كلمات (فارماسي نورا ومنار) ... كانت تلك هي ما تبقى لهما من ميراث والدهما الذي ورثه عن أبيه بعدما فض شراكته مع الخواجة زافود.

اقترب أيمن من الباب الزجاجي ففتح أوتوماتيكيًا ثم أُغلق بعدما دلف .. في الداخل لم يجد أيمن سوى شقيقتها منار بميكياجها الصارخ وشعرها الذهبي الجذاب. زجرها بنظرة تعرفها جيدًا ... نظرة القط المتوعد لفأر يختبئ في جحره ... ابتسمت وبادرته: خلاص بقى ما يبقاش قلبك أسود.

- نورا فين؟

- تدفع كام وأقولك؟

- لماضة مش عايز ... نورا فين؟

- جوا ... بتدي حقنة لواحدة.

قبل أن تنهي جملتها كانت نورا على مشارف الباب الداخلي الصغير للأجزخانة، كانت تسير بعرجة خفيفة وتستند عليها سيدة عجوز تتمتم لها بالدعاء، أخبرتها نورا عن موعد الجرعة القادمة ثم جلست أمام شاشة الحاسب الخاص بالأجزخانة دون أن تنظر

لمن يقف أمام شقيقتها التي أردفت بصوت خفيض: هسيبكم مع بعض شوية يا أبو نسب وهدخل المخزن أشوف الأدوية اللي ناقصة.

قالتها وذهبت إلى المخزن فنظر أيمن إلى الباب الزجاجي ليطمئن على خروج السيدة العجوز، ثم دنا من نورا بخطوات بطيئة فلم تشعر بقرع نعليه لشرودها في شاشة الحاسب التي تفصل بينهما ... كانت كما رآها في اللقاء الأول الذي جمعهما إلا أنها كانت ترتدي نظارة طبية زادتها جاذبية ... لم تنتبه لذلك الذي يقف أمامها هائمًا ولهانًا إلا حين أردف: لو سمحتي ألاقي عندك بامبرز حديثي الولادة؟

- آه موجو.....

بترت عبارتها حين رأته يقف أمامها ... فاضطربت وتلعثمت: آآه موجود نقوله مين؟ قصدي يعني إنك كبرت ع الحاجات دي يا بشمهندز.

- لأ ما هو مش ليا أنا ..

- أومال لمين؟

- لسجدة بنتي ... قصدي بنتنا.

ابتسمت نورا ونظرت لأسفل خجلًا وهربًا من عينيه التي تلتهمها فسألها بلين: عاملة إيه يا نونتي؟

رفعت رأسها قليلًا: قولتلك مليون مرة قبل كده أنا مبـــــ.....

قاطعها بصوت مرتفع بعض الشيء: هل تقبلين عبد الجبار النجعاوي بعلًا لكي؟

- تؤتؤ ..

- طب هل تقبلين أيمن فتحي بعلًا لكي؟

- أمممممم اديني مهلة أربع ثواني أفكر.
- أربع ثواني بحالهم ... ده ميسي يجيب فيهم جونين.
- خلاص موافقة يا أبو سجدة.
- بحبك أوي بقى ..
- وأنا كمان ... مش هتقولي بقى إيه حكاية التمثال ده؟
- دي حكاية حصلت من زماان أوي ... من حوالي ١٣٠ سنة قبل الميلاد.